سمير فهيم القمص

مصرنا الجميلة

تاريخ وحضارة



مكتبة الأنجلو المصرية

مصــــرنا الجميلة
تاريخ وحضاره

سمير فهيم القمص



مكتبة الأنجلو المصرية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، إدارة الشئون الفنية .

القمص ، سمير فهيم

مصرنا الجميلة تاريخ وحضارة / سمير فهيم القمص . - ط ١ .-

القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٠٠٦

٣٢٢ ص ، ١٧× ٢٤ سم

١ - مصر القديمة - تاريخ أ - العنوان

رقم الإيداع : ١٤٦١٠

ردمك : 3-2250- 05 - 977 تصنيف ديوى ٩٣٢

المطبعة : محمد عبد الكريم حسان

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد

القاهرة - جمهورية مصر العربية

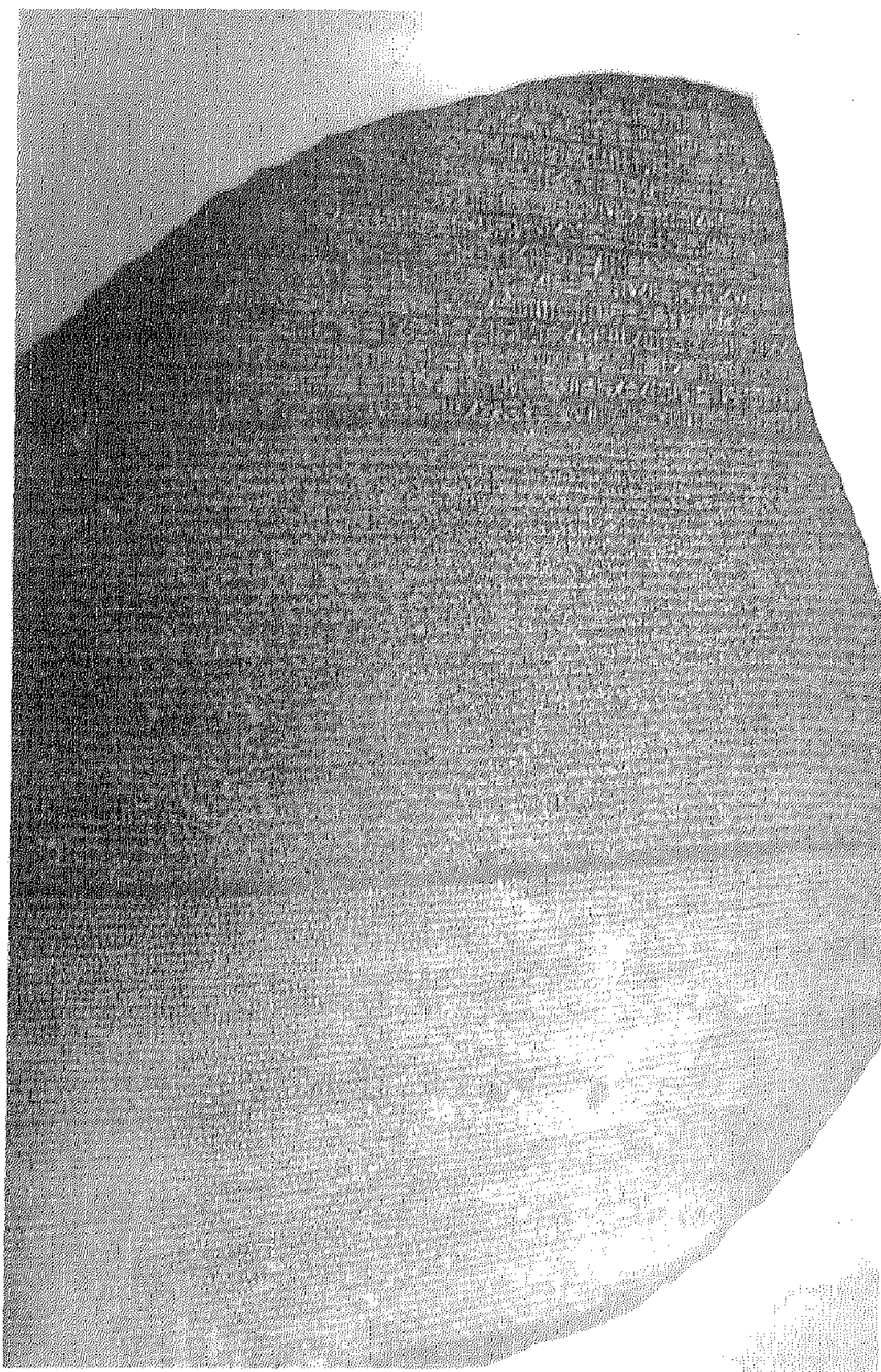
ت : ٣٩١٤٣٣٧ (٢٠٢) ؛ ف : ٣٩٥٧٦٤٣ (٢٠٢)

E-mail : angloebs@anglo-egyptian.com

Website : www.anglo-egyptian.com

فهرس الكتاب

مصرنا الجميلة
رحلة عبر العصور



حجر رشيد

ق.م. أما ما قبل هذا التاريخ ، فهو تاريخ غير مكتوب نستلهمه مما عثر عليه داخل مقابرهم من أواني وأدوات صيد وأسلحة وأدوات زينة وعظام حيوانات كان يستأنسها أو يصيدها ليتغذي بها . وكانت كتابتهم هي الهيروغليفية ، أي الكتابة المقدسة باللغة اليونانية ، إلي جانب الهيراطيقية ، وهي كتابات الكهنة ، والديموطيقية ، وهي كتابات الشعب . ظلت هذه الكتابة سائدة حتي أيام البطالسةالذين أدخلوا اللغة اليونانية لغة التخاطب ، إلي جانب اللغة القديمة .

ودام الحال كذلك حتي القرن الثالث الميلادي ، حيث لم يعثر علي أي نص أو كتابة بالهيروغليفية بعد ذلك ، وكان أخر نص عثر عليه في عهد الامبراطور دقلديانوس عام ٢٩٦ بعد الميلاد ، إذ بدأ المصريون كتابة لغتهم القديمة بحروف هجاء جديدة ، وسميت الكتابة الجديدة بالكتابة القبطية .

وهكذا هجرت الكتابة بالهيروغليفية وأصبحت نسياً منسياً ورسوماً علي أطلال تشكل طلاسم لكل من يحاول قراءتها .

ودام الحال كذلك إلي أن جاءت الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بغرض السيطرة علي مصر ، ولكي تقطع فرنسا علي انجلترا الطريق إلي الهند .. جوهرة التاج البريطاني آن ذاك .. فقد كان الطريق عبر مصر أقصر طريق إلي الهند . ولكن الله قدر لهذه الحملة الفشل في تحقيق هذه الغاية ، وأراد لها أن تكون سبباً في فتح الطريق إلي فك رموز الهيروغليفية ، ودراسة حضارة عمرها آلاف السنين .

فقد عثر الفرنسيون عام ١٧٩٩ علي حجر من البازلت الأسود أثناء حفر خندق عند قلعة رشيد ووجدت علي الحجر كتابات بالهيروغليفية والديموطيقية واليونانية ، وبقراءة النص اليوناني تبين أنه مرسوم حرره كهنة مدينة «منف» في عام ١٩٦ ق.م. يمتدحون فيه الملك بطليموس الخامس - إبيفانس - ويشيدون برعايته للمعابد المصرية ، وزيادة مخصصاتها . وكان بالنص الهيروغليفي شكل بيضاوي بداخله نقوش مكتوبة ، ويسمي «خرطوشة» وكان من المعلوم أنها تحتوي علي اسم الفرعون أو الملك – ورأي علماء المصريات الذين حاولوا فك رموز هذا الحجر أنه مادام النص اليوناني يحتوي علي اسم الملك بطليموس ، فمن المؤكد أن الحروف التي بداخل الخرطوشة بالهيروغليفية هي الباء والطاء واللام والميم والياء والسين . ثم تم بعد ذلك العثور علي مسلة بمعبد فيَلة وجدت عليها نصوص مكتوبة بالهيروغليفية

لم تكن مهنتي الكتابة ، ولا راودتني نفسي يوماً أن أمارسها ، ولكن خاطراً بداخلي دعاني أن أكتب بعضاً مما في وجداني عن وطن هاجرنا منه ولكننا لم نهجره .. هذا الوطن الذي لم نكن نعيش فيه فحسب ، بل كان ولا يزال يعيش فينا كما صوره يوماً غبطة البابا شنوده الثالث .

أمسكت بالقلم وتركته يجري علي الورق بالقدر الذي تستطيع يدي الهزيلة أن تتابعه ، وتركت العنان لوجداني يملي علي القلم خواطره بالقدر الذي به يستطيع القلم أن يتابع تيار هذا الوجدان .

كانت مصر هي الفكرة .. وهي الخاطر .. وهي الالهام .. مصر التي كتبت عنها كل الأقلام ، بكل الألسن ، وفي كل الأزمان .. مصر الواردة في التوراة وفي الأنجيل .. وفي القرآن .

فهي التي أقبل عليها إبراهيم خليل الله ، وتزوج من بناتها هاجَر .. أم اسماعيل الذي خرجت منه أمة عظيمة ، هي أمة العرب .

وهي التي هبط إليها يوسف الصديق ، الذي تولي خزائن مصر ، وتزوج من ابنة رئيس كهنة رَع ...

وهي التي ولد في أرضها موسي كليم الله ، وتعلم بكل حكمة المصريين ، وأخرج شعبه منها بعد هوان ..

وهي التي كان رحيل المسيح رسول السلام إليها ، إذ ظهر ملاك الرب ليوسف في حلم قائلاً : قم وخذ الصبي وأمه وأهرب إلي مصر ، لكي يتم ما قيل بالنبي القائل من مصر دعوت ابني .

وهي التي خرجت منها ماريا القبطية ، زوجة لرسول الله محمد بن عبد الله .

هي هي مصر .. الفكرة والخاطر والالهام . كانت الفكرة رحلة عبر القرون .. رحلة قد تكون شاقة ، إلا أنها شيقة ممتعة . إن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة ، ولكن من أين تبدأ رحلة آلاف السنين ؟! ..

ان الرحلة تبدأ من حيث بدأ المصري القديم معرفة الكتابة ، فسجل تاريخه علي جدران معابده ومقابره وصفحات بردياته . وقد كان ذلك حوالي سنة ٣٢٠٠

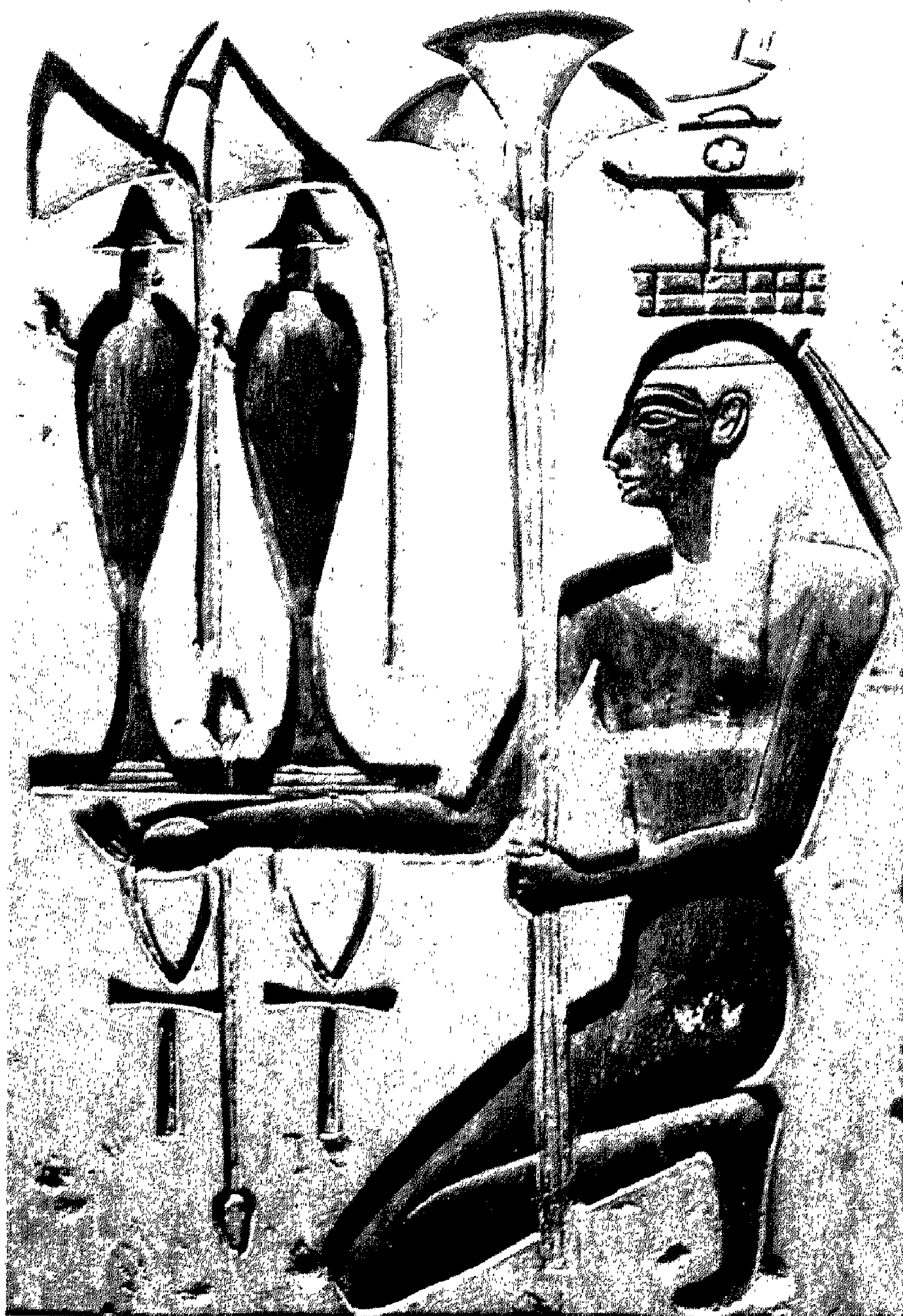
بعد ذلك العثور علي مسلة بمعبد فيَلة وجدت عليها نصوص مكتوبة بالهيروغليفية واليونانية ، وتتضمن أسماء كليوباطره وبرنيس وبطليموس التاسع. وبالمقارنة ، وجد أن اسم كليوباطره فيه من حروف بطليموس الباء والطاء والياء ، ووجد في اسم برنيس حروف الباء والسين والياء فكان هذا أول خيط في فك رموز بعض الحروف .

وقد قام العالم الفرنسي شامبيلون ، الذي كان علي دراية كبيرة بالقبطية التي أسلفنا أنها نبعت من المصرية القديمة ، قام بأبحاث انتهت إلي تقديمه بحثاً مفصلاً في عام ١٨٢٢م يحتوي علي كشف الكثير من أغوار هذه اللغة المهجورة .

وهنا لا يفوتنا أن نذكر أن لبعض كتابات وأبحاث «كليمندس» الاسكندري ، المسيحي والفيلسوف المتعمق في الدراسات اللاهوتية واللغوية ، أكبر الأثر في دراسات شامبليون العظيم ، الذي أشاد بأبحاثه .

كان لابد لنا من هذه المقدمة لكي ندخل إلي محراب التاريخ ، فقد كان فك رموز هذا الحجر هو الشعاع الذي أنار الطريق أمام علماء المصريات والآثار لكي ينهلوا الكثير من منابع الحضارة المصرية ، ويقدموا لنا أحلي وأجمل ما قدم الإنسان المصري ، ابن النيل ، من حضارة للبشرية .

المصرى والنيل



الإله حابي إله النيل

عندما كانت تغطي قارة أوروبا طبقات كثيفة من الجليد - منذ عشرات الآلاف من السنين وخلال فترة تسمي بالعصر الحجري الحديث - كانت مصر أحراشاً ومستنقعات تهطل عليها الأمطار الغزيرة ، وتعيش فيها أفراس النهر والزراف ، تسود فيها الأسود والضباع والتماسيح ، ويمرح فيها الجاموس البري وقطعان الأيائل ، وبين فروع أشجارها تقفز القردة والنسانيس، كما كانت تتربع علي قممها الطيور من كل جنس .

كانت صورة الطبيعة في مصر وقتذاك تماثل ما نراه في غابات أفريقيا الاستوائية في هذه الأيام .

ولما أخذ الجليد يتراجع عن أوروبا إلي الشمال ، قلت الأمطار فوق أرض مصر تدريجياً حتي توقفت ، وبدأت المياه التي كانت تغمر البلاد تنحسر ، والأرض تجف والغابات تزول والحيوان يرحل إلي أماكن في وسط القارة أكثر ملاءمة لمعيشته ، وانحصرت المياه في مجري النيل الحالي لتصبح مصر جغرافياً كما نعرفها اليوم . هذا الوادي الأخضر ، الضيق في جنوبه الواسع في شماله ، الذي يحيط به شرقاً وغرباً صحار شاسعة لا غرس فيها ولا ثمر .

زال سلطان الغابة - بأحراشها ووحوشها - الذي كان يسود البلاد ، وأصبحت مصر أرضاً آمنة تفيض بالخير ، وبدأ الإنسان القديم يعمر الأرض ويطهرها من النبات والعشب غير المرغوب فيه ، ومن الحيوان المعتدي أو المتطفل عليه .. هذا الإنسان ، نزح إلي مصر من قبائل في شرق أفريقيا ، وهي بلاد «بونت» التي كانت تسمي بأرض العطور - الصومال حالياً - ومن بعض رعاة الصحراء الغربية - ليبيا - وبعض أجناس البحر المتوسط ، والساميين القادمين من جهة سيناء . .

كان هذا الإنسان في الأصل صياداً جوالاً ، يستعمل حجر الصوان في صنع أدوات صيده كرؤوس الحراب والسكاكين وغير ذلك ، كما كان لا يستقر في مكان إلا بالقدر الذي يمكنه من الحصول علي غذائه وكسائه من لحم الحيوان وجلده وفرائه ، ثم بدأ يستأنس من الحيوانات ما أستطاع ترويضه منها ، وربي بعضها للتسمين والأكل ، وبعضها للحصول علي الصوف والوبر لصنع ملابسه ، والبعض الآخر للحراسة . . .

وهكذا اتخذ الرعي - إلي جانب الصيد - حرفة له .

ثم علمته الطبيعة الزراعة فحذقها وأجادها وبدأ يزرع الحب ويمكث في الأرض انتظاراً ليوم الحصاد واستفاد بما أستأنسه من حيوان في الحرث وحمل المحاصيل وبعد أن كان يعيش تحت رحمة صيد قد يحصل عليه أو لا يحصل أصبح زارعاً للقمح والشعير والكتان وحينما استتب الأمر له وأصبح مسئولاً عن بيته وزوجاته وبنيه وأرضه وماشيته ، استقر في مكانه وأحس بكيانه ، ونشأت بذلك الأسرة ، وهي الخلية الأولي في أي مجتمع ، ثم تعددت الأسر وتجمعت وتكونت منها قبائل يتولي الرئاسة فيها أقوي الرجال لحمايتها والذود عنها ، ونشأت القري والمدن ، ثم الأقاليم التي اتحدت في قطرين وحدهما الملك «مينا» أول ملوك الأرض الطيبة ... مصر .

هذه الأرض كانت وديعة غالية ثمينة في يد المصري القديم الذي حفظها علي مدي الأجيال والعصور ، ولولا رعايته لها لصار الوادي الخصيب شريطاً ضيقاً من الأرض المزروعة ، ولطغت عليها رمال الصحراء من الشرق والغرب ، ولغمرتها المستنقعات من الشمال .

كانت هذه الوديعة الغالية هي مصر .. هبة النيل الخالد ..

فقد كان النيل يغذي تربة مصر كل عام بطبقة غنية من الطمي تمنح الأرض خصوبة وعطاء بلا حدود ، ولذلك سمي المصري القديم واديه المزروع بالأرض السوداء «كيميت» . أي الأرض الخصبة ، تمييزاً لها عن الأرض الحمراء «دشرت» وهي الصحراء الجرداء المتاخمة للوادي شرقاً وغرباً .

لم يعرف المصري القديم - وبل حتي عهد قريب - أن هذا النهر الذي يفيض عليه بالخير ، كان يقطع رحلة تزيد علي سبعة آلاف كيلو متر ، فبعض ما كان يعلم أن هذا النهر كان يأتيه من كهف يوجد بجزيرة بيجه في أسوان وأن هذا الكهف كان يحرسه ثعبان ضخم يحيط به من كل جانب إلا من فتحة بالكهف تخرج منها مياه النهر لتغمر البلاد - كما كان يعتقد أن مياه هذا الكهف تأتي من المحيط الأزلي - نون .. حسب أساطيره القديمه ، وأن هذا المحيط تتدفق منه المياه لتروي العالم الخفي ، وعالمنا المنظور - كما ورد في أسطورة أخري أن مياه هذا النهر كانت العرق الذي يتساقط من يدي أوزوريس والدموع التي سكبتها عليه إيزيس عند فقده .

واتخـذ المصـري النهـر آلهـا قـديرا ، خالقـا لهـذا الوجـود ، وأسمـاه «حـابي» وعبده، وقدم له القـرابين ... علم المصري من أين يـأتيه النهـر أم لم يعلم . فقـد كان هذا النهر عـماد حيـاته ومصـدر رزقه ، وأستـاذه ومعلمه وملهـمه ومدبر شؤونه - يفيض النهر علي البلاد مرة كل عام ، ويتفق ظهور نجم الشعري اليمانية «سيريوس» مع مطلع الفيضان ، فحرص المصري علي ترقب هذا النجم ورصده - وساعده علي ذلك صفاء سماء مصر - فكان ذلك بداية تعلمه الفلك ، وجعل يوم ظهور هذا النجم بداية لتقويمه السنوي ، وهو الأول من شهر «توت» بدء السنة الزراعية .

وكـان فيضـان النيل يغطي الأرض ويغمـرها فـيزيل الحدود بين مسـاحـات الأراضي ويطمس المعالم ، فتنشأ المنازعات بين الجار وجاره ، مما كان يستلزم إعادة تخطيط مـازال من حدود ، فـتعلم المصـري الهندسة والحسـاب ومسح الأراضي والكتابة وقوانين الملكية والنظام .

لم يعرف المصري . العجلة والحصان حتي أيام الهكسوس ، فقدم له النهر أفضل طريق للنقل بالقوارب والسفن .

انفرد هذا النهر بين أنهار العالم جميعاً بأنه الوحيد الذي يجري من الجنوب إلي الشمال ، كما أنه الوحيد الذي يفيض في فصل الصيف . هذا النهر الفريد أعطي للمصري الكثير ، حتي أنه كان لايتصور أن بلداً يعيش بغير نيل ، بل كان لايصدق أن «نيلا» يجري إلا من الجنوب ، حتي أنه عندما ذهب إلي بلاد ما بين النهرين «العراق» ووجد أن نهري دجلة والفرات يجريان من الشمال إلي الجنوب لم يصدق ما رأي ، وتصور أن هذه البلاد «مقلوبة» رأساً علي عقب .

كانت هذه الخطوات التي مشيناها بداية الطريق إلي مسرح التاريخ لنرفع الستار عن عصر الأسر الأولي التي حكمت مصر ، بانجازاتها وأهراماتها ، وأسرها وغموضها .

خوفو بانى الهرم الأكبر

تمثال من العاج طوله ٥ سم



خوفو : ملك الوجهين القبلي والبحري





أبو الهول والهرم

تكلمنا عن مصر والمصري والنيل ، وكلهم يشكلون المسرح بأشخاصه ، الذي تعاقبت عليه فصول التاريخ الطويل الذي وصل لنا في كتابات كاهن مصري قديم ، عاش في القرن الثالث قبل الميلاد ، كان قد كلفه أحد ملوك البطالسة بكتابة تاريخ مصر ، واسمه (مانيتون) من بلدة (سمنود) بالوجه البحري ، وغيره من المؤرخين القدامي وبعض السائحين ممن حضروا لزيارة مصر ، أمثال : هيرودوت، ديودور الصقلي ، هيكاتوس الأباديري ، منذ القرن الخامس والرابع قبل الميلاد ..

.. كما كان من مصادر هذا التاريخ ، كما أسلفنا ، مادوًن علي جدران المعابد والمقابر من كتابات ، وما أمكن جمعه مما كتب في البرديات التي عثر عليها ، وبعض مما ورد في التوراة .

كانت الأسرة الأولي - وأول ملوكها الملك مينا (نارمر) - بداية هذا التاريخ، وكانت هذه الأسرة - وما تلاها حتي الأسرة السادسة - تسمي بالدولة القديمة ، ومن ملوكها (خوفو) صاحب الهرم الأكبر القائم علي هضبة (الجيزة) .

كان جل مراد هذا الملك أن يبلغ الهرم حد الروعة والاتقان ، وأن يصارع به الزمان ، فكلف مهندسيه أن يبذلوا كل جهد في سبيل تحقيق هذا المراد ، وكان هؤلاء المهندسون قد درسوا كل حكمة وعلم وفن المهندس العظيم (ايمحوتب) الذي سبقهم بقرن من الزمان في بناء هرم (زوسر) المدرج ، فحققوا ابداعاً وكمالا وجمالا لهذا البناء لم يبلغه هرم من قبل .

.. غير أن وزير الملك خوفو أبلغه بأن البناء وقد تم ، إلا أن شيئاً هاما لم يعثر عليه ، وهو (بردية) كتب عليها الوزير (ايمحوتب) تعويذة تحفظ البناء من غوائل الزلازل والصواعق التي قد يتخذها إله الشر (ست) أسلحة ضد الملك خوفو ، ابن الإله (رع) وهرمه العظيم !!

أقض هذا النبأ مضجع الملك ، وطلب من أبنائه وسحرة بلاده أن يبحثوا وينقبوا عن هذه البردية أينما وجدت ، فإن هذا الهرم هو (بيت أبديته) ودار خلوده. فأسر إليه ابنه (ددف رع) بأنه يعرف ساحراً يبلغ من العمر مائة عام وعشر ، يعيش منذ أيام الملك (سنفرو) والد خوفو ، وأن هذا الساحر يستطيع أن يذبح أي حيوان أو طائر ثم بتعويذة يمكنه أن يعيده كما كان قبل الذبح ، وأن هذا الرجل غريب الأطوار ، فهو برغم تقدمه في السن يأكل كل يوم نصف ثور مع خمسمائة

رغيف من الخبز ويشرب مائة قدح من الجعة !.

سُر الملك بما أبلغه به الأمير ، وأمر بأن يمثل هذا الساحر أمامه علي الفور ، وأن يأتوا للساحر بأحد المحكوم عليهم بالاعدام لكي يقوم الساحر بفصل رأسه عن جسده ثم يعيدها كما كانت حتي يتأكد الملك من قدرة سحر هذا الرجل الذي رد عليه قائلاً : أن حياة الإنسان لها كرامة لأنها هبة الخالق . وطلب أن يأتوا له بأوزة، فقام بفصل رأسها عن جسدها ووضع الرأس في جانب من الصالة التي يجلس فيها الملك ، ووضع الجسد في الجانب الآخر ، ثم نطق الرجل بكلمات سحرية ، فعادت الحياة إلي الأوزة وأخذت تجري وتصيح ، ثم طلب الساحر ثوراً ، وفصل الرأس عن الجسد ، ثم أعادهما كما كانا ، وقام الثور سليما معافياً ! .

أعجب الملك بما رأي ، وطلب من الساحر أن يحضر له (البردية) التي تحتوي علي التعويذة ، فأجابه الساحر : أنها محفوظة في صندوق مرصود كُتب أن يفتحه شخص أراد القدر أن تحمل به أمه في هذه الليلة ومن كاهن في معبد الإله (رع) ، وأن هذا الشخص - وتوأمين آخرين له - سيتولون عرش مصر ، وأن علي الملك ألا يحزن ، فإن أولاده (خفرع ومنقرع) سيتولون حكم مصر من بعده ، وأن الأسرة الجديدة التي ستحكم مصر سيتم علي يد أول ملوكها فتح الصندوق وحفظ التعويذة التي ستحقق للهرم الدوام والبقاء .

هذه الرواية كانت بعضا مما ورد في بردية (وستكار) الموجودة بمتحف برلين ، وهي وإن كان فيها الكثير من الخيال ، الا أنها تدل علي مدي حرص الملوك علي تحصين مقابرهم وهي ديار حياتهم بعد الموت ، كما أن ما ورد بالبردية من أن ملوكا سيحكمون من غير نسل (خوفو) قد تحقق ، إذ أن الأسرة الخامسة ، وهي التي أعقبت أسرة خوفو - كانت كلها من أبناء كهنة الإله (رع) ، الذين حكموا مصر فترة من الزمان .

.. كان هرم خوفو وما جاوره من أهرامات ، سمة تميزت بها الأسرات الأولي التي حكمت مصر .. هذه الأهرامات هي التي بقيت من عجائب الدنيا السبع والتي كانت مصدر الهام للكتاب والشعراء ، فقد تصور أحدهم أن الهرمين الكبيرين (نهدان) علي صدر إمرأة احتفظت بشبابها وجمالها برغم كثرة ما أنجبت من أبناء ، فقال :

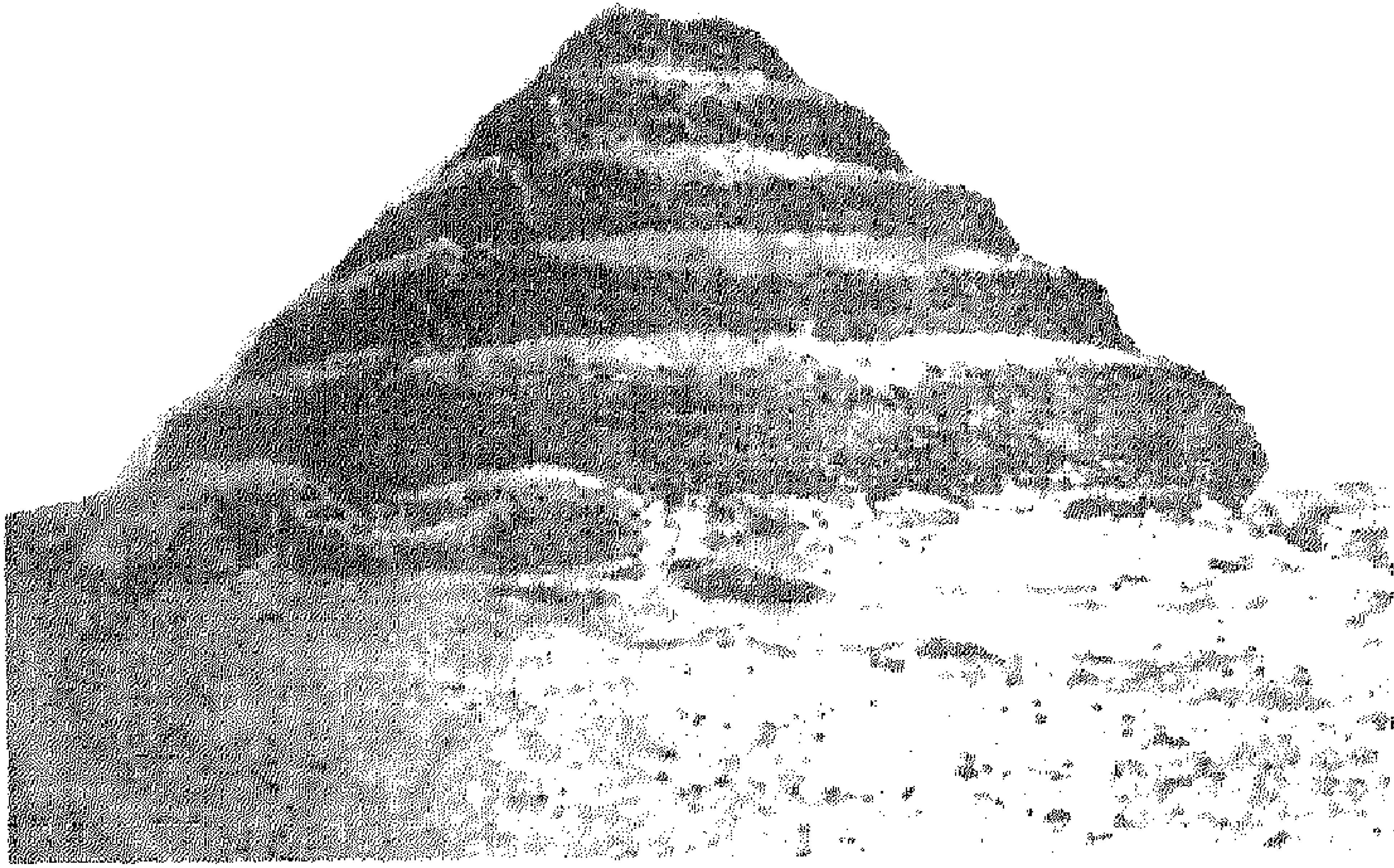
تبين أن صدر الأرض مصر

ونهداها من الهرمين شاهد

فواعجبا وقد ولدت كثيراً

علي هرم وذاك النهد ناهد

الهــــرم !



هرم سقارة المدرج

بني الهرم الأكبر بأحجار يبلغ عددها مليوني وثلاثمائة ألف حجر ، ويتراوح وزن الحجر بين ثلاثة أطنان وخمسة عشر طنا .

كانوا يتصورون أن الأهرام تخفي وراء ها كنوزاً دونها كنوز الملك سليمان .

ووصف هيردودت تعوزه الدقة أساسا !!

كان بناء الهرم تطورا مفاجئاً ابتدعه الوزير المهندس الطبيب (ايمحوتب) ، فقد كان الشائع الغالب في دفنات المصريين القدماء هو ما يسمي بالمصاطب - وهي مبان من الطوب اللبن (النييء) تعتلي حجرة تحت الأرض كان يودع فيها تابوت المتوفي ، وما قد يوضع معه من أدوات ولوازم كان يعتقد أنها لازمة لاستعماله في حياته الأخري . وقد سميت تلك المباني بالمصاطب للتشابه بينها وبين المصاطب التي يبنيها الفلاح المصري أمام منزله للجلوس عليها واستقبال الضيوف .

حدث أن الوزير ايمحوتب بدأ بناء المصطبة لتكون مقبرة لمليكه (زوسر) ، أحد ملوك الأسرة الثالثة . وقد استعمل الأحجار في البناء ، فكانت بحق أول بناء من الحجر في العالم . ثم لما تم بناء المصطبة ، هداه فكره الهندسي إلي بناء مصطبة أصغر فوق المصطبة الأولي ، ثم مصطبة ثالثة أصغر من الثانية وفوقها ، وهكذا ... حتي وصل في النهاية إلي شكل الهرم المدرج الذي نراه حاليا في صحراء (سقارة) والذي يبلغ ارتفاعه ٦١ متراً .. وقد ساعده في هذا الارتفاع بالبناء أن الحجر أكثر تحملاً وصلابة من الطوب اللبن .

ثم تطور بناء الهرم من الشكل المدرج إلي الشكل الذي نراه اليوم في أهرام (سنفرو) بدهشور ، وأهرامات خوفو وخفرع ومنقرع بالجيزة .

قلنا أن الملك خوفو أراد لهرمه كمالا وروعة واتقانا ودواما ، وقد تحقق له ذلك ، وكنا قد توقفنا عند هذا الحد في روايتنا ، إلا أن للحديث عن الهرم روعة ، وللتأمل في أسراره وغموضه ما يأخذ بالألباب .

فالهرم الأكبر يتربع علي مساحة ١٣ فداناً ، وقاعدته مربعة تماماً ، يبلغ طول الضلع منها ٢٣٠ متراً ، وارتفاع الهرم وقت انشائه كان ١٤٧ مترا .

والجدير بالملاحظة هنا أن المسافة بين الأرض والشمس هي ١٤٧ مليون كيلو مترا ، مما يؤكد العلاقة بين بناء الهرم وعبادة الشمس ، كما أن كل وجه من أوجه الهرم يقابل بدقة بالغة جهة أصلية .

وقد بني الهرم بأحجار يبلغ عددها حوالي مليوني وثلثمائة الف حجر، ويتراوح وزن الحجر بين ثلاثة أطنان وخمسة عشر طناً ، حتي أن نابليون عندما جاء بعلمائه إلي مصر ، قدر أن أحجار الأهرام الثلاثة بالجيزة تكفي لبناء سور يحيط

بفرنسا كلها ارتفاعه عشرة أقدام وعرضه قدم واحد .

كان الهرم الأكبر موضوعاً تناوله المؤرخون بالكتابة من كل زاوية ، فالمؤرخ الأغريقي (هيرودوت) الذي جاء إلي مصر في القرن الخامس ق.م. زار الهرم ووصفه وصفا تعوزه الدقة في بعض النواحي ، ويكتنفه الكذب والمبالغة والافتراء في نواح أخري وعذره أن معلوماته قد استقاها من غير الموثوق في رواياتهم أو من المتطفلين علي حقل الارشاد ، حيث لم يكن هيردودت علي معرفة باللغة المصرية القديمة ، قراءة أو كتابة .

تلي هذا المؤرخ آخرون من الاغريق والرومان وغيرهم ، وكلهم تحدثوا عن الهرم ومن بناه ، وعدد من عملوا في بنائه ، والسنوات التي تم فيها بناء الهرم ، بل حتي الكميات التي كان يستهلكها العمال في غذائهم من فجل وثوم وكرات .

ثم تلاهم العرب الذين فتحوا مصر عام ٦٤٢ ، وجاوزت أحاديثهم عن الهرم سحر ليالي الف ليلة وليلة .

فقد كانوا يتصورون أن الأهرام تخفي وراءها كنوزاً دونها كنوز سليمان ، فقد كتب المسعودي - المؤرخ في القرن التاسع الميلادي وقد كان يلقب «هيرودوت العرب» وله كتاب في التاريخ والجغرافيا اسمه «مروج الذهب ومعادن الجواهر» - أن الملك (سوريد) قبل الطوفان بثلاثمائة عام ، رأي في المنام أن الأرض قد أطيح بها وأن النجوم قد اختل مسارها وتلاطمت محدثة دمارا ودويا هائلين ، فجمع كهنته وأشار عليهم بأنه يريد أن يحفظ من الدمار علوم بلاده وسحرها وكنوزها ، في بناء متين بداخله سراديب تدون علي جدرانها حكمة البلاد ، كما أمر بأن يقوم بالحراسة (جِني) تقبع علي رأسه (حية) تقتل أي معتد أثيم ، كما أمر بأن يكتب علي الهرم (بنيت الأهرام في ستين سنة ولن يستطيع أحد أن يهدمها في ستمائة سنة برغم أن الهدم أيسر من البناء ، كما أنني كسوتها بالحرير ولن يقدر أحد أن يكسوها حتي بالحصير) .

علي الرغم من أن الكثير مما أورده المسعودي عن الأهرام بعيد عن الصواب إلا أنه يدل علي مدي اهتمام الناس بهذه الأبنية .

وبعد المسعودي ، وصف الأدريسي محاولة الخليفة (المأمون) فتح الهرم،

وكيف استعمل المنجمين ليجد منفذاً إلي داخل الهرم ، وكيف وجد المنفذ ، وكيف تضاربت القصص ، فقد قيل في رواية أن المأمون وجد بداخل تابوت في الهرم سيفاً ليس له مثيل ، وحجرا من الياقوت في حجم البيضة ، كما قيل في رواية أخري أنه وجد بداخل الهرم ذهباً وفيراً وبردية كتب عليها : (سوف يدخل هذا الهرم - دون جدوي - ملك بن ملك أنفق من المال قدراً مساويا لما وجده من ذهب) . ولما راجع المأمون حساب ما أنفق ، وجده مساو تماماً لقيمة الذهب الذي وجده ، فكف عن البحث . وقيل في رواية أخري أن المأمون وجد تابوتاً بداخله بعض العظام والغالب أن هذه الرواية هي الصحيحة ، فقد كان الهرم قد نهب في العصور القديمة .

ورحم الله شوقي متحدثاً عن المباني والبناء ، قائلاً :

أجفل الجن عن عزائم فرعون

ودانــت لبأســها الآنــاء

شـــاد ما لم يشد زمان ولا

أنشأ عصـــر ولا بني بناء

تمثال الملك خفرع
من حجر الديوريت



بعد أن دار حديثنا عن هرم خوفو الكبير ، يطالعنا الملك خفرع بهرمه الثاني ومعبده الجنائزي ، يحرسهما أبو الهول ، وقد كان بناء الهرم الثاني علي غرار الهرم الأكبر ، وإن كان أصغر منه قليلا ، كما أن المعبد الجنائزي بني لتقام فيه طقوس ومراسم لراحة الميت في حياته الأخري .

أما حقيقة أمر أبي الهول ، فإن عمال بناء الهرم الثاني إذ كانوا يقتطعون أحجاراً من الهضبة المقام عليها هذا الهرم ، خلفوا وراءهم كتلة ضخمة ناتئة من الحجر الجيري الأشهب ، كانت علي مابدا لهم تعطي شكلا منفرا ومظهرا لا يليق بجلال المنطقة ، فشكلوا هذه الكتلة تمثالاً علي هيئة أسد رابض له رأس إنسان نحتت علي صورة فرعونهم خفرع ينظر إلي الأفق الشرقي مرحباً بالشمس عند مطلعها حارسا لمنطقة الأهرام وجباناتها علي مدي العصور .

وقد كانت ضخامة أبي الهول تثير العجب ، فارتفاع التمثال من الأرض حتي أعلي الرأس ٢٠ مترا ، وطوله رابضا ٧٢ مترا ، أما عرض وجه التمثال فقد كان ٤,١ مترا ، وطول الأذن متران ، والأنف متر ونصف المتر وعرض الفم ٢,٣ مترا .

تعرض التمثال علي مدي الأيام لزحف رمال الصحراء عليه ، فكانت تدفنه تحتها وتكاد تكتم أنفاسه ، وما أن تزاح عنه هذه الرمال مرة ، حتي تعود لتدفنه مرات ، فقد عثر بين قدمي التمثال علي لوحة من الجرانيت تحوي نصا ينسب إلي تحتمس الرابع ، أحد ملوك الدولة الحديثة في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، يروي فيه قصته وهو أمير ، إذ كان يقوم برحلة صيد في منطقة الأهرام ، وأنه لما ألم به التعب في ظهيرة أحد الأيام جلس تحت ظلال التمثال فغشيه سبات عميق ، فرأي فيما يري النائم أن الإله (حور ماكيس خبر رع أتوم) - وهو بذاته أبو الهول - يخاطبه قائلاً : (أنت ابني وحامي حماي . سأنصبك ملكا علي الوجهين إذا قمت بإزاحة الرمال التي تغرقني وتقلق راحتي) .. وقد قام الأمير برفع الرمال عن التمثال ، وتحقق الحلم بتولي الأمير عرش مصر بعد أبيه (أمنحتب الثاني) الذي وجدت له أيضاً لوحة كبيرة في معبد مجاور لأبي الهول يزهو فيها بقوته البدنية ويباهي بقدرته علي شد القوس ورمي السهام ، حتي أن هذا الملك الأخير ، وجد قوسه الذي كان يفاخر به مدفونا معه في تابوته بمقبرته في وادي الملوك .

كما كان أيضاً ممن عملوا علي حماية أبي الهول من غزو الرمال بعض ملوك البطالسة الذين بنوا جدارا من الحجر والطوب اللبن لحجز الرمال عنه .

وللحق ، فإن هذه الرمال لم تكن متعدية علي أبي الهول ، فقد حمته - أزمنة كان مدفونا تحتها - حمته من الرياح وما كانت تحمله من ذرات رمال كانت تنحت في وجهه وجسمه ، ومن العوامل الجوية الأخري التي أثرت بشكل محسوس علي قشرته من الحجر الجيري . هذه العوامل كان من آثارها في الآونة الأخيرة سقوط جزء من كتف التمثال ، مما فجر قضية جوهرها صيانة الآثر الذي قال عنه القدماء أن الدهر لم يرحم من الزوال إلا الأهرام وصنم الأهرام .. الذي أسموه أيضاً طلسم الرمال أبا الهول العظيم ..

لم يسلم أبو الهول حتي من تعدي الإنسان ، فقد كانت ساحته أيام المماليك مسرحاً للهوهم ، وكانوا في غمرة مجونهم يطلقون علي وجه أبي الهول أعيرة نارية من بنادقهم أحدثت بالوجه ندوبا تشبه (حب الشباب) . حتي في عصرنا الحديث لم يسلم الأثر من تعديات قرية كنزلة السمان ، ومحال تجارية (بوتيكات) ومقاه تحيط به من كل جانب ، إضافة إلي الآثار الجانبية للمياه الجوفية ومياه المجاري . كما لم يسلم من الترميمات التي تمت علي غير أسس فنية ، مما حدا بجميع المعنيين إلي طرق جميع الأبواب المؤدية إلي انقاذ الأثر . فقد قام مؤخراً خبير عالمي - سبق له أن عالج قوس النصر بباريس - بدراسة حالة رأس أبي الهول واستقرارها علي الجسم ، كما قدمت هيئة اليونسكو خبراء وأجهزة للتعاون مع هيئة الآثار المصرية حفاظا علي أثر يمثل حضارة الإنسانية جمعاء .

قلنا أن أبا الهول تمثال ضخم للملك خفرع ، إلا أن لهذا الملك تمثالاً آخر عثر عليه ماريبت) عام ١٨٥٢ ، في بئر بالمعبد الجنائزي المجاور لهرم خفرع ، والتمثال للملك بالحجم الطبيعي يجلس علي عرشه يحرسه الإله حورس في صورة الصقر يحيط رأس الملك بجناحيه ، ومما يثير الدهشة أن فنان الدولة القديمة استطاع برغم صلابة مادة التمثال - فهو من الديوريت الأخضر الصلب - أن ينحت تمثالا وصفه مؤرخ وأثري عظيم هو (فلندرز بتري) بأنه يجمع بين دقة الملامح وأبهة الملك . وهذا التمثال يعتبر أروع تماثيل الدولة القديمة ويحتل مكاناً مميزاً في المتحف المصري بالقاهرة ، يليق بالملك خفرع باني الهرم الثاني وأبي الهول - صنم الأهرام وطلسم

الرمال - الذي يحيط بغموضه رهبة وجلال .

وصدق شوقي حين خاطبه مناجيا :

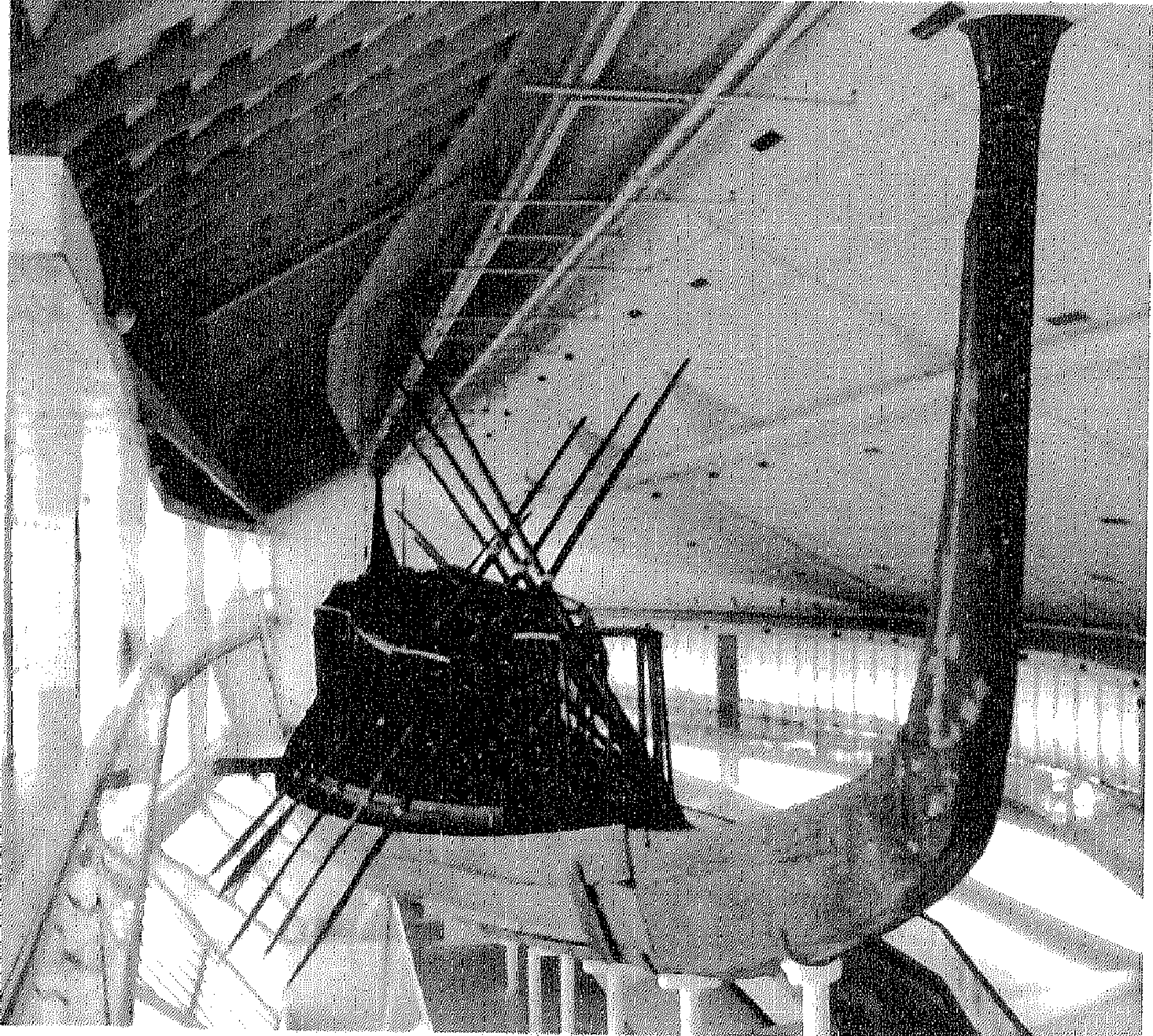
أبا الهول أنت نـــديم الزمان

نجـي الأوان .. سـمير العُصُر

فحدث ، فقد يهتدي بالحديث

وخبر .. فقـد يؤتسـي بالخبـر

مراكب الشمس



وكان اللغز هو : كيف بنى هذا الطود بينما المصرى
وقتها لم يكن يعرف الكهرباء أو البخار
أو الذرة ، أو الرافعة والعجلة !!

كمال الملاخ صاحب الفضل في العثور علي (مركب الشمس)
كما كان الحاج أحمد يوسف مصطفى
هو من أعاد تركيبها كما كانت !

---

٦٥١ قطعة خشبية ، كبيرة وصغيرة ، هي مكونات مركب الشمس
التي يبلغ طولها ٤٥ مترا موجودة الآن في متحف خاص !

مازلنا نواصل رحلتنا عبر العصور .. وإن كان قد طال بنا الطواف - فوق هضبة الأهرام مكانا ، وخلال عصر بناة الأهرام زمانا - فإنه قد يشفع لنا أن المكان آثاره وفيرة وأن الزمان أحداثه كثيرة ، وأن الأيام قديمها وحديثها ، تزودنا بكل طريف وغريب .

قلنا أن القدامي ، بدءاً بالأغريق ومن قبلهم ، ثم العرب ومن بعدهم من الأوروبيين والأمريكان من علماء آثار ومؤرخين وعلماء رياضيات وفلكيين ، ومن أفاقين ولصوص آثار طامعين ، وحتي من هواة تسلق الجبال الذين استهواهم الصعود إلي قمم الأهرام ، كل هؤلاء وغيرهم مسحوا منطقة الأهرام بحثا وتنقيبا ، حتي لم يعد من المتصور أن شبرا واحدا لم يفحص بيد المدقق الحريص الرصين ، أو بيد المخرب الطامع في ذهب الفراعين ، وحتي أصبح كل شيء عن الأهرام معروفاً معلوما مدروسا ، ولم يبق إلا اللغز الأزلي الذي يتردد علي لسان كل مهتم بهذا الأثر .. وهو .. كيف بني هذا الطود الجبار في زمن لم تدخله طاقة الكهرباء أو البخار أو الذرة ، فلم يكن المصري وقتها يعرف الرافعة - الونش - أو .. حتي العجلة !

وكان من نتيجة التنقيب الدائم عن المقابر ، والحفر المتصل في هضبة الأهرام أن كما هائلا من الأحجار والرمال قد ألقي بجانب الهرم ، مما حفز هيئة الآثار المصرية إلي اعداد خطة لإزالة هذه البقايا التي كان ارتفاع بعضها يصل إلي عشرين مترا ..

وبدأ التنفيذ الجاد في عام ١٩٥٤ ، بإشراف (كمال الملاخ ، الذي كان يعمل مهندسا بمصلحة الآثار (وهو الصحفي اللامع الذي عشنا معه سنوات علي صفحات جريدة الأهرام القاهرية) . وعندما وصل العمال في تنظيفهم للمنطقة إلي سطح الهضبة المقام عليها الأهرام ، عثروا علي حائط قرب الجانب الجنوبي للهرم الأكبر ، أثار شكوك الملاخ في أنه بني ليخفي تحته حفرة عميقة تماثل الحفر الأخري التي وجدت بجوار أهرام خفرع وددف رع والملكة خنت كارس ، والتي وان كانت قد وجدت خالية ، إلا أن الملاخ - وهو فوق كونه مهندسا كان يحمل درجة علمية في الآثار - تصور أنه لو وجدت حفرة تحت هذا الجدار لكان من المؤكد أنه سيجدها سليمة لم تنهب . وأنه سيجد بها القارب الملكي) !!

وقد بني تصوره هذا علي أن فكرة البعث التي كان يؤمن بها المصري القديم،

كانت تستوجب وسيلة لنقل المتوفي إلي العالم الآخر .. ولأن النيل كان شريان مواصلاتهم ، فقد كانت المراكب هي الوسيلة ، وقد دون المصري ذلك في نصوص الأهرام التي وجدت منقوشة علي جدران هرم أوناس من الداخل ، وفي البرديات التي كانت توضع في التوابيت ، وكانت تسمي (كتب الموتي) .

أزيل الجدار .. وعثر علي حفرتين ، الشرقية منهما كان يغطيها ٤١ حجراً ضخما ، رفع الأثري (كمال الملاخ) ، أحدها ونظر في قاع الحفرة فوجد - والكلام هنا للملاخ يقول : لم أتمالك نفسي فأغمضت عيني إذ أحسست أنني أشم رائحة بخور مقدسة ، مقدسة هي رائحة الزمن والقرون .. شممت رائحة التاريخ . ثم أيقنت أن (مركب الشمس) تقبع في هذه الحفرة ..

كانت المركب ، وهي مصنوعة من خشب الأرز المجلوب من لبنان - مفككة إلي أجزاء عددها ٦٥١ قطعة كبيرة وصغيرة ، صفت بعناية في ١٣ طبقة ، كل طبقة فوق الأخري ، ولم تمسسها يد منذ ٤٥٠٠ عام .

... رفع الستار عن مركب الشمس في مايو ١٩٥٤ ، وحين ذاك أدعي كثيرون فضل الكشف عن الأثر ، وفتح ملف ادعاءات واتهامات دام أكثر من ثلث قرن بين أطراف لقي الكثير منهم وجه ربه .. ومازالت القضية !!

وفي ديسمبر ١٩٥٥ بدأت رحلة ثانية ، بطلها هو (الحاج أحمد يوسف مصطفي) كبير المرممين في هيئة الآثار ، فقد كان عليه تجميع القطع الجاثية في قاع الحفرة إلي (مركب الشمس) علي الصورة التي كانت عليها من قبل إنزالها قطعاً داخل الحفرة .

أحس الرجل بضخامة العمل خاصة وأنه لم يكن علي دراية سابقة بصناعة السفن الكبيرة ، إلا أن الرجل الموهوب وقد منحه الله بصيرة نفاذة وفهماً لما كان يجول في خاطر الفنان القديم عندما كان يصنع أشياءه ، واصراره علي أن يتولي المصري ابن النيل اصلاح وترميم واعادة الأشياء والآثار المصرية إلي ماكانت عليه قبل تفككها أو كسرها أو تحطمها ، لجأ إلي نماذج لمراكب صغيرة جداً يدرسها ، وكانت محفوظة ببعض المتاحف .. وأنجز العمل ، حتي أنه يصدق فيه قول الشاعر :

وسر العبقرية حين يسري

فينتظم الصنائع والفنونا

تروي عن هذا الرجل وحبه لآثار مصر ، قصص تفوق الخيال ، فقد قيل عنه أنه كان يعمل في جبانة وادي الملوك لمدة عشرين عاماً ، وأنه كان يعرف كل مقابرها بأسمائها وأرقامها ونقوشها ، حتي أنه كان في بعض الأحيان يبيت فيها ، ويتصور نفسه صاحبا لها ، ويحلم بأنه هو الشخص المدفون فيها . كما يروي عنه أنه كان يقوم يوماً بعملية ترميم للوحة سيدة في مقبرة وبينما كان يزيل بعض الأتربة عن رأس السيدة مستعملاً قطعة خشبية خشنة ، أحس أن وجه السيدة يقشعر عند ملامسة الخشب له ، فأحضر فرشاة من وبر الجمل الناعم للقيام بإزالة الأتربة ، فأحس بأن السيدة تنظر إليه بامتنان !! ... روايات كالأساطير ...

غاية الأمر أن هذا الرجل أنجز العمل الرائع وأجري تجميع ٦٥١ قطعة خشبية كبيرة وصغيرة ، وأعاد تركيب (قارب الشمس) - ٤٥ مترا - علي الصورة التي كان عليها ، والقارب يعرض حالياً في متحف بني خصيصاً ليحتويه وحده . فوق الحفرة التي كانت تحتويه أشلاء لقرون طويلة .

مراكب الشمس والملكة حوتب حورس



«محفة الملكة»

مازلنا علي أول الطريق في رحلتنا عبر العصور فوق هضبة الجيزة ، كلما تقدمنا خطوة ، شدنا ثراء المنطقة لنقف وقتاً أطول ، نشهد أبدع ما شيد الإنسان علي مسرح الزمان ، حتي أن خيالنا من فرط ما الهمه هذا الكمال والاعجاز ، قد بدا وكأنه استوعب بعض ما كان يجري في ذلك الأوان ، فتصور - خيالنا - الملك خوفو جالساً فوق محفة خشبية أنيقة ، تزينها رقائق من ذهب خالص منقوش عليها اسم الفرعون ملك الوجهين ، وتعلوها مظلة تحجب عنه وهج الشمس ..

ويتمادي خيالنا ليتصور حوتب حورس ، ابنته الأثيرة لديه والتي أسماها باسم أمه الملكة ، جالسة إلي يمينه ، بينما إلي يساره يجلس وزيره هامان ، وجميعهم يتابعون ما يقوم به العمال حباً ووفاء وتقربا للملك المعبود ، ابن إله الشمس ، فهذا يصقل حجراً ، وهؤلاء يجرون آخر علي زلاقة ، وآخرون ينقرون في بطن الصخر سراديب وحفر ، بعضها لتكون حجرات دفن للأميرات والملكات ، والبعض الآخر لتودع فيها ما سميت بمراكب الشمس التي سبق الحديث عن كشف واحدة منها داخل حفرة كانت تحتويها مفككة قطعاً صغيرة ومعها آلاف الأقدام من الحبال المصنوعة من ألياف النخيل أو الكتان ، كما وجد في الحفرة أيضاً قطعة من الفخار تماثل فخار جرار الماء في ريف مصر هذه الأيام ، وكذا سكين من الصوان ومطرقة من صخر البازلت ، يحتمل أن تكونا سقطتا من أحد العمال أثناء إنزال القارب في الحفرة ، والذي نتصوره يلعن حظه العاثر لفقد أدواته الثمينة ، وان كان ذلك في سره ، حيث لايستطيع أن يلعن جهرا في مكان مقدس كهضبة الأهرام .

تصور البعض أن هذه المراكب كانت لاستعمال الملك في حياته ، ليزور الأماكن المقدسة في طيبة - الأقصر - وأبيدوس - العرابة المدفونة - وليعود بها إلي عاصمة ملكه في ممفيس - سقارة .

كما تصور البعض الآخر - وقد كانت فكرة البعث التي وردت في كل الأديان السماوية ، تسيطر علي فكر المصري القديم - تصور هذا البعض أن المتوفي كان يقوم برحلة مع إله الشمس في العالم السفلي علي طول النيل السماوي ، وقد كانت مراكب الشمس هي الأداة لرحلته للوصول إلي ذلك العالم الآخر حيث محكمة أوزوريس وعالم الموتي !!

ولقد أثبتت مراكب الشمس أن المصري القديم هو أول من عرف أن الأرض كروية ، لأن هذه المراكب كانت تسير مع الشمس من الشرق إلي الغرب حيث تغيب في العالم السفلي ولا تعود ، بل تواصل دورتها في هذا العالم الذي تسكنه الأرواح الطيبة في هيئة النجوم ، لتعود وتولد من جديد في الشرق ، كما أن رحلة هذه المراكب من الشرق إلي الغرب نهاراً ثم دورانها ليلاً حول الأرض لتعود إلي الشرق مرة أخري . لدليل علي أن المصري القديم ابتدع تقسيم اليوم إلي نصفين ، كل منهما إثني عشر ساعة !!

تركنا جلالة الملك مع حاشيته يشرفون علي الأعمال القائمة فوق الهضبة ، وفيما يلوح لهم من بعيد مركب يجلب أحجاراً من جبل المقطم شرقي النيل ، والجميع تغمرهم الفرحة بما تم أداؤه ، إذا بجماعة من الحراس يهرولون مسرعين ، ويتقدمهم كبيرهم نحو الوزير هامان ويهمس في أذنه بخبر كان وقعه كالصاعقة علي الوزير ، فقد أنبأ الرجل أن مقبرة الملكة حوتب حورس زوجة الملك سنفرو وأم الملك خوفو ، قد نقبت ونهبت ولم يبق منها غير الأثاث الجنائزي والتابوت المرمري الذي كان يحوي مومياء الملكة ، والتي لم يعثر عليها بداخله .

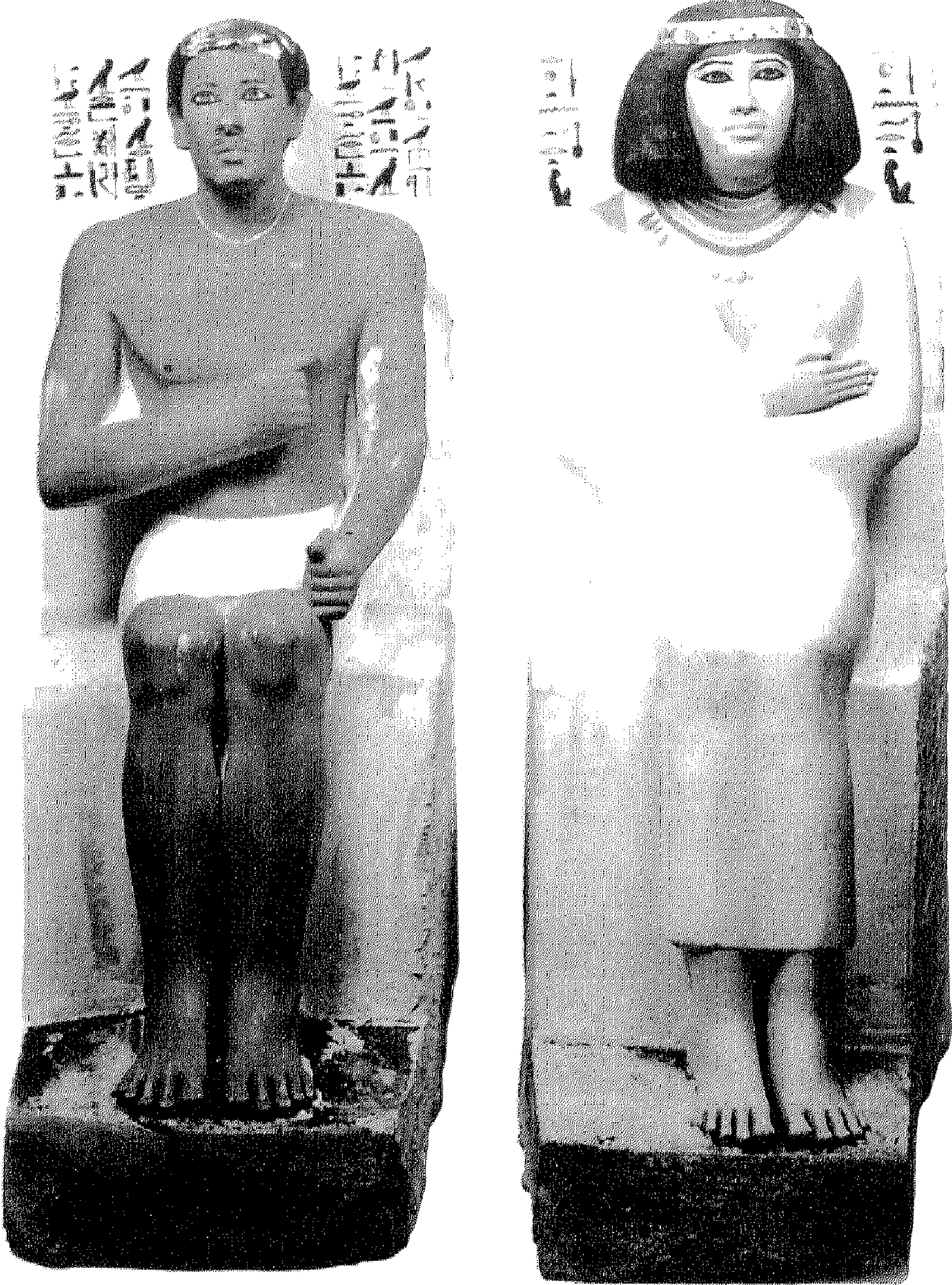
كان الخبر أخطرمن أن يخفي عن الملك ، وأقسي من أن يعلن إليه برمته ، فاختار الوزير أن ينقل الخبر للملك علي أنه حادث وقع في المنطقة التي دفنت فيها والدته الملكة ، وأنه سيتخذ إجراءات مشددة للحفاظ علي أمن المنطقة وأمان مقبرة وتابوت الملكة وجثمانها ، غير أن الملك وقد أفزعه النبأ ، أمر بتشكيل فريق للبحث عن المعتدين وعقابهم بجدع أنوفهم وتقطيع آذانهم وأيديهم وأرجلهم - وهو عقاب المصري القديم لناقبي القبور . كما أمر بأن ينقل جثمان والدته وتابوتها وأثاثها الجنائزي إلي منطقة الجيزة لتدفن في مكان أمين بجوار هرمه الكبير . وإذ كانت هناك حفرة بجوار الهرم بعمق ما يقرب من ثلاثين متراً في نهايتها حجرة منحوتة في الصخر ، فقد سارع الوزير إلي إحضار التابوت بحالته ، ومعه الأثاث الجنائزي ، وفي عجلة وسرية ، تمت عملية الدفن في هذه الحفرة العميقة ، دون أن يشعر الملك بأن التابوت كان خالياً ، ثم تم بناء جدار لسد الحجرة ، وبعدها تم ردم الحفرة بالأحجار إلي مستوي الهضبة ، ثم سويت مع الأرض بكميات من الرمال والمونة البيضاء ، حتي لم يبق أثر لما تم عمله ...

وأسدل الستار ، حتي كان عام ١٩٢٥ ، وكان الأثري (ريزير) يقوم بأعمال تنقيب لحساب بعثة جامعة هارفارد وبوستن الأمريكية ، وأثناء الحفر تم الكشف عن الحفرة التي أودع بها التابوت ، وقد تصور رجال البعثة ما تصوره الملك خوفو قبلهم بأكثر من ٤٥٠٠ سنة ، أن التابوت سليم ، إذ وجدوا الجدار الذي يسد حجرة الدفن سليماً كما وجدوا التابوت مغلقاً ، لكنهم عندما فتحوا التابوت وجدوه فارغاً وبجواره الأثاث الجنائزي وقد أبلاه الزمن فلم يبق منه إلا آثار أخشاب هشة وبعض رقائق من الذهب كانت تحيط بالخشب لتجميله .

ربما كان لصوص الآثار أيام خوفو ، بعد أن فتحوا تابوت الملكة أخذوا ما كان يحيط بموميائها من ذهب ومجوهرات وتمائم وقلادات ، ثم مزقوا اللفائف التي تحيط بالجثمان لكي ينهبوا كل ما يمكن العثور عليه بين اللفائف ، ولأنهم كانوا يعلمون أن الوسيلة الوحيدة للإفلات من مطاردة روح الملكة لهم هي حرق جثمانها ، فقد نفذوا ذلك حتي لايلحقهم العقاب ، وتركوا التابوت فارغاً ، وهو الأمر الذي أخفي عن الملك خوفو الذي وان كان التاريخ لم يدونه ، إلا أن الباحث المدقق قد لايجد أساساً مقنعاً غير ماسبق تصوره .

ان علم المصريات والآثار الذي يقدر مابذل الحاج أحمد يوسف مصطفي من جهد وعرق في تجميع أجزاء مراكب الشمس - من عام ١٩٥٧ إلي عام ١٩٧٠ - ليذكر أيضاً بالشكر والعرفان ما بداه هذا المصري الأصيل في شبابه عام ١٩٢٧ من عمل رائع في ترميم الأثاث الجنائزي للملكة حوتب حورس ، والذي وجده باليا متآكلاً ، حتي أعاده إلي حالته التي كان عليها أيام الملكة ، حتي أن هذا الأثاث- ويتكون من محفة وسرير وصندوق ملابس - يتربع في قاعه بالمتحف المصري مفاخراً مزهواً بما وصل إليه الفن القديم من فخامة وأبهة .

نهاية الدولة القديمة



رع حتب ونفرت - من روائع الدولة القديمة



تمثال شيخ البلد .. من خشب الجميز

وقد طال بنا الطواف فوق هضبة الجيزة نشاهد أهراماتها ونتابع أخبار من بناها من ملوك الأسرة الرابعة - التي حكمت مصر لمدة أكثر من ٢٥٠ سنة بدءاً بالملك سنفرو باني أهرام دهشور وإنتهاء بالملك شبسسكاف صاحب مصطبة فرعون - كان علينا أن نخطو خطوة .. زماناً ومكاناً .

فمن حيث الزمان كان ملوك الأسرة الرابعة قد أثقلوا كاهل الشعب خلال سنوات حكمهم الطويلة من بناء الأهرامات الضخمة - ومهما قيل أن ذلك كان حباً وتقربا من الشعب للملك الإله إلا أن العطاء كان فوق الطاقة ومما ضاق به ذرع أجيال تعاقبت في البناء - كما كان بناء الأهرام يستلزم أموالاً طائلة دعت الملوك إلي منع تقدمة العطايا والقرابين للمعابد مما أوغر صدر كهنة رع الذين ما أن استشعروا ضعف أخر ملوك هذه الأسرة حتي قاموا بانتزاع السلطة وتمكين واحد من أبنائهم من الجلوس علي عرش مصر .

وبذلك بدأت أسرة خامسة تحكم مصر كان أول ملوكها أوسركاف وهكذا تحققت النبوءة القائلة أن عرش مصر سيئول إلي أبناء كاهن للإله رع ومن حيث المكان انتقل مسرح هؤلاء الملوك جنوباً إلي سقارة لنشهد فيها وعلي جدرانها آثار هؤلاء الملوك الذين كانت أسماؤهم جميعاً مقرونة باسم الإله رع .

بدأ الملك أوسركاف يعطي للمعابد وضعاً متميزاً وللكهنة سلطاناً لم يسبق لهم أن مارسوه وعطايا أغدقت كانوا قد حرموا منها لمئات السنين - كما بني للإله رع معبداً أسماه «افق رع» غير أن مقبرة هذا الملك وجدت مهدمة تماماً ولم يعثر إلا علي رأس تمثال ضخم للملك من الجرانيت الأحمر نقل إلي المتحف المصري بالقاهرة.

تلي أوسركاف من الملوك ثمانية نذكر منهم أوناس صاحب الهرم الذي وان كان بالنسبة لأهرام الجيزة أو هرم زوسر المدرج بسقارة يبدو صغيرا إلا أن الممر المؤدي إليه بطول ٢٢ مترا يتميز برسوم رائعة تصور نقل أعمدة من الجرانيت علي هيئة جذوع النخيل بواسطة النهر من أسوان وقد كانت هذه الأعمدة تستعمل في بناء المعابد الجنائزية كما أن هذا الهرم يمثل بالنسبة لعلماء الآثار أهمية خاصة إذ أنه يحوي أول نصوص جنائزية تسمي «متون الأهرام».

وتحوي تعاويذ يستعملها الملك لتحميه في رحلته في العالم السفلي ولتزوده

بالراحة والخلود في حياته الأخري .

لم تحظ الأسرة الخامسة بأحداث يمكن أن تكون ذات بال وإن كانت هذه الأسرة قد تحقق في زمانها انجاز بناء بعض المعابد ومقابر النبلاء كمقبرة خنوم حتب الرائعة الرسوم والتي نجد فيها الكثير من مناظر الحياة اليومية لصاحب المقبرة .. كما تحقق خلال حكم هذه الأسرة رخاء للطبقة الوسطي من الشعب واحساس بالرضا لدي العامة لم يكن متوفراً من قبل كما بدأت كتابة الرسائل والعقود والوصايا علي أوراق البردي حتي لقد وجدت بردية مسجلا عليها وصية بتقدمات لمقبرة الملكة خنت كاوس أم أول ملوك هذه الأسرة .

دام حكم الأسرة الخامسة ١٤٠ عاماً تقريباً ثم بدأت الأسرة السادسة بالملك تيتي الذي لم يصل لنا من أخباره الكثير وحتي ما ذكره المؤرخ مانيتون أن هذا الملك قد قتل بيد أحد حراسه خبر مشكوك فيه . ولوزير هذا الملك «مريروكا» مقبرة في سقارة تحفل بمناظر الصيد والزراعة والصناعة والرعي . تولي الحكم بعد ذلك بيبي الأول الذي حكم قرابة خمسين عاماً وقد وجد نص في وادي الحمامات يشير إلي احتفال الملك بمرور ٣٠ عاماً علي حكمه وكان يسمي عيد «حب سد» وفيه يرقص الملك رقصة تؤكد دوام شبابه وصحته . كما تولي حكم مصر خلال هذه الأسرة الملك بيبي الثاني وقد دام حكمه تسعة وتسعين عاماً وكان قد تولي الحكم صغيراً .

قد يكون ما وصل إلينا من أخبار عن موظفي ووزراء هذه الحقبة أكثر مما وصل لنا عن ملوكها . فقد كان من أخبار «وني» وهو من أبناء الشعب أنه بدأ العمل كموظف بسيط في عهد الملك تيتي حتي أصبح صديقاً وسميراً له . وفي أيام بيبي الأول اكتسب ثقة الملك فعينه وزيراً وقاضي القضاة في عهده حتي أنه يصور لنا في مقبرته ما قام به من تحقيقات في قضية حريم هذا الملك وما أولاه الملك من ثقة جعلته الوحيد الذي يدخل مقر الملكة لسؤالها فيما نسب إليها من تهم في القضية.

كما دون علي جدران مقبرته الحملات التي كلفه بها الملك في الشمال والشرق والجنوب لتأديب الشعوب المعادية وأشار إلي أنه تولي وظيفة حاكم الاقليم الجنوبي في عهد مري ان رع .

أما عن حرخوف وهو أحد رجال بلاط الملك بيبي الثاني فإن قصته التي تشير إلي أنه عندما كان في رحلة خارج البلاد عثر علي قزم يجيد الرقص فأرسل إلي الملك

يخبره بأنه سيأتي بهذا القزم إلي بلاط الملك يتسلي به وقد كان الملك في التاسعة من عمره وقت ذاك فأرسل له خطاباً يشكره فيه علي ذلك طالباً منه أن يتولي رعايته حتي يصل سالماً .

انتهت الأسرة السادسة بعدد من الملوك الذين كانت مدد حكمهم قصيرة وكانت أخرهم بحسب ما ورد عن مانيتون هي الملكة نيتوكريس التي قال عنها أنها كانت أنبل وأعظم نساء عصرها .. وكانت بحسب هيرودوت شخصية فذة فقد روي عنها أن بعض رجال الدولة اغتالوا شقيقها وأجلسوها علي عرش مصر دون رغبتها ولكي تنتقم ممن دبروا هذه المؤامرة فقد شيدت قصراً بأسفله بعض الحجرات المتصلة بسراديب مغلقة تنتهي بنهر النيل ثم دعت هؤلاء الرجال للاحتفال معها بافتتاح هذا القصر ولما اجتمع شمل هؤلاء القوم فتحت السراديب المؤدية إلي النهر حتي لم ينج منهم أحد ثم أنهت حياتها بيدها .

تلك كانت أخبار الأسرتين وللحق فإن جانب الفن لا يمكن اغفاله في تلك الفترة فقد ازدهر سواء في التصوير أو النحت أو صناعة الحلي .. وأن نظرة واحدة إلي مناظر الأوز في لوحة ميدوم أو لتمثال كاعبر وهو الذي أسماه العمال الذين اكتشفوه بتمثال شيخ البلد لتشابه ملامحه مع ملامح شيخ بلدتهم- لتدل علي مدي ما وصل إليه الفن من روعة واتقان .

عصر الاضمحلال الأول

« عظيم الملك بعظمة رجاله .. قوي بعدل نبلائه

« حكمة مصرية قديمة »

حقق كشف بعثة المركز الاسترالي للمصريات - انجازا -

بكل المعايير - يضارع كشف مقبرة

« توت عنخ آمون »

خمسة قرون هي عمر الدولة القديمة عبرنا خلالها من الأسرة الثالثة حتي الأسرة السادسة – وارانى لم أقدم من أخبارها إلا قليلاً – وقد يكون مرجع ذلك إلي أن الأمور كانت مستتبة في الداخل ، إذ كان الملك هو السلطة المطلقة في البلاد ، لا راد لأمره ولا معترض علي قراره ، كما أن البلاد كانت محصنة بالبحر شمالاً وبالصحراء شرقاً وغرباً وبالشلالات والجنادل جنوبا ، فلم تدخل في حروب مع جيرانها دفاعا أو غزواً .

غير أن حياة الدول كحياة الأفراد قد يصيبها بين الحين والحين ضعف أو وهن ، وقد كان هذا هو حال الدولة القديمة . إذ ما أن طال حكم الملك بيبي الثاني في الأسرة السادسة إلي ما يقرب من المائة عام ، حتي علت رءوس بعض ولاة الأقاليم بعد أن استشعروا ضعف الملك وكبر سنه ، وعدم قدرته علي الإمساك بزمام أمور البلد وعجزه عن الردع والحزم والحسم ، فاستقل كل حاكم باقليمه ثم بدأت النزاعات بين حكام الأقاليم . وتعقدت الأمور حتي لقد قيل أن بعض الطامعين من بلاد أسيا قد دخلوا مصر غزاة من بابها الشرقي عبر سيناء والدلتا . وإن كان ذلك يعوزه الدليل ، إلا أنه يمكن القول بأن الرعاة وقد وجدوا حالة الضعف التي تسود فدخلوا البلاد للرعي وليس للغزو والقهر وذلك مثلما حدث في أيام النبيين إبراهيم ويعقوب اللذين وردت أخبارهما في التوراة. وهكذا عمت الفوضي البلاد خلال فترة سميت بعصر الاضمحلال أو الانحلال الأول ، حتي لقد قيل أن الأسرتين السابعة والثامنة حكم خلالهما سبعون ملكاً علي مدي ٧٠ يوماً ، وهو قول فيه الكثير من المبالغة والسخف إلا أنه يعطي فكرة عن مدي ما انتاب البلاد من فساد وفوضي ، غير أن الزمن المرجح لحكم هاتين الأسرتين كان ٢٥ عاماً .. كما يمكن القول أن حكم الاقطاع هذا دام فترة تزيد علي المائتي عام من الأسرة السابعة حتي الأسرة العاشرة .. وهو زمن ضاق به صدر الشعب المصري حتي لقد وجدنا في كتابات أحد حكماء ذلك العصر «ايبي ور» ما يصور حالة الضياع والانحلال التي سادت فقد وصف البلاد بأنها تدور حول نفسها كعجلة الخزاف ويقصد بذلك أن زمام حكم البلاد قد افلت ، وان الأخلاق فسدت ، وأن الهيكل الاجتماعي للبلد قد انقلب رأساً علي عقب ، فأصبح رفيع المقام حقيراً ، والحقير عظيماً مرموقاً ، واصبح لباس الملابس الفاخرة يرتدون الاسمال والخرق البالية في حين يلبس خدمهم ملابس من

الكتان الفاخر .

كما كانت الخادمة تتحلي بأساور من ذهب وفضة مطعمة بالفيروز والأحجار الكريمة بينما لا تجد سيدتها قوت يومها . وتدهورت حالة الأمن فأصبح قطاع الطريق يتربصون للناس في وضح النهار ، ينهبون ويقتلون وصار الابن عدو أبيه ، والأخ يبغض أخاه ، كل ذلك كتبه حكيم ذلك الزمان كما أضاف فوق ذلك حكيم آخر يدعي «نفر روهو» وصف مآس وويلات عاني منها الصغير والكبير ، حتي أن أحد ملوك الأسرة العاشرة وجه نصائح إلي ابنه الملك مري كا رع يحضه فيها علي رفع الظلم ، واحقاق الحق والعدل قائلاً : «دع عظماء رجالك ينفذون القانون بحق .. لأنه عظيم الملك بعظمة رجاله وقوي بعدل نبلائه» ولا تميز بين ابن عظيم وابن فقير» وعندما رأي ذلك الملك أن الأهرام والمقابر قد نهبت وأهملت في ذلك الآوان ، وخلت من ملوكها ، وأضحت حطاماً وانقاضاً ، نصح ابنه : «لا تتعدي علي مقبرة غيرك ولا تأخذ حجراً من أحجارها لتبني به مقبرتك» كما نري في تعاليم هذا الملك ما يشير إلي أن صفة الألوهية التي كان يدعيها ملوك الدولة القديمة والتي كانت تعطيهم حق العصمة من الخطأ ، قد مضي زمانها وانقضي ، فقد جاء في حديث هذا الملك لابنه ما يفيد بأن ما حاق بالبلاد كان عقوبة حتمية نفذتها الآلهة لقاء ما ارتكبه الملك من أخطاء ، وهكذا أصبح الملك في عصر الانحلال إنساناً يخطيء ويجوز عليه الحساب . لقد حاق بالبلاد خلال هذه الفترة الوباء والجوع والبلاء مما جعل الناس تتمني الموت فلا تجده حتي أن الكثير منهم أثر الانتحار في ماء النيل وفي ذلك يقول «ايبي ور» « لقد أصبح النهر مقبرة للناس . والتماسيح تغوص للقاء من تقدموا طواعية إليهم لتلتهمهم وتريحهم من عذاب وجوع وحرمان كانوا منه يقاسون» .

وبرغم ما أسلفنا فإن هناك ما يميز هذا العصر عن سابقه . وهو الأدب الرائع الذي تجلي فيما وصلنا من حكم «ايبي ور» و «نفر روهو» والنصائح إلي الملك مري كا رع والذي يعبر بصدق عن نبض الشعب ووجدانه .

هذا وقد حقق المواطن المصري شيئاً في حياة ما بعد الموت لم يحققه في حياته الدنيا في ذلك العصر إذ تمكن من تدوين بعض من نصوص كتاب الموتي علي تابوته لحمايته ورعايته وهو أمر كان قاصراً علي الملوك وحدهم..

وتمر الأيام ..

وفي شتاء عام . كان المركز الاسترالي للمصريات بإدارة البروفيسور نجيب قنواتي قد حصل علي امتياز التنقيب في تل كامل - جبانة كاملة في بلدة قرب مدينة «سوهاج» وقد كانت الإدارة المصرية علي يقين من ان شيئاً لن يكتشف فقد سبق للسير فلندرز بتري عالم المصريات البارز أن نقب في هذه المنطقة في عام ١٩٢٢ فلم يجد شيئاً ، لأن اللصوص كانوا قد سبقوه إلي هذا الموقع .. وقد كان تصور بتري أن التنقيب يبدأ من منتصف التل لأنه مرتفع بالنسبة للصوص ، ولكن الوصول إليه ميسور بالنسبة للأهل وللكهنة لزيارة قبور الأهالي . غير أن د. قنواتي بدأ الحفر من القمة ونجح في العثور علي مقبرة يرجع عصرها إلي عصر الاضمحلال الأول حوالي عام ٢٢٠٠ ق.م وهو العصر الذي نحن بصدده ووجد المقبرة كما هي لم تعبث بها يد اللصوص - وهو أمر بكل المعايير يعطي للكشف أهمية تضارع كشف مقبرة الملك «توت عنخ آمون» - وقد عثر بداخل المقبرة علي ستة توابيت عليها أسماء أصحابها وبداخلها ستة مومياوات لأسرة واحدة لأحد المحاربين في زمانه ويدعي «حفثي» وهو في الأربعين من عمره تقريباً ومعه زوجته وأثنين من الأبناء وزوجة أحد أبنائه وواحد من أحفاده . كانت كلها في حالة من الحفظ جيدة وان كان قد حدث خطأ في الدفنات إذ وجد «حفثي» الزوج في تابوت زوجته ، وزوجته في تابوته ، مما يرجح معه أن الدفن تم بطريقة سريعة وأن الوفاة بالنسبة للجميع كانت بسبب معركة أو وباء أو مجاعة وقد كانت كل هذه من سمات عصر الاضمحلال الأول .

مصر الزراعة والفلاح



تربية الماشية

هذا المصري الذي عشنا قليلاً من الزمان مع بعض من ملوكه وحكامه ، والذي عاش فينا - جيلاً بعد جيل - يسري في عروقنا دماء من دمائه . ويحيا فينا وجوداً ووجدانا ، إلا يجدر بنا أن نجتلي أخباره ونسبر أغواره ونحقق ماذا بقي منه فينا .. وماذا تغير فيه وتبدل فلم يصل إلينا .

ان المتأمل في أعماق التاريخ ليجد أن ثقافات وتقاليد بلاد كثيرة قد تغيرت مع الزمان ، إلا أن إنساناً واحدا لم يتغير برغم مرور ستة آلاف سنة علي تاريخه المكتوب . فإنه مازال يحتفظ علي الأقل بالسمات الجوهرية لتقاليده ... ذلك هو الفلاح المصري ... هو هو فلاح الدولة القديمة والوسطي والحديثة وفلاح عصور حكم اليونان والرومان والعرب وما تلاها من عصور تعاقبت حتي آخر فرعون حكم مصر «فاروق» .

فمصر بلد زراعي عماده الأرض والفلاح وقد استطاع المصريون القدماء أن ينهضوا بالزراعة . ساعدهم في ذلك أن فيضان النيل كان يأتيهم بالطمي الذي يغذي الأرض بطبقة خصبة . وبالماء الذي يروي النبات وينميه ..

ولقد أورث فلاح الماضي كل مهاراته وخبراته لأبنائه وأحفاده - فلاحي الحاضر - الذين حفظوا التراث الغالي حتي أنه إذا قيل أن «مصر هبة النيل» فإنه للحق نقول أن مصر أيضاً كانت وديعة في يد الفلاح المصري حفظها ورعاها علي مدي العصور .

لم يغير الفلاح المصري شيئاً من أساليب زراعة أجداده . فالفأس التي يستعملها في هذه الأيام هي هي فأس الأمس التي كانت وما تزال عدة الفلاح المصري «لعزق» الأرض . والتي كان يسميها بالمصرية القديمة «مر» وقد تكون قد اشتقت منها كلمة «مرو» ومعناها «حاملو الفئوس» أي الفلاحون . وأيضاً كلمة «تاميري» ومعناها أرض الزراعة أو أرض الفيضان حتي أن الفلاح المصري إلي يومنا هذا يسمي فترة أيام الفيضان «دميرة» حتي كلمة «طورية» وهي الفأس أصلها قبطي.

استعمل الفلاح المصري قديماً وحديثاً المحراث لحرث الأرض وإن كان نصله أيام القدماء من الخشب أو الحجر . كما استعمل المنجل وكان يتكون في القديم من قطعة

مقوسة من الخشب مثبت علي جانبها قطعاً حادة من حجر الصوان . وقد عثر علي منجل بهذا الشكل في قبر «حماكا» من الأسرة الأولي في سقارة . كما استعمل في القديم والحديث المذراه لفصل الحب عن القش .

وحتي في مجال الري لا نجد فارقاً في الوسائل فالشادوف هو بذاته شادوف الأمس وقد وجدت رسوم له بإحدي مقابر الأقصر . كما أن الساقية لم تتغير . فقد عثر علي واحدة منها الدكتور سامي جبره في حفائر تونة الجبل وهي لاتزال باقية منذ العصر الروماني حتي اليوم .

ومثلما استعمل الفلاح القديم حيوانات الحقل في الحرث والجر ونقل المحاصيل وحتي في تسميد الأرض إذ كان يستعمل روثها في هذا الغرض .. كذلك كان الحال بالنسبة لفلاح العصر الحديث . وحتي الصوامع التي تستعمل في تخزين المحاصيل. هي هي لم تتغير في شكلها أو مادة صنعها .

وفي مجال الأسرة كان فلاح الأمس البعيد يحب أسرته ويكثر من أولاده ليتولوا معه ومع زوجته كل العمالة في الحقل .. وكذلك يفعل فلاحو اليوم .

لا زال الفلاح المصري يستعمل حتي اليوم الأشهر المصرية القديمة في تقويمه وحساب أيام زرعه وحصاده .. فلا يستعمل الفلاح المصري .. مسلما كان أم مسيحيا – التقويم الميلادي أو الهجري في حساب الشهور والأيام بل يستعمل التقويم المصري القديم وينطق شهوره باسمائها التي حفظتها اللغة القبطية ... وهي :

توت :

ويبدأ في ١١ سبتمبر وهو شهر الإله «تحوت»إله الحكمة والعلم والذي يأتي مبشرا ببدء السنة الزراعية .. ومن أمثال الفلاح المصري «توت ري ولا فوت» ويعني من يفوته ري أرضه في هذا الشهر لا يصلح له زرع .

بابه :

ويبدأ في ١١ أكتوبر وهو شهر الإله «آمون» والمثل في هذا الشهر يقول «بابه خش واقفل البوابة » درءا للبرد الذي بدأ .

هاتور :

ويبدأ في ١٠ نوفمبر وهو شهر الإلهة «حتحور» إلهة الخصب والحب

والجمال. وفيه تبدو الحقول عامرة بزراعات «هاتور أبو الدهب المنثور».

كيهك :

ويبدأ في ١٠ ديسمبر وينطق بالمصرية القديمة «كا ها كا» أي الأرواح مجتمعة . وفي هذا الشهر يقصر النهار ويطول الليل . لذلك يقول المثل «كياك صباحك مساك .. شيل ايدك من غداك وحطها في عشاك».

طوبة :

ويبدأ في ٩ يناير وهو شهر أعياد القمح ولاشتداد البرد في هذا الشهر يقول المثل «برد طوبه خلي الصبية كركوبة».

أمشير :

يبدأ في ٨ فبراير وإليه ينسب إله الريح مشير .. وتكثر الزوابع في هذا الشهر ولذلك يقال «أمشير أبو الزعابير .. يأخذ العجوز ويطير».

برمهات :

وبدايته ١٠ مارس وينسب للملك امنمحات . وفيه تجمع المحاصيل الشتوية والمثل في هذا الشهر يقول «برمهات روح الغيط وهات».

برمودة :

ويبدأ في ٩ أبريل وينسب إلي إلهة الحصاد رينوته .. والمثل يقول «برمودة دق بالعمودة» أي دق سنابل القمح لفصل الحب عن القش .

بشنس :

بدايته ٩ مايو وينسب إلي إله القمر «خنس» وفي هذا الشهر يكون الزرع قد تم جمعه ولم يبق في الأرض نبات ولذلك يقول المثل «بشنس يكنس الغيط كنس».

بؤونة :

ويبدأ في ٨ يونيه – بااون – ومعناها وادي الحجارة في «أون» وهي بلدة طيبة – الأقصر حالياً – ولشدة حرارة هذا الشهر يقول المثل «بؤونة الحجر ينشف الميه في الشجر».

أبيب :

ويبدأ في ٨ يوليو ويرمز إلي انتصار الخير وفيه يفيض النهر ولذلك يقول المثل «أبيب مية النيل تدب فيه دبيب».

مسري :

ويبدأ في ٦ أغسطس «مس رع» ومعناه ابن الشمس .. ولأن مياه النيل تملأ النهر وتفيض فإن المثل يقول «مسري تجري فيه كل ترعة عسرة».

وتبقي خمسة أيام أو ستة ليكمل المصري أيام السنة وأسماها «أيام النسيء أو الحسومات» .

وهكذا حفظ الفلاح المصري تقاليد وتراث آبائه وأجداده - فلاحي الوادي الخصيب - ولم يفرط في حضارة سرت في كيانه مسري الدم في عروقه .

الأسرة
فى مصر القديمة



القزم سونب وزوجته

لم يتحقق لبلد من بلاد العالم ما تحقق لمصر من حفظ للتراث والتقاليد والعادات . فمصر القديمة لازالت تحيا بروحها في ابنائها الذين أرضعتهم - جيلا بعد جيل - فكرا صافياً نقياً - . وحكمة تعلمها كل من عاش علي أرضها وتحت سمائها . وحتي في أحلك الأيام - التي كانت بين الحين والحين تعكر صفوها - كانت مصر كجذوة النار التي لا تخمد تحت الرماد . بل تحفظ لأولادها كتب فكرها، وأسفار حكمتها وما تلبث أن تعود وهاجة تلمع بأعرق حضارة عرفها التاريخ.

عاشت هذه الحضارة في أسرة المصري وبيته ، ولم يغير فيها إلا قليلاً . فالمصري تعلم أن يمارس ما تعلمه عن أبيه ، طاعة للوالد واحتراماً ، واستفادة من خبرته . وخوفا من تأديبه إن ضل ، أو من سخطه وعدم رضاه عنه إذا حاد عن الطريق . فقد كات سلطة الأب علي أولاده هي التي حفظت علي مدي الأيام تقاليد الأسرة في مصر ، ويكفي في هذا المجال أن ننقل ما قاله الحكيم «بتاح حوتب» من القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد» علي المرء أن يجد كل شأن فاضل لولده المطيع ، وأن تري عيناه وتسمع أذناه ما ينفع ولده ، وأن يفيده بخبرته ويلتمس ما يرفع مستواه ما استطاع إلي ذلك سبيلاً» .

ومثلما كان يرعي الأب أولاده نجد أن للأم دوراً لازالت تمارسه مثلما ما كانت تمارسه أمها وجداتها حتي أقدم عصور مصر القديمة . فلازالت بعض الأمهات في ريف مصر يستعملن الرقي والتمائم في فترات الرضاعة لدر اللبن وعدم انقطاعه . ويلجأن إلي الأحجبة والتعاويذ اعتقاداً بأنها تقي الأطفال من الحسد وأذي الشياطين وأمراض التسنين وغير ذلك ، كما كانت الأم تقوم بالكثير من شئون أولادها حتي في فترة صباهم حتي أنها كانت تحمل إليهم طعامهم وشرابهم في المدرسة وفي ذلك نجد الحكيم آني من القرن السادس عشر قبل الميلاد يطلب من أحد الأبناء أن يحفظ جميل رعاية أمه له قائلاً «ضاعف الخبز لامك ، واحملها أن استطعت كما حملتك صغيرا» .

قد تتفاوت حالات الأسر المصرية من حيث الفقر والغني ، والرفعة والضعة ، والسعة والضيق ، ولكنها جميعا علي اختلاف ظروفها تنعم في القديم وفي الحديث باستقرار قد لا يتوفر في مجتمعات أخري . فالزوج تشاركه زوجته في اعباء الحياة،

في البيت وفي الحقل وفي تربية الأولاد ورعاية كل الشئون.

وقد كانت الزوجة سيدة دارها . ولذلك كان جيرانها يدعونها ست الدار «نبت بر» وكان زوجها يدعوها «سنة» أي اخت . أو «مرة» أي حبيبة كما كانت الزوجة تدعو زوجها بالسيد «نب» والاخ «سن» حتي أن الوزير الحكيم بتاح حوتب كان ينصح الزوج قائلاً «احبب زوجتك . وعاملها بما تستحق . واشبع جوفها . واستر ظهرها . وعطر بشرتها بالدهن».



صناعة الخبز

وفيما كان الزوج يرعي زوجته هذه الرعاية التي دعا إليها حكماء مصر . كانت الزوجة تدرك حقيقة وضعها بالنسبة لزوجها . مطيعة له راضية بتوجيهه لها، عالمة بأنه القوام عليها ، تخدمه وترعي بيته وتصون عرضه . وفي اطار هذا الأسلوب المستقر من الحياة العائلية . لم يقدم لنا التاريخ كثيراً من حالات للطلاق أو لتعدد

الزوجات حتي أن مخطوطا يرجع إلي القرن العشرين قبل الميلاد يتحدث عن أن الطلاق أو الزواج بإمرأة أخري أو فقد الزوجة شر مستطير . وان كان ذلك لم يمنع من أن زوجات عقيمات طلبن من أزواجهن الزواج بأخريات ، طلباً للخلف . وتروي لنا بعض المصادر قصة ضرتين كانتا تعيشان في سلام ، حتي أن واحدة منهما اطلقت اسم ضرتها علي ابنتها ، وأن الثانية اسمت بناتها الثلاث باسم ضرتها تأكيداً لما بينهما من محبة ووئام .

كما قدم لنا التاريخ قصصاً عن حب الزوج ووفائه لزوجته ، ففي رسالة وجدت في قبر احدي الزوجات ، كان الزوج قد وجهها إليها بعد موتها معاتباً روحها علي فراقها له ، ومتخيلاً أن المرض الذي الم به بعد وفاتها كان بسبب هجرها له بالموت فقال :

* اتخذتك زوجة حين الشباب واستقر مقامي عندك .
* وتقلبت في شتي المناصب وبقيت عندك .
* وما حدث أن تخليت عنك .
* وما أخفيت سراً عنك طيلة حياتك .
* وما هجرتك وما دخلت داراً غير دارك .

إلي آخر هذه الرسالة المفعمة بمشاعر الحب والوفاء للزوجة الراحلة .

كان المصري يعتبر أن ثراء الدنيا قليل الغناء إذا اعوزته نعمة الولد ، وتمني كثرة الأولاد لدوافع اجتماعية أهمها توفير اليد العاملة في الزراعة ، ولدوافع دينية منها اعتقاد المصري . أن الولد سيحيي اسمه بعد موته ويبقي ذكراه ، ويؤدي طقوس جنازته ، وتقديم القرابين بعد موته ..

والطريف أن المصري ورث عن أجداده تسمية الطفل بالمناسبات التي تصادف ولادته . فمثلما كان يسمي المصري القديم مولوده بيوم مولده كذلك يسمي المصري الحديث اسماء خميس وجمعة . وكذلك التسمية باسم مناسبة دينية إذا صادفت ولادة الطفل يوم عيد ديني مثلما نسمي رمضان أو عيد أو جرجس لمن يولد في شهر رمضان أوفي يوم عيد أو في يوم مولد الشهيد ماري جرجس ومثلما كان المصريون يسمون «حورمحب» لمن يولد في يوم عيد الإله حورس . وفيما نسمي البنت باسم

«جميلة» كذلك كان المصريون يسمون بناتهم «نفرت» أي الجميلة و«نفرتيتي» أي الجميلة جاءت . ونسمي «عبد الله» مثلما كان المصريون يسمون «حم رع» أي «عبد الاله رع».

تطالعنا بعض الرسوم في كثير من المقابر وعلي الأخص بمقابر بني حسن . بلوحات للألعاب التي كان الفتيان المصريون القدامي يمارسونها . وهي تشابه ما يلعبه أطفال الريف من رياضات في هذه الأيام . ومنها لعبة يجلس فيها صبيان متقابلان علي الأرض ويضع كل منهما قدما فوق الأخري . ويتابع الأولاد القفز فوقها ثم يزيد كل منهما كفه مره ثم كفيه مرة أخري حتي يرتفع حاجز القفز .. كما كانوا يلعبون لعبة أخري لا زالت تمارس في الريف وتسمي «الطرطقة» وهي عبارة عن اربع قطع من جريد النخيل باطنها أبيض وظاهرها أخضر . يلقيها اللاعب علي الأرض فإذا ما استقرت جميعها خضراء أصبح هو الملك في اللعبة وإذا استقرت جميعها بيضاء كان اللاعب هو الوزير يحكم للملك بضرب اللاعب الخاسر بعصا مصنوعة أيضاً من جريد النخيل عدداً من الضربات الخفيفة ، وما أشبه الليلة بالبارحة .

جذور الديموقراطية
فى مصر القديمة



تمثال (وبو اوت) من مقاطعة أسيوط من عصر الاضمحلال

وقفنا في مسيرتنا عبر العصور عند عصر الاضمحلال الأول الذي عاني المصري خلاله من ويلات صورها فيما تركه من قصص ونصائح وحكم وآداب . وقلنا أن بعض ولاة وحكام الأقاليم استولوا علي السلطة كل في إقليمه حتي اختلط الحابل بالنابل - وبرغم القول بأن مصر قد تم توحيدها في عهد الملك مينا إلا أنها جغرافيا وسياسياً كانت ولازالت وجهين أحدهما في الجنوب ويمثله الوادي الضيق والثاني في الشمال وتمثله الدلتا وتفصلهما مدينة منف وهي التي تقع في الجنوب من مدينة القاهرة الحالية .

فقد دار صراع بين أمراء الوجه القبلي . وكان مقرهم مدينة أرمنت . وهي بلدة جنوبي طيبة (الأقصر) وبين أمراء الشمال وكان زعيم منهم يستقر في (هيراكليو بوليس) وهي منطقة الفيوم الحالية . واستمر الصراع علي طول أيام الأسرات السابعة وحتي العاشرة . وكل هذه الأسرات لم يذكر فيها اسم ملك يمكن أن ينسب إليه انجاز أو عمل صالح .

وقد كانت المقاطعة التي تتوسط البلاد وهي أسيوط وتسمي مقاطعة الذئب (ليكوبولس) تتمتع بهدوء نسبي خلال عصر الاضمحلال الأول . حتي أن أحد أمرائها الذين أقاموا مقابر لهم في جبل أسيوط (وتسمي حالياً اسطبل عنتر) - دونوا علي بعض جدرانها - «عندما يأتي الليل كان عابر الطريق يمدح ما حققته لرعيتي من أمان» فقد كان جنودي في خدمة الجميع وقد كان هذا الأمير (تفيبي) يؤازر في الصراع القائم خلال تلك الحقبة . أمراء الشمال . وان كان النصر قد حالف أمراء الجنوب الذين كان أولهم ملك يدعي (انيوتف) وبدأت به الأسرة الحادية عشرة التي تحقق خلالها اعادة النظام جزئياً لمصر بوجهيها واعقبه من الملوك من كانت اسماؤهم (أنيوتف) أيضاً و (منتوحتب) . وعاد تاج الوجهين القبلي والبحري يعتلي هامة ملك مصر ..

كانت تلك الفترة العصيبة التي عاشتها مصر قاسية ومريرة . ولكنها افرخت ثورة اجتماعية لم يسبق أن عاشها المصري منذ مطلع تاريخه وعلي مدي الزمان ... ومن مظاهر هذه الثورة ما ورد لنا من رسائل (ايبي ور) التي وجهها إلي الملك والتي يلومه فيها علي الفوضي التي سادت البلاد قائلا (ان الملك يجب أن يكون الراعي الصالح لرعيته . تسود شعبه مظاهر الحياة الكريمة والأمان .. وأنت لا يسود عهدك

إلا الدمار . . أن السلطة والادراك والعدالة وضعت في يدك . . ولكنا لا نسمع إلا أصوات المعارك في البلاد والشجار بين الناس حتي أن الواحد لا يأمن علي حياته . القوي يقتل الضعيف . مما يعني أنك لا تؤدي ما هو مفروض عليك كملك وأنك تخدع شعبك وتكذب عليه .

هذه الرسالة الموجهة إلي الملك الذي كان منذ الأسرات الأولي له الكرامة كملك والجلالة كإله كانت هذه الرسالة كافية أن تطيح برأس ايبي ور بتهمة العيب في ذات الملك والكفر بالآله ولكن ذلك لم يحدث . . وقد أجاب الملك علي الرسالة وتعلل بأنه كان مشغولاً بحماية البلاد من الشعوب المغيرة علي مصر من الشرق والجنوب . . هذه المواجهة بين الملك ومواطن من رعيته لتؤكد أن فكراً اجتماعياً جديداً قد بدأ . وان ديموقراطية أساسها العدل قد تحققت . بحيث تمكن فرد عادي من مخاطبة السلطان .

ومن صور الظلم والثورة عليه . ما يتمثل في رسائل الفلاح الفصيح . وهي من أشهر ما كتب في ذلك العهد بل ومما يعتبر من روائع أدب القصص في مصر . وقد وجدت هذه الرسائل مدونة علي أربعة ورقات من البردي . . ثلاثة منها محفوظة حالياً في متحف برلين .

هذه البردية تحكي قصة فلاح بسيط كان يعيش في صحراء وادي النطرون . . وهي المنطقة التي تعمر بالأديرة المقدسة القبطية حالياً - وكانت هذه البرية غنية بالملح . وقد اعتاد هذا الفلاح أن يأخذ ما يجمعه من ملح إلي الوادي ليبادل به قمحاً أو شعير . فقد كان نظام المقايضة وسيلة البيع والشراء في تلك الأونة .

كان هذا الفلاح واسمه (خون انوب) قد أعد العدة لرحلته إلي الوادي . . وأخذ حميره محملة بالملح وفراء الذئاب والفهود وبعض منتجات وادي النطرون . . كما أخذ معه زاد رحلته من عيش وجعة (بيرة) وذهب إلي منطقة الفيوم لينجز مهمته في البيع والشراء . ولكن عند مدخل المدينة قابله شخص شرير يدعي (جحوتنخت) راودته نفسه أن يأخذ حمير هذا الفلاح بما تحمل ويسلبه إياها . فدبر له خدعة إذ وضع في طريق هذا الركب ثوبه علي الأرض . ولما اقترب الفلاح من الثوب صاح فيه الرجل (حذار ان تلمس ثوبي) وعندما أراد الفلاح تفادي الثوب تبين أن قطيع الحمير سيسير علي زراعة برسيم للرجل الذي قال له محذرا (اياك أن

تطأ قدم حمار علي زراعتي) وفي هذه اللحظة التهم حمار بعض البرسيم . فثار الرجل وادعي الغضب . وطلب الحمار تعويضاً له عما أكل من زراعته .. وعندما اعترض الفلاح علي هذا الحكم الجائر اعتدي الرجل عليه وأخذ منه كل ما يملك وتركه للضياع والحسرة . وقد كان المغتصب يعتمد علي أن والده يعمل ضمن حاشية الملك وان عقابا لن يوقع عليه .

وتستمر القصة ويشكو الفلاح بأسلوب فصيح ما أصابه من ضرر وأذي . ولكن الاهمال كان مصير شكايته الأولي نظرا لما كان يسود البلاد من ظلم . وللرغبة في مجاملة والد السارق المغتصب .

استمر الفلاح في الشكوي واستمرت جهات الإدارة في الاهمال . حتي بلغت الشكوي التاسعة مسامع الملك الذي اعجب بفصاحة الفلاح واحضره أمامه واستمع لشكايته ورد له ما اغتصب منه وعاقب المغتصب علي جريمته وفصل والده من خدمة ديوانه ومكن الفلاح منصبا كبيرا في بلاطه .

قصة الفلاح الفصيح تعطي فكرة عن مدي ما كان يسود البلاد حين ذاك من فساد الإدارة من ظلم كما تعطي انطباعاً عن مدي ما حققه المواطن من قدرة علي المطالبة بالعدالة الاجتماعية وتحقيق ديموقراطية كانت وليدة القهر والثورة عليه .

قد أكون اطلت الحديث .. ولكن أحداث التاريخ أطول .

وها نحن علي أبواب الأسرة الحادية عشرة نقف .

الدولة الوسطى (١)



رسالة السماء نزلت - لحكمة أرادها الله

في منطقة محدودة من الشرق

مصر كانت بلداً تذكر في كل رسالة سماوية

الدولة الوسطي بدأت عصر نهضة جديداً في مصر

ان أمورا كثيرة لا يمكن ردها إلا إلي حكمة الله جل جلاله . ومن ذلك أن رسالات السماء نزلت جميعها في منطقة محدودة من الشرق دون غيره من ربوع الدنيا وأن رسل الله وأنبياءه جميعاً خرجوا من تلك المنطقة وبشروا فيها ... ومن حكمته أيضاً أن مصر كانت تذكر في كل رسالة وكتاب بل كانت مزارا لكل الأنبياء والرسل .

* فمصر أول ما ذكرت في التوراة كان في سفر التكوين العدد العاشر من الاصحاح الثاني عشر إذ جاء فيه (وحدث جوع في الأرض فانحدر ابرام إلي مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديداً) . وابرام هنا هو من دعاه ربه بعد ذلك بإبراهيم خليله . ومن المرجح أنه انحدر إلي مصر في عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد وهو زمان كانت فيه مصر تحت حكم الدولة الوسطي والتي تشمل الأسرتين الحادية والثانية عشرة والتي كنا قد وقفنا عندهما .

* وحين نذكر هذه الآية من التوراة ، نذكر أيضاً ما هو مدون ومنقوش علي جدران مقبرة شريف من أشراف بني حسن في مقاطعة الوعل (المنيا حاليا) وكان يدعي «خنوم حوتب» ، فقد سجل علي جدران هذه المقبرة المحفورة في صخور الجبل شرقي النيل . بعض مناظر تتميز بدقة الرسوم وروعة الألوان منها منظر لقافلة من سبعة وثلاثين شخصاً تضم رجالا ونساء وأطفال من العبرانيين البدو وكانوا يرتدون ملابس مزركشة . غير تلك الملابس التي كان يرتديها المصريون . كما كانت لحاهم وشعور رؤوسهم كثيفة . وكانت هذه القافلة قد حضرت إلي مصر لشراء القمح مقابل بعض العطور والكحل والمنتجات الآسيوية التي احضروها معهم . وكان يتقدم القافلة رئيس هذه العشيرة وكان إسمه «ابيشاي» وهو اسم عبراني ورد في التوراة حتي ان بعض المؤرخين القدامي تصوروا أن هؤلاء كانوا عشيرة يوسف الصديق واخوته الذين حضروا إلي مصر طلبا للقمح أيام المجاعة غير أن هذا التصور والرأي مرفوض لأن «خنوم حوتب» صاحب المقبرة كان يعيش في عهد الملك «سوسنرت الثاني» من الأسرة الثانية عشرة حوالي سنة ١٩٠٠ قبل الميلاد في حين أن أخوة يوسف كان حضورهم لمصر في عام ١٧٠٠ قبل الميلاد أيام الهكسوس.

* وحين نقابل ما ورد في الآية وما جاء في نقوش مقبرة «خنوم حوتب» نجد أن أقواماً من العبرانيين الآسيويين قد قدموا إلي مصر عبر الحدود من ناحية الشرق عند

بلدة «القنطرة» الحالية في عصر كانت فيه الحراسة مشددة . الحدود مقام عليها قلاع وحصون . ولم يكن متاحاً لأي زائر أن يدخل مصر إلا بإذن الفرعون وتفتيش رجال الحدود - ويؤكد ذلك أن إبراهيم كما ورد في التوراة اشار علي زوجته أن تقول للمصريين وهم رجال الحدود أنها أخته كما أن «ابيشاي» رئيس القبيلة لم يكن ليجرؤ علي مقابلة الشريف «خنوم حوتب» لولا أنه دخل إلي مصر بترخيص من رجال الحدود وهذا يقطع بأن تلك الأيام من تاريخ مصر كان يسود فيها الأمان والانضباط .

* فبعد أن كانت الفوضي تسود البلاد خلال عصر الاقطاع الأول، بدأت الدولة الوسطي بأول ملوكها انيوتف وقد كان من أمراء الجنوب وكان شاغله أن يسود الأمن في ربوع البلاد وعلي حدودها وتلاه من الملوك ستة خلال الأسرة الحادية عشرة امنوا حدود مصر في الشرق عند القنطرة وفي الجنوب عند بلاد النوبة لا ليامنوا الغزو فحسب ولكن ليمنعوا تسلل أي أجنبي يتخطي حدود البلاد حتي أنه في عهد الملك امنمحات الأول أول ملوك الأسرة الثانية عشرة أقيم حائط في الجهة الشرقية من البلاد سمي حائط الأمير لمنع دخول أي آسيوي إلا للتجارة وتبادل السلع .

* حكم مصر خلال الأسرة الحادية عشرة سبعة ملوك ثلاثة منهم كانت اسماؤهم «انيوتف» والباقون «منتوحتب» أولهم «منتوحتب الأول» صاحب المعبد الموجود في الجانب الغربي للنيل والذي كان يعلوه هرم صغير وكان يقع بجوار معبد الدير البحري الذي بنته حتشبسوت في عصر لاحق ومن ملوك هذه الأسرة أيضاً «منتوحتب الثالث» وكانت له انجازات كثيرة في مجال الأمن الداخلي وكان وزيره يدعي امنمحات وكان رجلا قويا استطاع أن يطيح بالملك ويغتصب السلطة لنفسه ويبدأ أسرة جديدة هي الأسرة الثانية عشرة.

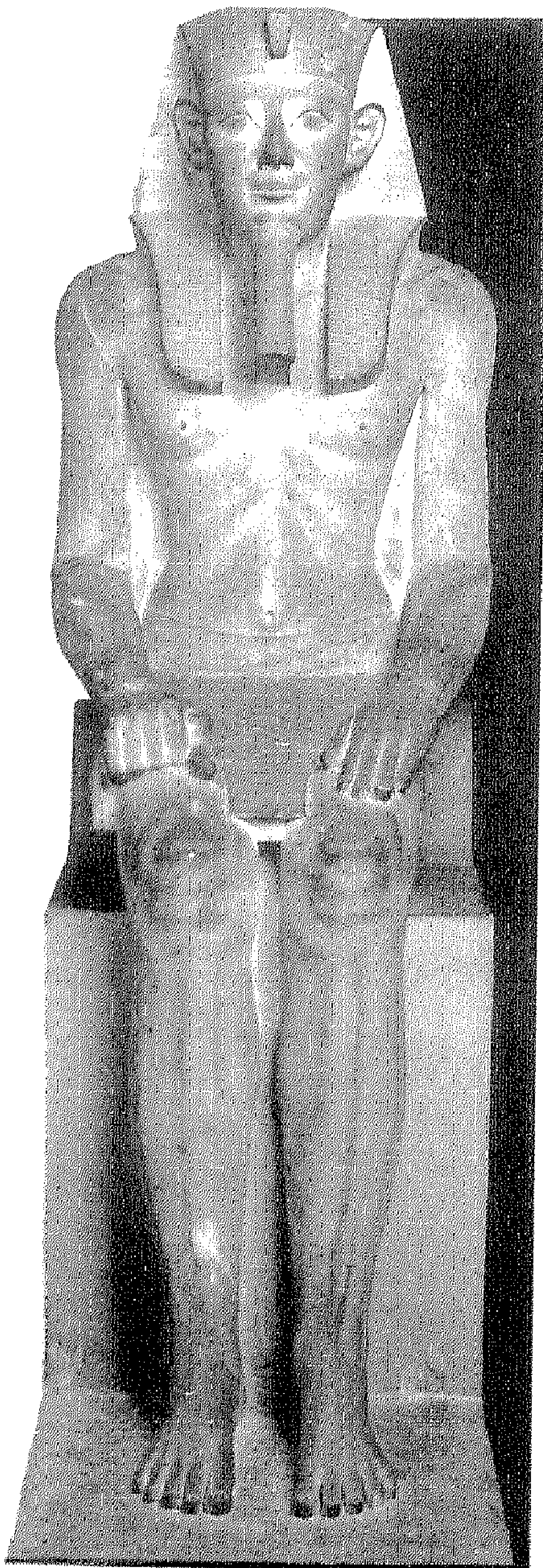
* بالرغم من البداية غير الشرعية التي بدأها امنمحات إلا أنه نظرا لتمرسه في الحكم بدأ عصراً جديدا من الازدهار والانتعاش الذي شمل مصر جميعها . فقد بدأ من تثبيت مركزه مستعيناً ببعض الأمراء الذين قد يكونوا ساعدوه في انقلابه ضد الملك منتوحتب . وقد أراد هذا الملك أن يحقق للبلاد ما افتقدته طويلا أيام الفوضي والفساد فنقل عاصمة ملكه إلي الشمال لتأخذ موقعا متوسطا من البلاد في

بلدة تقع قرب بلدة اللشت الحالية وكان اسمها «ايثت تاوي» . ومن هذا الموقع كان يمكنه الاشراف علي أمور البلاد شمالها وجنوبها بحيث يمكن تحقيق العدالة واحقاق الحق.

* اتخذ امنمحات الأول لنفسه لقب «باعث النهضة» مشيرا إلي ما استقر في ضمير الأمة من بدء عهد جديد ولكي يضفي شرعية علي توليه العرش ادعي أن أحد ملوك مصرالقدامي كان قد طلب من أحد العرافين أن يحكي له أخبار مستقبل البلاد فأعلمه هذا العراف بأنه سيأتي يوم يحكم مصر ملك من الجنوب وسيكون اسمه «اميني» واسم امه «ناستي» وأن هذا الملك سيعتلي هامته تاج الوجهين وأنه سيحقق الرخاء لشعبه ... وقد وردت هذه النبوءة المدعاة في بردية موجودة الآن في متحف لينجراد ... ويلاحظ هنا ان اسم اميني الذي ورد في البردية هو اختصار لاسم امنمحات .

* ومع تولي امنمحات الأول حكم مصر بدأت أسرة جديدة .

الدولة الوسطى (٢)



سنوسرت الأول

* وقي الله مصر شر المقادير، واقامها من كبوة دامت حوالي ثلاثة قرون ، ونجاها من ويلات تعصف بها علي أيدي حكام عصر الاقطاع الأول ، الذين لم يكن أمر مصر يهمهم ، بقدر ما كانت مصلحتهم هي الغاية . ودوام حكمهم هو الهدف - فقضي الله أن يحكم مصر ابن بار من ابنائها المخلصين يعيد السلام إلي ربوعها ، ويفيض علي يديه الخير ويعم في عهده الرخاء . وينعم الشعب بعمار بعد خراب . وبخصب بعد جدب . وبأمان بعد هوان ..

* أراد الله أن يتم كل ذلك علي يد امنمحات الأول أول ملوك الأسرة الثانية عشرة التي تعتبر من أعظم الأسرات التي حكمت مصر . والتي دامت لأكثر من قرنين من الزمان .

* كانت الأسرة الحادية عشرة مرحلة انتقالية من عصر ساد فيه الفساد إلي عصر بدأ فيه البناء واعادة الأمن إلي ربوع البلاد . إذ لما تولي امنمحات الأول حكم مصر - وقد كان بحق أعظم الفراعنة نشاطاً - بدأ في بناء ما افسدته أيدي العابثين من حكام عصر الاضمحلال . وأقام نهضة عمت ربوع الوادي والدلتا حتي أنه سجل ذلك بقوله :

* أنا الذي زرعت حبوب الحقل .. واحببت إله الحصاد .

* النيل يعظمني في كل الوادي .

* وفي سني حكمي .. لم اترك إنساناً يجوع ولا فردا يعطش .

* عاش الناس في سلام .. يتحدثون عن رعايتي لهم ..

* وحتي يحكم قبضته علي حكام الأقاليم .. ويأمن غدرهم . أو ثورتهم ويجعلهم جميعا تحت سيطرته .. منحهم بعض الصلاحيات في أقاليمهم لا يتعدونها من حيث تحقيق الأمن ، وتنظيم الري . وحماية الجسور وغير ذلك من الشئون المحلية وبحيث يقدم كل حاكم منهم إلي الملك تقريراً عن كل أمر ذي بال حتي يضمن أن يكون أمرهم جميعاً مردوداً إلي أمره وحده . وقد ورد ما يؤكد ذلك في مقبرة «خنوم حوتب» باقليم الوعل «منعات خوفو» بني حسن . المنيا . يقول الأمير «لقد أقامني الملك أميراً علي الاقليم وأمرني بأن أحقق العدل . واصلح ما فسد وأن أعيد لكل قرية حدودها . وأن تصل مياه الري إلي الحقول بحسب ما كان

واردا في الوثائق .

* ولد امنمحات الأول في أقاصي جنوب مصر حيث كانت تسود عبادة الإله آمون وسمي «آمون ام حات» أي آمون في المقدمة... وفي عهد منتوحتب الثالث تولي الوزارة ... ثم لما أطاح بهذا الملك وتولي هو حكم البلاد نقل عاصمة ملكه إلي بلدة قريبة من قرية اللشت الحالية اسماها «ايث تاوي» ومعناها «المسيطرة علي القطرين» .. وكان هدفه من هذا أن يحكم السيطرة علي بلاد الشمال والجنوب وقد احضر معه إلي عاصمته الجديدة خيرة الفنانين من مهندسين ومثالين ورسامين وبنائين وصناع حلي وغيرهم مما استتبع تكوين مجتمعات جديدة في هذه المنطقة وما جاورها من أقاليم . وبلغ الفن خلال حكم هذه الأسرة ذروة كماله في كل مكان .. وإذ الفن مرآة صادقة لحال البلد نلاحظ في رسوم وتماثيل ملوك هذه الأسرة صورة صادقة لما كان يعتمل بداخلهم .. تتمثل فيما يبدو علي وجوه الملوك من تعب ووجوم وصرامة تترجم مدي ما قدم هؤلاء الملوك من جهد وعرق لتحسين حال البلاد وترسم جدية وصلابة العزم وإرادة التنفيذ والانجاز .

* وفي مجال فن البناء نذكر أنه عثر في الخمسينيات داخل جدران الصرح الثالث في معبد الكرنك أثناء ترميمه علي كتل من الحجر الجيري الأبيض عليه نقوش تم تجميعها واعادة تركيبها فكونت مقصورة بنيت في عهد سنوسرت الأول ثاني ملوك الأسرة ١٢ . جدرانها من الداخل والخارج رائعة النقوش البارزة والرسوم التي تمثل الملك يقدم القرابين للآلهة .

* عاش الملك امنمحات الأول حتي الثمانين من عمره وحكم مصر ما يقرب من الثلاثين عاماً . وفي السنوات العشر الأخيرة من حكمه اشرك معه في الحكم ابنه سنوسرت الأول وكانت هذه سنة جديدة انتهجها الملك وسار عليها بعض ملوك هذه الأسرة .

* كانت كلمة «نوب» بالمصرية القديمة تعني الذهب ولذلك كانت البلاد التي تقع جنوبي أسوان تسمي بلاد النوبة نسبة إلي وفرة الذهب بها .. وقد كان أهل الشمال في مصر يقصدونها طلباً للذهب ثم طمعاً في بسط النفوذ المصري عليها لتوسيع رقعة البلاد وتوقياً لأي عدوان قد يقوم به حكام «كوش» السودان في الجنوب..

* بدأ امنمحات الأول وابنه في تحقيق الغايتين . بسط النفوذ المصري علي بلاد النوبة وحتي الشلال الثالث للحصول علي الذهب والعاج والعبيد .. وتوقي أي عدوان من الجنوب وفي حفائر تمت عام ١٨٩٦ عثر الأثري كويبل علي بردية تحت معبد الرمسيوم في وادي الملوك بالأقصر عليها خريطة تحدد سبعة عشر حصناً في بلاد النوبة حتي وادي حلفا لحماية حدود مصر في الجنوب اقامها الملك سنوسرت الأول الذي دون علي لوحة في بوهين جنوب الشلال الثاني «ايها الإله منتو ... قد احضرت أمامك وتحت قدميك جميع شعوب بلاد النوبة . كما وجدت لوحة في كورسكو ببلاد النوبة باسم امنمحات الأول في العام ٢٩ من حكمه يقول فيها «اتينا نحن الملك لتأديب «واوات» وهي بلاد النوبة السفلي .

* كما أن هذه الحدود التي وصلت إليها سيطرة ملوك هذه الأسرة في النوبة مكنتهم من معرفة أحوال النيل ومراقبة مقاييسه جنوباً في وقت مبكر بحيث يتولي القائمون بالمراقبة ابلاغ السلطة المركزية بكافة المناسيب وأوقاتها لحماية الجسور في الفيضانات العالية والحرص علي كل نقطة ماء وحبة قمح إذا ما كانت مياه السنة شحيحة .

* وكما أرسل امنمحات ابنه إلي النوبة فقد كلفه أيضاً بحملات حربية في شمال غربي البلاد ليؤدب بلاد «تحنو» وهي ليبيا وليأتي من بلادهم بالأسري والغنائم .

* بعد أن نقل الملوك عاصمتهم إلي الشمال فكروا في بناء مقابر لهم قريبة من عاصمة ملكهم فكان - ان بني امنمحات الأول وبعده ابنه سنوسرت الأول هرميهما في العاصمة الجديدة - ورغم ما بذل الملوك ومهندسوهم من جهد لتحصين هذه الأهرامات فأنها لم تسلم من النهب في عصور لاحقة .. غير أنه تم العثور في المعبد الجنائزي للملك سنوسرت علي عشرة تماثيل من الحجر الجيري كما تم العثور علي تمثالين فاخرين له من خشب الأرز وجدا في مقبرة كاهن عاش في عصره - وكان هذا الكاهن قد تولي أيضاً اقامة المسلة الشهيرة لسنوسرت والموجودة حاليا في عين شمس بالقاهرة.

قدم امنمحات لمصر الكثير مما لم يسبق أن قدمه ملك حكم مصر قبله . وأضاف إلي رقعة الأرض الزراعية في شمال الوادي صوب أقليم الفيوم الكثير حتي

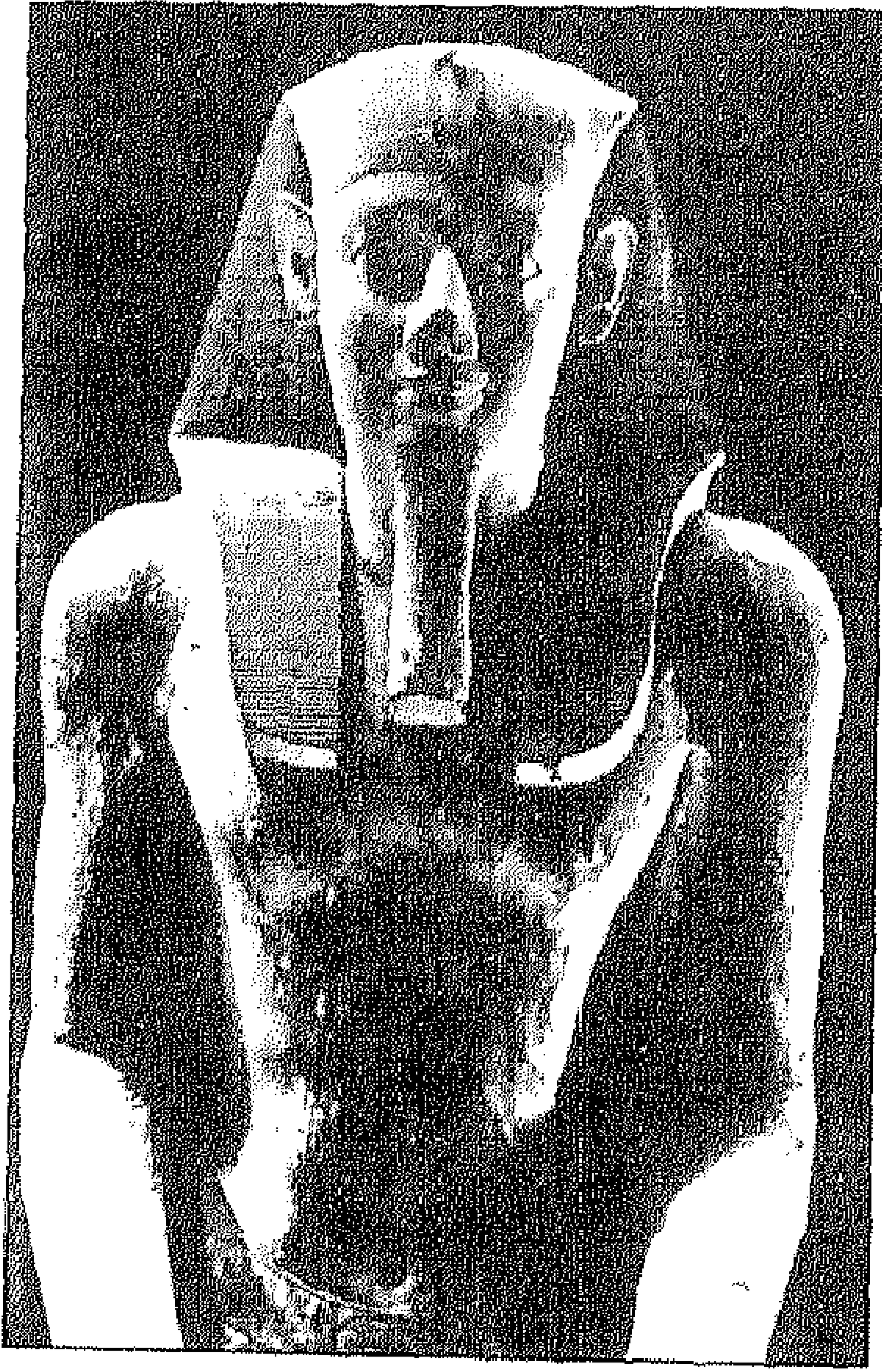
أضحي واحة تمثل فرعا ناضراً يخرج من ساق الوادي وبدأ أنظمة للري سار عليها وأضاف خلفاؤه الرعاة الصالحون . وحمي حدود مصر جنوباً وشرقاً وغرباً ولم يرهق شعبه بأهرام ضخمة أو أبنية فخمة .

ثم .. فيما وصلنا من الأدب المصري خلال تلك المدة من الزمان .. كلمات يوجهها الملك امنمحات لابنه سنوسرت ناصحاً له الا يعطي ثقته لأحد وان يحرس نفسه بنفسه وان يتقي شر من يحسن إليه وضرب له مثلاً بنفسه إذ يقول «من تناولوا العشاء معي هاجموني في فراشي ومضجعي».

هل كانت هذه النصائح في أعقاب مؤامرة نجا منها الملك؟ أم أن الملك قتل بأيد غادرة . لم ترحم شيخوخته ولم تقدر ما قدم الرجل لمصر ؟

الدولة الوسطى (٣)

من الأدب الفرعونى .... قصة سنوحى

تمثالان من الحجر الجيرى والجرانيت الأشهب

للملك سنوسرت الأول

أن يطالعنا التاريخ باخباره من خلال ما سجل علي جدران المعابد والمقابر امر اعتدناه والفناه ، وان نقرأه فيما كتب مؤرخون مصريون وأجانب أمر لا غرابة فيه ، ولكن ما يبعث علي العجب ، أن يكون مصدر تاريخنا في بعض هذا الحديث ما سطره تلاميذ صغار - من أيام الأسرة التاسعة عشرة - في كراساتهم ، وقد كانت هذه الكراسات عبارة عن ألواح تماثل ما كان يستعمله تلاميذ ريف مصر منذ نصف قرن من الزمان .

فقد عثر علي ثلاثة ألواح من الخشب مدون عليها بعض تعليمات وجهها الملك امنمحات الأول إلي ابنه سنوسرت الأول ، والغالب أن هذه الألواح كانت تحوي درساً في تاريخ الدولة الوسطي قبل زمان هؤلاء التلاميذ بسبعة قرون - أو أنها كانت درساً في الأخلاق وفلسفة الحكم . وقد كان ما ورد في هذه الكراسات من تعليمات يطابق ما جاء في بردية تسمي «ملنجن» وأيضاً يماثل بعض ما وجد مكتوبا علي قطع من فخار مهشم «اوستراكا» مما يؤكد مصداقية محتوياتها التي جاء فيها علي لسان امنمحات .

- قم أيها الإله الملك (مخاطبا سنوسرت) واستمع لما أقول .

- ستحكم البلاد كلها .. ولكن .

- احذر من دونك من الناس .

- لا تأمن اخاً ، ولاتعرف صديقاً .

- عندما تذهب للنوم ، ليكن قلبك حارسك .

- ثم يحدث ابنه عما اصابه من حراسه وخدمه الذين هجموا عليه وأرادوا به السوء .

- لقد اهدروا دمي ولم تكن أنت يا ولدي معي ، اخذوني بليل ولم أكن مستعداً لذلك العدوان .

- ثم يباهي الملك امنمحات بمنجزاته التي حققها لبلده وشعبه ويصف ما بناه لابديته قائلاً :

- لقد بنيت لنفسي بيتاً مزيناً بالذهب .

- سقفه من اللازورد .

- جدرانه من الفضة وأرضه من خشب الأرز .

- أبوابه من نحاس واقفاله من البرونز .

- صنعته لابديتي ، اعددته لكل الأزمان .

- ولعل هذه التعاليم التي وجدت مدونة علي أكثر من أثر لتدل علي أن الملك امنمحات الأول إما أن تعرض لمحاولة اغتيال دبرها بعض رجال بلاطه ، فوجه نصائحه بنفسه لابنه ليأخذ حذره من الناس ، ولا يضع ثقته في أحد حتي اقرب المقربين ، وإما أنه قد اغتيل فعلا علي يد حراسه كما هو واضح من عبارة «لقد اهدروا دمي» وبذلك تكون هذه التعاليم قد جاءت للملك سنوسرت في رؤيا أو منام ، فدونها للتاريخ ، أو أنه كلف أحد الحكماء أو كتاب القصر فدونت بهذه الصيغة لكي يعتبر بما تحتويه من أراد أن يعتبر .

- أن يكون الملك قد قتل بيد خدمه وحراسه ، أو أن يكون قد مات في فراشه ، فالثابت أنه في العام الثلاثين من حكمه لقي وجه ربه «آمون في ملته واعتقاده» وأن ابنه سنوسرت جلس علي عرش مصر بعده .

- كان سنوسرت الأمير في حملة حربية علي ليبيا «تحنو» وإذ وصلت إليه أنباء وفاة أبيه ، فقد سارع بالعودة إلي عاصمة البلاد لكي يقوم بمراسم جنازة ودفن أبيه الراحل ولكي يتولي الحكم الذي لا بد وأن أمراً ما كان يتهدده ، سواء من إخوة له في القصر أو من خوارج دبروا مؤامرة أو انقلاباً ، كان يرافق سنوسرت في حملته الحربية بليبيا أحد النبلاء «سنوحي» - وقصته مشهورة في الأدب المصري القديم - وكان سنوحي واحدا من رجال بلاط الملك امنمحات الأول ، وكان ينتمي إلي حزب سياسي يناهض الملك الراحل ، وبرغم عدم تورط سنوحي في مؤامرة اغتيال الملك ، إلا أنه خشي اتهامه أو القبض عليه ، فآثر الهرب إلي البلاد الآسيوية في الشرق ، واستقر به المقام في فلسطين «بلاد التين والزيتون» كما يصفها في قصته وهي المجاورة للصحراء التي كانت مسرح صيد الغزلان والحيوانات البرية ..

نزل سنوحي في ضيافة أحد شيوخ القبائل الآسيوية الذي زوجه من احدي بناته ، واعطاه من الأرض وقطعان الماشية ما جعله في رغد من العيش ، كما ولاه

قيادة المحاربين من قومه ورجال قبيلته ، كانوا يدعون الـ «هكاوخاسوت» وهم من سنعرفهم بعد ذلك بالهكسوس وهم غزاة رعاة قساة غلاظ قلوب .

غير أن هذه البحبوحة في العيش والأمان من عقاب الفرعون ، كما كان يتوهم ، والشهرة التي أحاطت به ، لم تكن لتغنيه عن مصر ، فإنها في نظر كل مصري أم الدنيا وقمة الكون ، ولا وطن في العالم يغني عنها ، فسعي إلي طلب العفو من الملك سنوسرت الأول ، خصوصاً وقد تقدمت به السن ،أراد أن يضمن لنفسه مراسم دفن لا تتوفر له إلا في مصر ، وسعادة ابدية لا تتحقق إلا إذا وسد ثراها ، فنجده يقول لنفسه «تذكر يوماً تموت فيه وتذهب إلي مكان مقدس ، تضمخ باللهون وتحاط بلفائف الكتان بين الآلهة ، توسد في تابوت مذهب علي محفة تجرها الثيران في موكب جنائزي مهيب ، ينشد فيه المرنمون أنشودة ولوجك إلي الابدية وتنحر لك القرابين علي مذبح من حجر أبيض ، أليس كل ذلك أفضل من أن تموت في أرض غريبة فتدفن في فروة خروف كما يفعل الآسيويون ... ارجع إلي بلدك .

– وعاد سنوحي إلي بلده شيخا .. انهكته الغربة – رغم ما تحقق له خلالها من نجاح – وكان سنوسرت قد عفا عما سلف وأحسن استقباله وأمر بأن يبدل ما عليه من ثياب البدو ويلبس حلل سكان القصور – كما بني له قبراً فاخراً في البر الغربي من طيبة – الأقصر – بين مقابر الملوك ومقابر النبلاء حتي يحقق له أمله في الحياة الأبدية في رحاب الآلهة وأمر الملك بأن يصنع له تمثال يغطي برقائق الذهب .

من كراسات تلاميذ صغار ، وبرديات وصلت لنا تحوي بعض تاريخ امنمحات ، ومن قصة سنوحي المصري التي رويناها كان هذا النسيج لنهاية حكم امنمحات الذي أمسك الزمام بعده سنوسرت الأول فأكمل المسيرة التي بدأها والده في اسعاد شعبه في الداخل كما شدد قبضته في الخارج علي بلاد النوبة جنوباً حتي الشلال الثالث – وامن حدود مصر الغربية جهة ليبيا والحدود الشرقية حتي فلسطين.

ومن مآثره أنه أول من بني معبدا للإله آمون في الكرنك بمدينة الأقصر وقد حذا حذوه كل الفراعنة الذين جاءوا بعده فأضاف كل منهم بناء علي مدي الفي عام حتي بلغ الكرنك وضعه الحالي .. كما بني مقصورته الفاخرة والتي تعد من روائع الفن المصري وكذلك بني معبداً في بلدة الطود في جنوب الصعيد سوف نتحدث عنه عند الكلام عن آثار وجدت بداخله ذات قيمة ومن أسوان اقتطع مسلة اقامها في

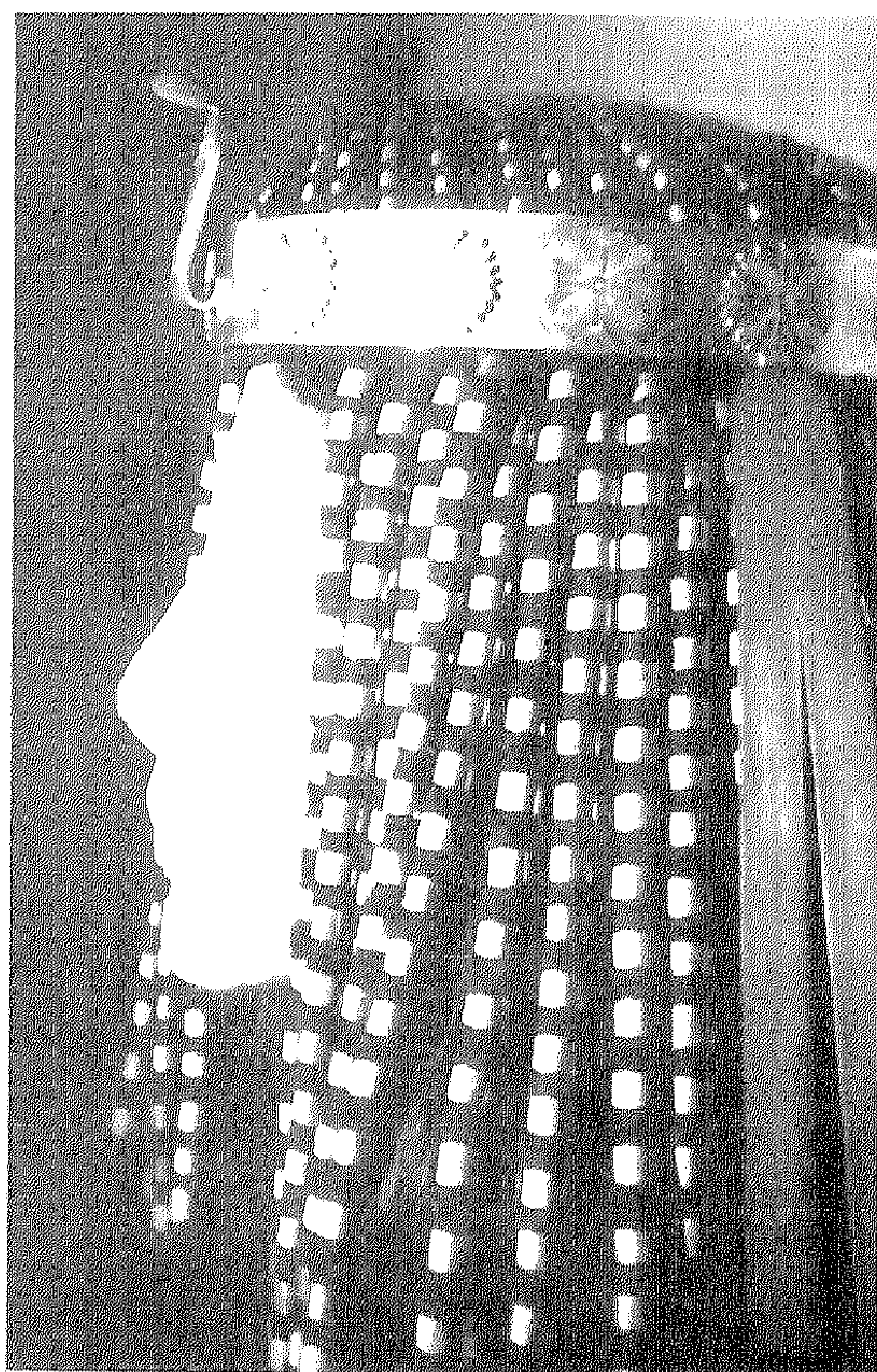
عين شمس طولها ٢٠ مترا وفي عهده ازدهر الفن المسرحي الدرامي إذ كانت تقام حفلات ومواسم سنوية تصور تتويج الملك سنوسرت .

وفي مجال العلاقات بالبلاد الخارجية كانت له صلات بالبلاد الآسيوية فقد وجدت في رأس شمرا بسوريا قلاده تحمل اسم سنوسرت الأول كما أقام علاقات مع جزيرة كريت في البحر المتوسط أكدها وجود بعض أوان فخارية في جهات متعددة بالفيوم مما كان يستعمله أهل كريت كما عثر بجزيرة كريت علي بعض أدوات مصرية ضمن ما وجد بها من حفريات .

الدولة الوسطى (٤)

كان عصر الدولة الوسطى من أزهى عصور مصر كان تعامل الملوك مع جيرانهم تعاملاً حسناً إلا إذا دعا الحال أن يكون التعامل « خشناً »

هيرودوت لا يتصور أن قصر اللابرنت من صنع البشر.



كان مطلع القرن العشرين قبل الميلاد ، بشير سعد رخاء ورفاهية لشعب مصر الذي كان يرزح تحت حكم الاقطاع ، فشاء الله له أن يبدل حكم الطغاة المفسدين بحكم رعاة صالحين ، هم ملوك الأسرة الثانية عشرة التي سبق وتحدثنا عن ملكين من ملوكها هما امنمحات الأول وسنوسرت الأول اللذان حققا استقرارا بعد فوضي واستتب في عهديهما الأمان والهدوء .

– امسك ملوك هذه الأسرة بالزمام وبدأ نفوذ أمراء الأقاليم الذين كانوا يحكمون في عهد الاضمحلال يخبو .. حتي أنه فيما ورد لنا من أخبار هؤلاء الأمراء أن أحدهم ويدعي «حب جفا» وهو أمير مقاطعة أسيوط صدرت له أوامر الملك سنوسرت الأول بالانتقال إلي أقصي الجنوب عند مشارف الشلال الثالث ليتولي الإشراف علي اقليم النوبة وتأمين الحدود مع بلاد كوش «السودان» وبقي الأمير في عمله هذا ، وقد يبدو أنه كان معارضاً للملك أو غير مرضي عليه منه حتي أنه لما وافته المنية في النوبة ، لم يدفن في المقبرة التي كان قد أعدها لنفسه في أسيوط وتعرف الآن بأسم «اسطبل عنتر» بل دفن مع زوجته في مقبرة عند بلدة «كرما» قوب الشلال الثالث ، وقد عثر معه في هذه المقبرة علي جماجم ثيران بلغ عددها ألف ثور مرصوصة في شكل دائري كما عثر علي عدد كبير من الضحايا البشرية مدفونة معه في نفس المقبرة مما يدل علي أنه دفن وفق طقوس تخالف تقاليد الدفن في مصر ومما يقطع بأن هذا الأمير لم يأمر قبل وفاته بأن يدفن في أرض أجداده بأسيوط حيث أعد مقبرته بها أو أن السلطة الحاكمة في مصر لم تسمح له بأن يدفن في ثري وطنه .

– تولي حكم مصر بعد امنمحات الأول وسنوسرت الأول من الفراعنة امنمحات الثاني وسنوسرت الثاني والثالث وامنمحات الثالث والرابع والملكة سوبك نفرو علي التوالي وقد كان بعض هؤلاء الملوك يشاركون آباءهم في الحكم أثناء ولايتهم لعهد المملكة . إذ كانت هذه سنة انتهجها ملوك هذه الأسرة ..

– وفي اقليم الفيوم الذي يغذيه بحر يوسف وتتوسطه بحيرة قارون والذي كان يشبه الواحة الوارفة الظلال كان يطيب لهؤلاء الملوك الاقامة ، فيشيدوا هم ونبلاؤهم استراحات لهم ولملكاتهم وخليلاتهم طلباً للراحة والمتعة والاستجمام ، وكانت البحيرة تزودهم بفاخر الأسماك التي قال عنها ديودور أحد المؤرخين

القدماء، انها تبلغ ٢٢ نوعاً وان مذاق اسماكها يفوق مذاق أسماك نهر النيل ... كما كان هؤلاء الملوك يمارسون في الصحراء المتأخمة للفيوم غرباً رياضة صيد الغزلان والظباء والوعول ..

– لم يعش هؤلاء الفراعنة لأنفسهم فقط بل كان يشغل بالهم دوماً رفاهية شعبهم وتوفير الخدمات لرعيتهم بحيث لايعيش بين ظهرانيهم سائل أو محروم ... ولما كانت مصر تعتمد أساساً علي الزراعة فقد أنشأ هؤلاء الملوك أنظمة للري والصرف وتخزين المياه ومراقبة الفيضانات وتقوية الجسور حققت لمصر وشعبها خلال سنوات حكمهم ما يمكن معه القول بأن عصر هؤلاء الملوك كان من أزهي العصور في تاريخ مصر ... ولقد قدر البعض بأن ما استصلحه ملوك الدولة الوسطي في منطقة الفيوم وحدها بما يقرب من سبعة وعشرين الف فدان .

– أما في مجال التعدين فقد تركوا لنا من الشواهد ما يدل علي أنهم طرقوا أبواب سيناء ومناجمها طلباً لمعادن الذهب والنحاس والأحجار الكريمة كالفيروز وغيره .

– كما أنهم تبادلوا التجارة مع الدول المجاورة مما وثق العلاقات بين مصر وجاراتها في بلاد المنطقة .

– أما في مجال الحرب فإن ملوك هذه الأسرة لم تكن لهم ميول استعمارية أو عدوانية بل كان تعاملهم مع جيرانهم تعاملاً حسناً إلا إذا دعا الحال إلي أن يكون التعامل «خشنا» ردا لأي عدوان ، وذلك مثلما حدث أيام سنوسرت الثالث مع بلاد سوريا ... غير أنه في الغالب الأعم كانت العلاقات الخارجية بين مصر وجاراتها طيبة يسودها السلام بدليل الهدايا المتبادلة بين ملوك هذه البلاد وملوك مصر ... فقد عثر في معبد ببلدة «الطود» بالوجه القبلي علي أربعة صناديق من البرونز تحوي الكثير من المشغولات الذهبية والفضية المطعمة بالفيروز واللازورد قد كانت كل هذه الجوهرات هدية من أحد الأمراء الفينيقيين للملك امنمحات الثالث ... هذا الكنز الثمين عثرت عليه بعثة فرنسية عام ١٩٣٦ وقد أودعته متحف اللوفر بباريس .. كما عثر في سوريا علي قلادات تحمل أسماء ملوك من الأسرة الثانية عشرة مهداة لملوك وأمراء سوريا وبلاد فينيقيا ..

– بني سنوسرت الثاني هرمه في بلدة اللاهون قرب الفيوم وكان اسمها في

القديم «حتب سنوسرت» أي سنوسرت راضي ... وقد صمم هذا الملك مدخل الهرم في الناحية القبلية منه مخالفاً من سبقه من بناة الأهرام الذين كانت مداخل أهراماتهم في الناحية البحرية وقد قصد بذلك تضليل لصوص المقابر ، غير أنه رغم هذا الاحتياط فإن هرمه لم يسلم من السرقة إذ لم يوجد بغرفة الدفن سوي تابوت فارغ من الجرانيت الأحمر .

- عثر الأثري بتري PETRIE جنوب هرم سنوسرت الثاني علي مجموعة من الحلي لإحدي الأميرات هي ابنة سنوسرت الثاني .. كما عثر غيره من الأثريين أمثال دي مورجان وغيره بنواحي دهشور علي مجموعات حلي لأميرات أخريات وملوك من هذه الأسرة ... وقد كانت هذه المجموعات تضم قلادات وتيجان وعقود واساور بالغة الروعة والجمال من حيث التصميم والصياغة وهي اليوم تزين قاعات متاحف لندن ونيويورك وباريس والقاهرة وتشهد بمدي ثراء هذه الحقبة من الزمن وحرص ملوكها علي تسجيل مناسبات تربعهم علي العرش أو زواجهم أو يوبيلهم علي هذه القطع الفنية من المجوهرات التي كانوا يتحلون بها أو يقدمونها هدايا لزوجاتهم أو محظياتهم أو اصدقائهم من ملوك البلاد المجاورة أو كانوا يأمرون بصياغتها لتودع معهم بعد وفاتهم ضمن لوازمهم الجنائزية في مقابرهم أو أهراماتهم .

- وفي دهشور بني امنمحات الثاني والثالث وسنوسرت الثالث أهراماتهم كما عثر في بلدة مزغونة علي بقايا هرمين يحتمل أن يكونا هرمي امنمحات الرابع والملكة سوبك نفرو ...

- وعند ذكر مدينة الفيوم لا يفوتنا أن نشير إلي أن معبودها كان التمساح «سوبك» ولذلك اسماها اليونان بمدينة التمساح ... «كروكو ديلوبوليس» كما أسماها الملك بطليموس الثاني «ارسينوي» تخليدا لذكري شقيقته التي تزوجها .

- كما لا يفوتنا أن نذكر أن امنمحات الثالث.أنشأ بمدينة الفيوم بناء كان لضخامته يغطي مساحة أكثر من سبعة عشر فداناً أي ما يسع معبدي الكرنك والأقصر مجتمعين .. وكان هذا البناء يسمي الـ«لابرانت» أو قصر التيه نسبة إلي اتساعه الذي يضل المرء طريقه فيه ... وقد وصفه هيرودوت بأنه يتكون من طابقين يشتملان علي ثلاثة آلاف حجرة نصفها تحت الأرض ويحيط به أثني عشر قاعة مغطاة بالحجر وقد قال أنه يفوق كل مباني اليونان مجتمعة وأنه برغم روعة مباني

الأهرام فإن هذا البناء يتفوق عليها وأنه لا يتصور أن قصر اللابرنت من صنع بشر .

- هذا القصر نالت منه أعمال التخريب والهدم وسرقة الأحجار بحيث لم يبق اليوم منه أثر سوي كلمات الاعجاب التي وردت في كتابات هيرودوت وسترابو وبليني الذين بهرهم البناء .

- ان كان قد طال حديثنا عن الدولة الوسطي فعذرنا ما قدم ملوكها لمصر من انجاز وما قدم شعب مصر خلال حكمهم من فنون وآداب ..

- كانت آخر من حكم مصر هي الملكة سوبك نفرو وقد كانت ومن سبقها في الحكم امنمحات الرابع من الضعف وقصر مدد الحكم ما أدي إلي سقوط هذه الدولة لتدخل مصر في احلك ظلام عاشته ...، «عصر الهكسوس» كل هذا يذكرنا بنهاية الدولة القديمة التي كانت أيضاً آخر من حكمها ملكة هي نيتوكريس ..

وحقاً فإن التاريخ يعيد نفسه .

عصر الاضمحلال الثانى



دمية مهشمة وعليها اسم المغضوب عليه

تنتاب الدول مثلما تنتاب الأفراد بعض العلل والأسقام والأمراض ، وقد يصيبها ما يصيب الخلق من ضعف وشيخوخة وقد يفسدها ما يفسد الناس من ترف وثراء ورغد عيش ورفاهية ، ونعني بالدول هنا ، دول الحكام لا دول المحكومين - ويؤكد ما نقول ما أصاب الدولتين القديمة والوسطي من انهيار بعد ازدهار وعلو ومن اضمحلال بعد رفعة وسمو .

فقد رأينا ما أصاب الدولة القديمة لما طال عمر الملك بيبي الثاني إلي ما يزيد علي المائة عام ، فأصاب البلاد مثلما أصابه من وهن ، وعندما بلغ الترف والثراء مداه بعثر هذا الملك في صباه من المال إلي الحد الذي نراه يوفد الرسل ليأتوا له من أواسط أفريقيا بقزم صغير كي يلهو به ويقيمه مهرجا في قصره .. وهكذا ضيع الترف في الصبا والمشيب هيبة الملك فانهارت الدولة القديمة وبدأ عصر من الضياع .

وتدور عجلة الزمان ويعود لمصر ما افتقدته من استقرار كانت قد فقدته علي أيدي أمراء الأقاليم .. ويعم البلاد الرخاء في ظل أوائل ملوك الأسرة الثانية عشرة ، الذين كسروا شوكة الأمراء ودانت لهم رقابهم ، غير أن من تلاهم من ملوك وقد ورثوا ملكا مستقرا ونعيما مقيما «ناموا في العسل» ونسوا أن جذوة النار لا زالت تحت الرماد ... وهادنوا الأمراء الذين وقد وجدوا أن الملوك قد انصرفوا إلي حياة اللهو والترف بدءوا في بسط نفوذهم مرة أخري داخل ولاياتهم وطالت مخالبهم فنصبوا أنفسهم اشباه ملوك في ولاياتهم وانهارت الدولة الوسطي التي حكم ملوكها ما يقرب من قرنين من الزمان .

انهارت الدولة الوسطي في هدوء لم يصحبه عنف أو اراقة دماء حتي أن بعض المؤرخين رأي أن الملك «سخم رع خوتوي» أول ملوك الأسرة الثالثة عشرة ربما كان زوجاً للملكة «سوبك نفر رع» آخر ملوك الدولة الوسطي .. لكن الثابت أن هذا الملك نقل عاصمة حكمه إلي مدينة منف بعيدا عن اقليم الفيوم مقر حكام الدولة السابقة وبدأ عهد جديد في مصر يسميه المؤرخون عصر الاضمحلال الثاني وإن كان هذا الاضمحلال لم يتضح إلا بعد حكم هذا الملك وحكم ثلاثة بعده من الملوك الذين كانت أمور مصر مستقرة خلال حكمهم من حيث الأمن واستتبابه والعناية بأمور الري والزرع حتي أن هؤلاء الملوك ادعوا انتماءهم للأسرة الثانية عشرة وتسمي بعضهم بأسماء ملوكها ويظهر اهتمامهم بشئون الري أن اسماء أول ملكين في هذه

الأسـرة وجـدت محـفـورة علي مـقـياس النيـــل في جنوب الوادي عند بلدة سمنة بالنوبة .

مع بداية عهد خامس ملوك هذه الأسرة ويدعي «اوفني» دخلت مصر في ظلام وضياع يجعلنا لا نعجب عندما نري أن الملك سيتي الأول من الأسرة التاسعة عشرة وبعد انقضاء ما يقرب من خمسة قرون يسقط هذه الحقبة من الزمن وملوكها من قائمة ملوك مصر فإن لوحة ابيدوس المدون عليها اسماء ملوك مصر الذين حكموا قبل الملك سيتي لم تتضمن حتي اسم الملكة سوبك نفر رع ولا من تلاها حتي قيام الأسرة الثامنة عشرة وكذلك اغفل جدول ملوك سقارة اسماء هؤلاء الملوك وكان مصدر اخبار ملوك هذه الفترة (بردية تورين) التي ذكرت اسماء بعضهم وإن كان ما أصابها من تهشم وتلف لا يحقق لنا معرفة تسلسل حكم الملوك أو مدد حكمهم .

اعقب من ذكرنا من ملوك الأسرة الثالثة عشرة بعض الادعياء الذين ناضلوا ليصلوا إلي الحكم ، لايكاد أحدهم يرتدي الشارات الملكية حتي يخلعها عنه آخر ، وكانوا يفاخرون باغتصاب العرش بل كان لايهمهم حتي الاعتراف بوضاعة أصلهم فالملك (نفر حوتب) لم يأبه أو يتردد من ذكر اسم أبيه دون القاب وقد عثر لهذا الملك علي اسم مكتوب علي صخور الشلال الأول ..

كما كان ممن حكموا مصر خلال تلك الفترة مغامر من النوبة وضع بجوار اسمه كلمة «نحسي» ومعناها النوبي وآخر لقب نفسه بقائد الجيش مما يقطع بأن بعض العسكريين اغتصبوا الحكم وجلسوا علي العرش كما أن هناك ملك آخر من أصل آسيوي بابلي اسمه «خنجر» .

تكالب علي عرش مصر أكثر من مائة وثمانية عشر ملكاً خلال فترة لا تزيد علي المائة وخمسين عاماً حتي أن بعض هؤلاء الملوك كانوا يحكمون في وقت واحد بحيث يمكن القول بأن مصر قسمت إلي ممالك صغيرة وكل مدع للعرش يحكم في اقليم ... وقد شبه المؤرخ والأثري «برستيد» BREASTED هذه المجموعة من الملوك بحكام مصر أيام الدولة العباسية والذين بلغ عددهم سبعة وسبعون حاكماً من سنة ٧٥٠ إلي سنة ٨٦٨ ميلادية .

لكنا برغم ذلك نجد أن بعض هؤلاء الملوك عاشوا في مدينة «طيبة» الأقصر وحكموا مصر واستقرت لهم الأمور حتي أن اثنين منهم بنيا هرمين وان كانا من

الطوب اللبن «النيء» إلا أنها تدل علي استقرار نسبي لازم عصرهما وقد ورد ذكر أسماء هؤلاء الملوك في بردية أبوت الشهيرة عندما جري التحقيق أيام رمسيس التاسع مع بعض لصوص المقابر في الأقصر والذين اعترفوا صراحة بأنهم نهبوا محتويات هرم أحد هؤلاء الملوك ويدعي «سوبك ام ساف» وسرقوا الحلي والأحجار الكريمة التي كانت تغطي المومياوات . كما حكم في طيبة ملك آخر اسمه «انيوتف» وقد ترك ما يفيد أنه كان يرعي بلده كملك شرعي إذ وجد مرسوم له اصدره بعزل أحد الموظفين في قفط اتهم بخيانة الوطن وحظر التعامل معه أو مع ذريته .

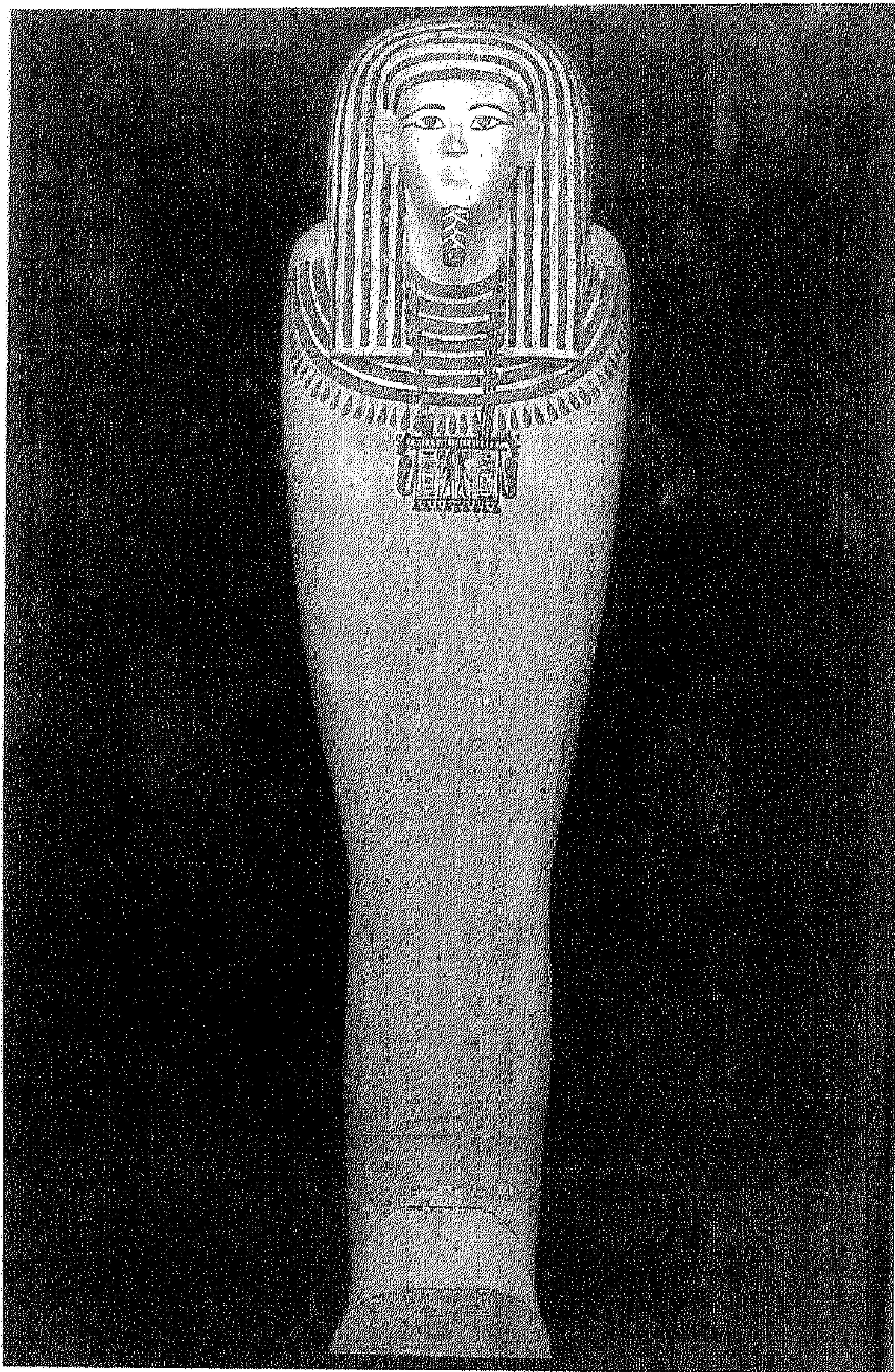
لكثرة ملوك هذه الحقبة المظلمة وتتابعهم بسرعة مذهلة ، لم يخلفوا لنا آثارا ولم تصل لنا معلومات واضحة عن تاريخهم لكن المؤكد أن هذه الفوضي قد خلفت وراءها خرابا ودمارا جعل مصر مطمعا للبلاد المتآخمة لها في الشرق والجنوب ، فقد لجأ بعض الآسيويين إلي مصر بدعوي الخدمة في المنازل والعمل في الحقول وفي صناعة النبيذ من الكروم والجعة «البيرة» من الشعير كما عمل بعضهم في حياكة الملابس وغيرها من الأعمال الصغيرة ثم بعدها امتزجوا خلال جيل مع المصريين مما مكنهم من تقلد بعض المناصب ذات الأهمية حتي أنهم قابلوا اجتياح الآسيويين لمصر بارتياح عندما جاءوا إليها غزاة معتدين .

والغريب في أمر من ذكرنا من ملوك أنهم لجأوا للسحر والشعوذة في محاولات لسحق أعدائهم .. فقد كانوا يكتبون أسماء اعداء العرش والبلاد مقرونة باللعنات علي بعض الأواني والدمي الفخارية وفي احتفالات ومراسم دينية يقوم الملك ومعه الكهنة بتحطيم هذه الأواني والدمي لتحل اللعنة علي أصحاب الأسماء المدونة عليها وترد كيد الأعداء إلي نحرهم ... ولكنا من خلال هذه القطع الفخارية التي عثر عليها أمكن معرفة البعض من تاريخ هذه الحقبة سواء في نهاية الدولة الوسطي أو خلال ما تلاها من أسرات إذ وجدت أسماء سودانية وآسيوية علي بعض هذه القطع تدل علي أن مصر تعرضت لعدوان بعض هذه الشعوب ... كما وجدت أسماء تنتمي إلي البيت المالك مما يقطع بأن مؤامرات كانت تدبرها سيدات القصر اللاتي اردن أن يتولي ابناؤهن دون أبناء الأخريات عرش مصر كما وجدت علي بعض هذه القطع الفخارية أسماء آلهة آسيوية مثل شمس وهدد وايل وأسماء مدن سورية مثل بيبلوس وعسقلان .

وهكذا بعد ان كانت مصر صاحبة السيادة بجيشها وحصونها وقلاعها أصبح ملوكها وحكامها يلجأون للسحر لمحاولة سحق أعدائهم مما يعطي فكرة واضحة عن مدي ما وصلت إليه حال البلد من انهيار وفساد .

كانت هذه أخبار الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة والتي اعقبهما حكم الهكسوس البغيض .

عصر الهكسوس



أحمس قاهر الهكسوس

عصر الهكسوس

أيام الهكسوس ، حقبة من تاريخ مصر ... مثلما يحيط بها العدوان والفساد كذلك يشوبها الغموض والسواد ، بحيث أن أي مؤرخ حديث يتردد كثيرا في سرد تاريخ هذه الفترة التي لم يصل لنا منها إلا بعض ما كتب مانيتون المؤرخ المصري ابن بلدة سمنود والذي لم يتصل بنا إلا منقولاً عبر ما كتب يوسيفوس المؤرخ اليهودي ... وحتي ما نقله هذا المؤرخ كتبه محرفاً بحيث يرضي هويته اليهودية ..

لم يعثر علي آثار تترك وراءها شيئاً يذكر عن هذه الفترة أو تبدد من ظلامها الدامس ، كأنما أوقف الهكسوس عجلة الزمان خلال تلك الحقبة ، فلم يسجلوا حدثاً واحداً يمكن أن يذكر لهم ... أو أن المصريين بعد ان تخلصوا منهم هدموا كل ما خلفوه من آثار تدل عليهم كما تجنبوا تسجيل فترة هوان تعرضت لها مصر علي ايدي هؤلاء القوم المعتدين .

وبرغم ذلك فقد عثر علي بعض جعارين صغيرة نقش عليها بعض أسماء من أسمائهم ، كما أن النص الذي يمكن أن يكون له أهمية ، هو ما كتبته الملكة حتشبسوت بعد طرد الهكسوس باقل من مائة عام والذي تروي فيه كيف اصلحت ما أفسده أولئك الغزاة تقول :

«لقد اعدت بناء ما تحطم ... واتممت ما وجدته ناقصا أيام أن حكم أولئك الآسيويون في «اواريس» شمالي الدلتا .. لقد أهملوا الإله رع ولكني محوت كل ما عملوه في البلد» .

كما وجد شاهد آخر كتبه جندي مصري جاء فيه انه لم يكن هناك بد من حصار اواريس عاصمة الهكسوس ثم طردهم ومطاردتهم حتي فلسطين ... هذا وقد وجدت بردية سيأتي ذكرها في نهاية حديثنا عن هذه الفترة .

قلنا أن مانيتون كتب تاريخ مصر غير أن هذا التاريخ ضاع في حريق مكتبة الاسكندرية ولم يبق منه إلا بعض ما حفظه بعض المؤرخين الأغريق واليهود ومنهم يوسيفوس الذي جاء في بعض ما نقله عن مانيتون فقرة تقول «كان لنا ملك اسمه «تيماوس» اصابنا في عهده - وكان ذلك بسبب عدم رضا الإله - اصابنا أن اجتاح قوم مجهولو الأصل جاءوا من الشرق وكانوا من الجرأة بحيث أنهم أخضعوا بلادنا

وحكامنا واحرقوا مدننا واتلفوا معابد إلهتنا وعاملونا بوحشية وقسوة وذبحوا واسترقوا الزوجات والبنات ... وفي النهاية نصبوا واحدا منهم اسمه «سالاتيس» ملكا علي البلاد ، أقام في ممفيس وأمر بلاد الوجهين البحري والقبلي بدفع الجزية له كما حصن نفسه من جهة الشرق لأنه كان يخشي طمع الآشوريين في مصر ، كما أعاد بناء مدينة أواريس وحصنها وبني حولها من الأسوار ما جعلها قلعة منيعة وأقام بها حامية بلغت ربع مليون من الرجال المسلحين ، كان يقوم بزيارتهم كل صيف لدفع رواتبهم والاطمئنان علي أحوال الشمال .. وقد أورد يوسيفوس أسماء خمسة ملوك بعد «سالاتيس» بلغت مدد حكمهم جميعا بحسابه أكثر من مائتي عام ..

يذكر يوسيفوس نقلا عن مانيتون أن كلمة «هكسوس» تتكون من مقطعين هما «هيك» ومعناه في المصرية القديمة «ملك» و «سوس» ومعناه «راعي» أي أن هكسوس معناها «الملوك الرعاة» ويبدو أن هذا التفسير مرجعه إلي أن هؤلاء كانوا من الرعاة الذين اعتادوا ارتياد مصر من الشرق طلباً للرزق ورعي الماشية ، وقد كانت مصر قد الفت منظر أولئك الناس منذ القدم يطلبون طيب العيش ووارف الظل في بلاد طالما أكرمت كل لاجيء وغريب .

واقع الأمر أن غزو هؤلاء لمصر لم يكن من قبيل الفتوحات التي تلحق دولة مهزومة بسيطرة دولة أخري ، لأن الهكسوس أصلاً قوم مجهولو الأصل ، حتي أن مصر عندما خضعت لحكمهم لم يلحقوها بدولة خاصة بهم إذ لم يكن لهم دولة أصلاً وكأنما كان هذا الغزو اشبه باحتلال اليهود لدولة فلسطين من عصرنا الحديث أو بسيطرة البيض علي السود في جنوب أفريقيا .

من هم هؤلاء الهكسوس ؟ ومن أين أتوا وإلي أي جنس ينتسبون ... سؤال لا يجد جوابا إلا إذا تقصينا أحوال منطقة الشرق التي تسمي بالهلال الخصيب في زمن سابق لغزو الهكسوس بكثير ... فمن الثابت أنه في سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد كانت تقوم دولة في العراق تفرض سيطرتها علي بلاد ما بين النهرين ويحكمها ملك اسمه «حمورابي» شهير باستقرار البلاد أيام حكمه وهو أول من سن قانونا متكاملاً يعرف بقانون «حمورابي» ثم اجتاحت بلاده غزوات من شمال غربي البلاد بعد أن حل الضعف بعد وفاته - أحوال بابل وتمزقت في عهد خلفائه وكان الغزاة هم الحيثيون أجداد الأرمن الحاليين وهم من أصل هندي أوروبي ... استمرت تدفقات الغزاة من

هذه المنطقة وكان منهم الهكسوس الذين أتوا من آسيا الصغري وفتحوا سوريا وفلسطين ثم انتهي بهم المطاف في مصر حيث وجدوها لقمة سائغة ومما يدل علي أن هؤلاء الهكسوس فرع من الهجرة الهندية الأوروبية أنهم أدخلوا بعض مقومات الحضارة الآرية الشمالية إلي مصر ومنها العجلة والحصان وكذلك الشادوف وهو إله لرفع المياه لم تكن مصر تعرفها كما ادخلوا اسلحة من البرونز والحديد وكذلك السيف القصير .

كان إله الهكسوس هو «تشوب» إله العاصفة والرعد والحروب عند الحيثيين وغيرهم من شعوب آسيا الصغري وكان نظيره في الديانة المصرية القديمة «ست» إله الشر .. وعندما أراد هؤلاء القوم أن يمصروا ديانتهم اتخذو «ست» إلها لهم ليس فقط من أجل تمصير عبادتهم ولكن أيضاً للإساءة لإله المصريين «اوزيريس» الذي كان خصماً وعدوا لدوداً للإله «ست» وكذلك لإذلال المصريين ولكي يضربوا مراكز العبادة الأخري في طيبة حيث يعبد الإله «آمون» وفي منف حيث يعبد الإله «بتاح» وفي أون «عين شمس» حيث يعبد الإله «رع» .

برغم عدم امكان تحديد الأسرات التي حكمت مصر خلال هذه الفترة إلا أنه يمكن القول بأن الأسرتين الخامسة والسادسة عشرة كانتا هكسوسيتين .

حاول الهكسوس بعد أن طال حكمهم للبلد انتهاج سياسة اللين والمهادنة مع المصريين الذين بالرغم من ضعفهم سياسياً وعسكرياً لم ينسوا العدوان والبغي الذي حاق بهم علي أيدي هؤلاء الغزاة ، ولم يخفوا احتقارهم لهذه الأجناس الغادرة التي دمرت أحلي ما انجز أجدادهم من حضارة وحطموا كل مقدساتهم ومعابدهم ولذلك خططوا للتحرير وطرد المعتدين .

أرادت عناية الله أن تحفظ للتاريخ ورقة تسجل فصلا من فصول حرب التحرير التي قادها المصريون ضد ملوك الشر رعاة الغنم ... كانت هذه الورقة - وما أقرب الليلة بالبارحة - مكتوبة بخط أحد تلاميذ المدارس من الأسرة التاسعة عشرة بعد طرد الهكسوس بمئات السنين .

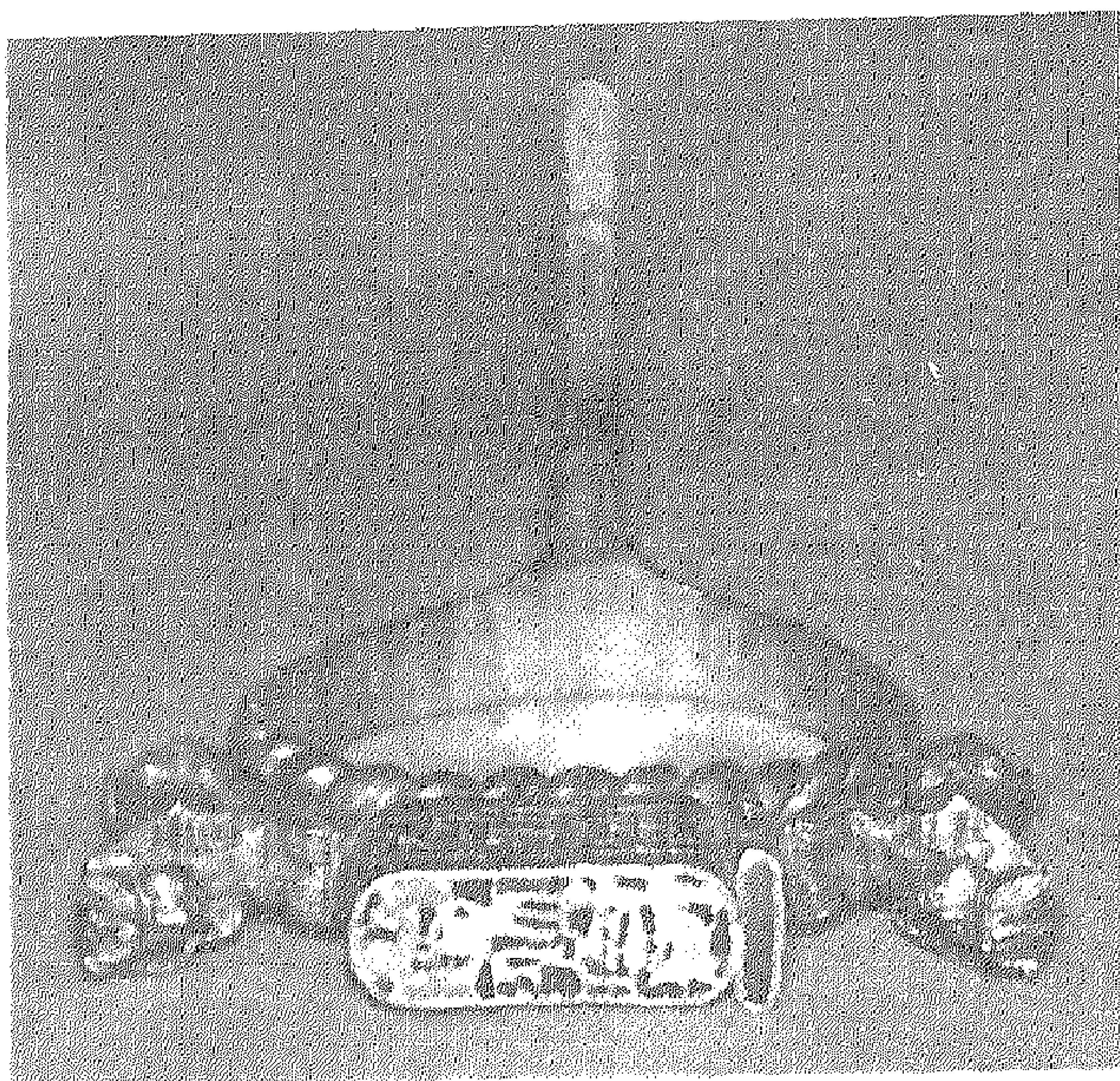
هذه الورقة من البردي كتب عليها تلميذ يدعي «بيتا أور» قصة شعبية تسجل كفاح جيل ضد الهكسوس ... أنها بردية «ساليبه» نسبة إلي الأثري الذي اكتشفها وترجمها .. والقصة تبدأ لوصف حالة البلد أيام الملك «أبو فيس» أحد ملوك

الهكسوس والذي كان يحكم في اواريس بشمال الدلتا . تقول القصة أن الملك «ابو فيس» أرسل إلي أمير في الجنوب في مدينة طيبة ينذره فيها بالويل والثبور وعظائم الأمور ان لم يخل البركة الواقعة شرقي طيبة من أفراس النهر التي تزعج الملك ابوفيس بأصواتها وضوضائها فتحول بينه وبين النوم في الليل وفي النهار .

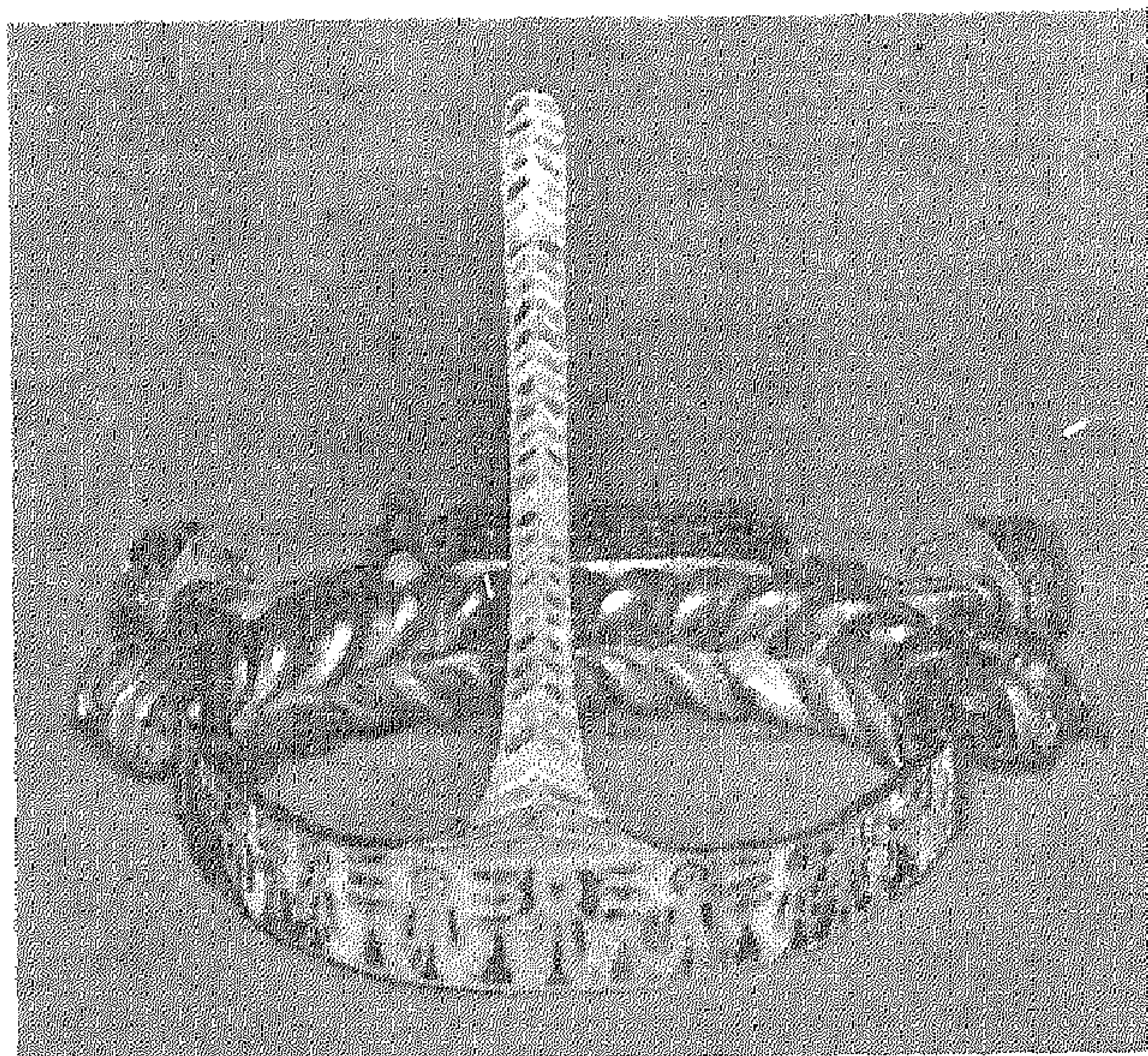
كان هذا المطلب نوعاً من الاستفزاز السافر لأمير الجنوب «سكنن رع» لأن أواريس تبعد عن طيبة مئات الأميال ، فكيف يعقل أن تصل أصوات أفراس النهر إلي مسامع الملك في أواريس .

ما اشبهها بقصة الذئب والحمل .. بل ما هي إلا «جرّ شكل» كانت هذه الرسالة هي الفتيل الذي اشعل نار حرب التحرير التي سنعرض لها .

حــرب التحــرير



من حلى الملكة (أع حتب بالمتحف المصرى)



حرب التحرير

ليل طويل عاشته مصر .. ساد فيه حكام الهكسوس الطغاة عاثوا في البلاد فساداً .. وجعلوا أعزة قومها أذلة .. وأعملوا معاول الهدم في كل شيء حتي لم يبق مكان لم يبعثروا فيه الشر ألوانا .. وتحرشوا بأمراء طيبة الذين ارتضوا الخضوع إلي حين ... عالمين أنه سيأتي يوم تدور فيه علي الباغي الدوائر .

ففي الرسالة التي بعث بها ملك الهكسوس (ابو فيس) إلي أمير الجنوب (سكنن رع) والتي بلغت فيها حماقة هذا الملك مداها .. إذ طلب إخلاء البركة الموجودة في شرقي طيبة من أفراس النهر - كما أسلفنا القول - لم يجد الأمير بدا من أن يجمع كبار رجال العشائر والأسر في طيبة ويطلب منهم الرأي والمشورة .

تقول البردية التي وردت بها هذه الرسالة أن هؤلاء الرجال الذين جمعهم الأمير لم يفتوا بخير أو بشر .. ثم تنقطع الكتابة في البردية لضياع باقيها وتلفه .. مما يثير في النفس اللهفة علي معرفة ما تلي ذلك من أحداث وان كان من المتيقن أن رد الأمير (سكنن رع) علي رسالة ملك الهكسوس كان جملة واحدة تقول (اردتموها حربا فلتكن حربا) .

من يكون (سكنن رع) الذي رفع راية العصيان ضد ملك الهكسوس ...، ومن أي أصل نبت هذا الفرع ...، إذا عدنا إلي الوراء قليلاً نجد أنه سبق الحديث عن ملك في طيبة أسمه (نب خبرو رع انيوتف) كان قد أصدر مرسوما فرعونيا بعزل أحد الموظفين الذي وجهت له تهمة خيانة الوطن وقد ورد في المرسوم (جاء موظفو معبد الآله مين في بلدة قوص إلي جلالتي وابلغوني بأن (تيتي بن منحتب) موظف في المعبد قد قام بأيواء أحد الأعداء (الهكسوس) في المعبد .. لذلك أمرت بعزله وحرمانه وأولاده واحفاده واحفاد احفاده من دخول المعبد) .. وقد أردنا بسرد هذا المرسوم ابراز مدي ما كان يجيش بصدور الناس والملك من حقد وكراهية لهؤلاء الهكسوس حتي أن اصبح مجرد إيواء واحد منهم يعتبر خيانة عظمي عقوبتها العزل والحرمان من الحقوق المدنية والسياسية واستمطار لعنة الآلهة علي من يرتكب هذا الفعل .

كان هذا الملك (نب خبرو رع انيوتف) من الأسرة السابعة عشر الحاكمة في

طيبة في جنوب البلاد وقد اعقبه في حكم البلاد ابنه (تاعا الكبير) الذي تزوج من احدي بنات الشعب (تتي شيري) فأنجب منها (سكنن رع) الفرع الذي نما من أصل راسخ في عقيدة بغض هؤلاء الملوك الرعاة الدخلاء علي مصر مستوجبو اللعنة والطرد ..

لم يكن القصد أن نتابع انساب هذه الأسرة وأصولها وفروعها بقدر ما كان القصد أن نرجع إلي الجذور التي غذت من بدأوا واستمروا في حرب تحرير البلاد بروح الجهاد الكبير والفداء العظيم .

كانت (تتي شيري) هي التي ارضعت ابنها (سكنن رع) وابنتها (أع حتب) اخته وزوجته .. ارضعتهما حب مصر ولقنتهما معاني الوطنية والذود عن حياض الوطن وشرفه .. فقد سجل لنا التاريخ أن هذه المرأة لعبت دوراً كبيراً في تنشئة جيل من الأبطال أولهم ابنها (سكنن رع) الذي اشعل نار الحرب ضد الهكسوس وبدأ الكفاح المقدس حتي سقط في ميدان الشرف فكان أول شهيد في حرب التحرير فتولي القتال بعده ابنه (كاموسي) الذي أكمل مسيرة الكفاح وبعد موته حمل راية الجهاد بعده شقيقه (احمس) الملك والبطل المظفر الذي تم علي يديه خروج آخر معتد أثيم من أرض مصر .. وبهذا استحقت الملكة (تتي شيري) أن تلقب بأم أول شهيد كما استحقت ابنتها (أع حتب) أن تلقب بأم الأبطال وقد عاشت هذه الملكة الأخيرة موقرة مبجلة عمرا مديداً حتي يقال أنها عاصرت عدة ملوك من أحفادها .. وقد ذكر اسمها في لوحة بمعبد الكرنك تشيد بما قدمته هذه الملكة الجليلة من مآثر وأياد بيضاء .. كما عثر في تابوتها علي بلطة ذهبية وخنجر .. مما يقطع بأنها كانت متمرسة في أمور الحرب وإدارة شئون القتال والجهاد .

حاول ملوك الأسر التالية لعصر الهكسوس أن يطمسوا معالم ذلك العهد البغيض وأن يعتموا تماماً علي أخباره بحيث لا تعود تذكر .. بل واستمطروا اللعنات علي من يذكر اسمهم علي لسانه .. ولكن كان من حق هذه الأسرة الطيبية الصعيدية أن يذكر فضلها في تحرير الوطن .. فشاء الله أن يخرج إلي النور من ظلمات القبور اخبار هؤلاء الأمجاد وما حققوه من نصر مبين .

في عام ١٨٥٧ كان نابليون الثالث امبراطور فرنسا قد ضاق ذرعاً بابن عمه الأمير نابليون الذي كان يسبب له الكثير من المشاكل السياسية .. وإذ كان

الامبراطور صديقا لوالي مصر حين ذاك سعيد باشا فقد طلب منه أن يستضيف هذا الأمير بمصر لابعاده عن فرنسا .. وقد قبل الأمير دعوة سعيد باشا علي أمل أن يحصل في زيارته علي بعض نفائس الفراعنة التي كانت حمي البحث عنها قد اجتاحت أوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر خاصة وأن أمير النمسا كان قد حصل علي مجموعات أثرية فخمة سال لها لعاب هذا الأمير الفرنسي واشتاق أن يحصل علي مجموعات تفوق ما حصل عليه نظيره أمير النمسا .

حتي يحقق الخديوي سعيد باشا للأمير رغبته في الحصول علي بعض الآثار فقد طلب الاستعانة بـ «مارييت» الذي كان يعمل في متحف اللوفر بفرنسا واستعاره للعمل في مصر لفترة محدودة وذلك للتنقيب عن آثار الوجه القبلي .. وقد طلب سعيد باشا من (مارييت) أن يخفي أخبار العثور علي أي مقبرة بل طلب منه أيضاً أن يدفن ما يعثر عليه مرة أخري حتي عندما يزور الأمير مناطق التنقيب يكشف النقاب عن المقابر في حضرة الأمير ارضاء لغروره وحتي يعلن أن الكشف تم أثناء زيارة الأمير سعيد الحظ ..

بدأ (مارييت) الحفر فعثر علي تابوت في جبانة (ذراع أبو النجا) ولم يكن في مظهر التابوت الخارجي ما يوحي بأنه لملك أو أمير بل كان مما يستعمل في احتواء مومياوات الأفراد العاديين .. غير أنه لما فتح التابوت عثر بداخله علي مومياء الملك (كاموسي) الذي كان قد دفن علي عجل في ذلك العصر المضطرب فلم تكن المومياء قد أحسن تحنيطها ولذلك فإنه بمجرد فتح التابوت انهارت المومياء وتحولت إلي حفنة تراب وقد وجد بالتابوت بعض الحلي الذهبية وخنجر ومجموعة من الجعارين والتمائم .

يروي الدكتور سليم حسن عميد الأثريين في زمانه أن هذه المحتويات التي وجدت في التابوت قد آل بعضها إلي متحف اللوفر والبعض الآخر لم يعرف مصيره .. إلا أن الخنجر الذي امسكته اليد المصرية الأصيلة واغمدته في صدور الأعداء .. وكان مصدر رعب لهم .. هذا الخنجر الذي لا يزيد طول نصله عن ٢١ سم كان من نصيب متحف بروكسل في بلجيكا وحرم من البقاء في الوطن الذي لعب دوراً خالداً في تاريخه .

لم يبق من أثار (سكنن رع) أول شهيد في حرب التحرير إلا تابوته الذي عثر

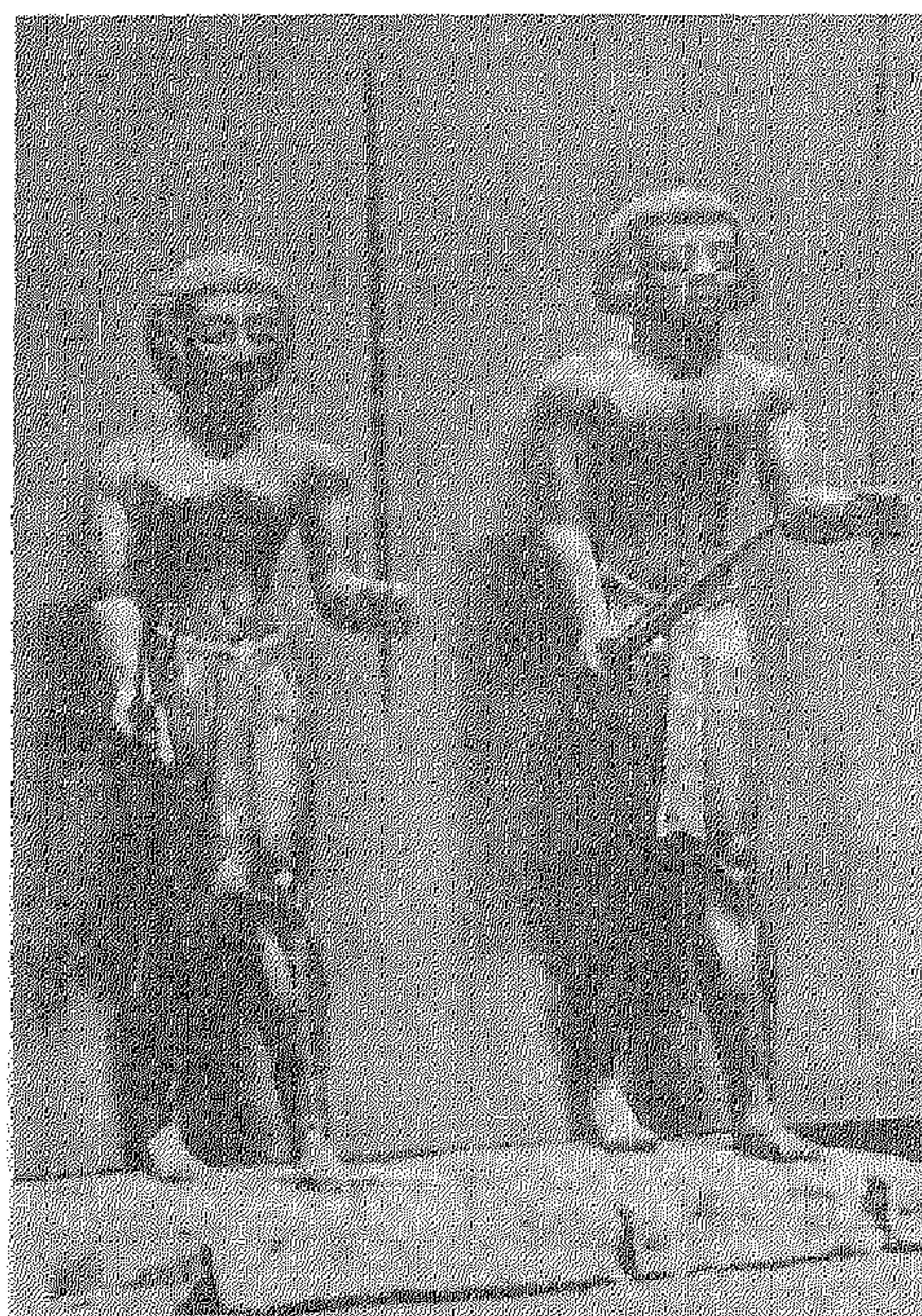
عليه في خبيئة بجوار الدير البحري وبداخله مومياؤه وآثار ضربة البلطة في رأسه وطعنات خناجر في عنقه ومنقوش علي التابوت من الخارج (سكنن رع ملك الوجهين القبلي والبحري تاعا الشجاع ابن الشمس) . ومن الأخبار التي زودتنا بها توابيت ملوك هذه الأسرة أن عمال (مارييت) الذين كانو يقومون بالتنقيب في منطقة ذراع أبو النجا بالأقصر عثروا علي تابوت الملكة (أع حتب) أم كاموسي واحمس وزوجة سكنن رع وقد كان مارييت وقتها في القاهرة .. ولذلك أجري مدير قنا فتح التابوت ولما رأي ما يحويه من نفائس من الذهب تزن أكثر من كيلو جرامين سولت له نفسه الاستيلاء عليها وهرب التابوت بما يحتويه في مركب علي النيل ابحر شمالا .. وإذ كان أحد موظفي مارييت قد دون محتويات هذا التابوت عندما فتحه مدير قنا .. فقد ابلغ مارييت الذي تعقب المركب التي كانت تقل التابوت وتمكن من اللحاق به عند بلدة (سمنود) في الوجه البحري وبعد معركة مع رجال مدير قنا استعاد الكنز الذي كان يحوي الكثير من الحلي الرائعة الصنع والمرصعة بأحجار الفيروز والعقيق واللازورد واودع كل هذه النفائس متحف القاهرة. من هذه الحلي عقد نفيس احتفظ به سعيد لإحدي زوجاته ولكنها أعادته للمتحف خشية لعنة الفراعنة .

كانت هذه أخبار الهكسوس وقصة طردهم من مصر علي أيدي أبناء مصر .. وبدأ بعد ذلك أحمس الأول أسرة جديدة هي الأسرة الثامنة عشرة بدأت بها أيضاً الدولة الحديثة .

الدولة الحديثة



بعض جنود المشاة في مصر القديمة



رحلة في الزمان طويلة ، عبرنا خلالها عصوراً امتدت من الأسر الأولي حوالي عام ٣٢٠٠ ق . م وحتي أيام الهكسوس وطردهم في عام ١٥٥٠ ق . م ... وعلي مدي أكثر من خمسة عشر قرناً من الزمان عايشنا فترات من الازدهار وفترات من الانهيار وشاهدنا موجات من الانكسار وموجات من الانتصار وكأنما كانت المسيرة لسان حالها قول الشاعر .

انما الدنيا هبات وعوار مسترده

شدة بعد رخاء ورخاء بعد شدة

ووقفنا عند أحمس الأول قاهر الهكسوس وبطل التحرير سليل ملوك طيبة من الأسرة السابعة عشرة وأول ملوك الأسرة الثامنة عشرة رفيعة المقام في الأسر المصرية القديمة كما سنري في جولاتنا القادمة .

كان أحمس الأول ثالث ثلاثة ملوك رفعوا راية الجهاد ضد المستعمر الدخيل والذين خلدوا اسماءهم في التاريخ كأول الملوك المحاربين الذين لا تلين لهم قناه .. ولعل ما كان يجيش بصدر أحدهم وهو الملك (كاموسي) تصوره لوحه عشر علي جزء منها كارنرفون عام ١٩١٢ كما عثر علي باقيها أعوام ١٩٣٥ و ١٩٤٥ بمعبد الكرنك فقد صورت هذه اللوحة اجتماعاً عقده الملك مع مستشاريه حيث أبلغهم استياءه مما يحدث في الشمال من أعداء البلاد وهم الهكسوس ومن أعدائه في الجنوب في كوش (جنوب السودان) وقال أنه لا جدوي من القوة والجبروت ما لم يتم تحرير مصر واقصاء الآسيويين الغزاة كما ردد أنه سوف يبقر بطن ملك الهكسوس قائلاً «سوف اكافحه حتي النهاية .. سأبحر في سفينتي شمالاً لاقضي عليه وعلي رجاله بأمر آمون ملهمي ومشيري».

وفي نضال الملك كاموسي ضد الهكسوس طالعتنا الأخبار برواية مؤامرة حاول الهكسوس تدبيرها مع ملوك كوش في جنوب السودان لتطويق مصر من الشمال ومن الجنوب ولكن الملك كاموسي قبض علي رسول الهكسوس إلي حاكم كوش والذي كان يحمل رسالة تحوي تفاصيل هذه المؤامرة وما سوف يتم من تقسيم لمدن مصر بين الهكسوس وحكام كوش بعد انتصارهم علي ملك مصر وفي هذا يقول كاموسي في لوحة سجل فيها انباء انتصاره علي الهكسوس وكوش ووضعها في

معبد الكرنك (لقد رددت كيد الأعداء وحاصرت حصونهم في اواريس شمالاً ودمر جنودي البواسل مدينتهم).

بيد أن النصر النهائي تم علي أيدي أحمس الأول شقيقه الذي وان كانت لم ترد أخباره عبر ما سطر علي جدران المعابد ولكن انباء نضاله ضد الهكسوس وقتاله معهم وطرده إياهم نستقيها من كتابات واحد من قواده وهو «أحمس بن أبانا» دونها علي جدران مقبرته في بلدة الكاب «شرقي ادفو» إذ يقول (ولدت وعشت في بلدة الكاب وكان والدي «تيتي بن رونييت» يعمل ضابطا في جيش ملك الوجهين سكنن رع .. أما أنا فقد خدمت كضابط بحري في سفينة حربية تسمي «التقدمة» في زمن المنتصر أحمس الأول ثم التحقت بالمشاه. وعندما كان الملك يحاصر مدينة اواريس علي عجلته الحربية كنت اتبعه علي قدمي وقد حاربت ببسالة فمنحني الملك ذهب الشجاعة كما أعطاني من الأسري عبيدا لخدمتي).

كما يروي «أحمس بن ابانا» قصة فرار الهكسوس إلي جنوب فلسطين في مدينة شاروهين حيث حاصرهم الملك مدة ثلاث سنوات قد تكون أطول مدة حصار لمدينة في تاريخ الحروب .. وبعد ان استولي الملك علي المدينة وزع الغنائم علي جنوده وقواده.

غير أن الملك لم يكتف بانتصاره علي الهكسوس وانسحابهم شمالاً وشرقاً بل تعقبهم إلي مكان يدعي ذاهي في شمال سوريا وذلك كما ورد في سطور سجلها قائد آخر اسمه (أحمس بن نخبيت» علي جدران مقبرته.

بعد طرد الهكسوس ومطاردتهم، عاد أحمس إلي مصر ليضمد جراحها التي هدت كيانها خلال احتلال دام أكثر من قرن ونصف من الزمان .. وكانت المهمة صعبة .. فلم تكن حرب التحرير إلا نزيفاً انهك مصر وتركها دولة هزيلة ممزقة من محتل غادر أثيم .. أو من بعض حكام في الشمال أو الجنوب كانوا موالين للاستعمار أو لعدو الجنوب في السودان حتي أن «أحمس بن ابانا» دون واقعة علي جدران مقبرته فيقول «كان الخسيس تيتي أحد الذين تجمع حوله المتمردون .. قبضنا عليه وأخذناه إلي الملك .. وقد ذبحه جلالته هو واتباعه وأبادهم جميعاً .. وعندئذ أعطاني الملك ثلاثة عبيد وخمس قطع من الأراضي الزراعية في بلدتي الكاب مكافأة لي».

وهكذا فإنه بين غريب يحدوه الغدر والطمع وبين مواطن يدفعه الجشع كان الحال الذي واجهة أحمس عندما رجع إلي مصر بعد طرد الهكسوس .. وبعد أن أمن الحدود في الشمال والشرق والجنوب وبعد أن قضي علي القلاقل في الداخل .. وجه عنايته إلي إصلاح البلد ففرض الأمن والأمان وأعاد بناء ما خرب الهكسوس من معابد وتماثيل ومباني حتي أنه من كثرة ما انجز وضعه المؤرخون علي رأس أسرة جديدة هي الأسرة الثامنة عشرة .

كانت حرب التحرير نواة بناء قوة حررت الوطن واعادته إلي مجده الأول فقد ترك المصري الأرض والزرع والمحراث والفأس وحمل الفلاح السلاح ثم عندما انتهت المحنة وعاد الفلاح إلي أرضه ليزرعها وإلي مدنه ليعمرها .. بقيت لمصر قوة ضاربة وأصبح لها جيش يحمي الزمام . وليس من شك في أن الهكسوس كانوا محاربين أشداء فهم من بدو الصحراء الذين اعتادوا خشونة الحياة وتمرسوا في فنون القتال ساعدهم علي ذلك ما كان عندهم من سلاح وعتاد وما استحدثوه من أسلحة الحرب والدمار كالمركبة الحربية التي تجرها الخيول .. وليس من شك في أن مواجهة هذه القوة الضاربة علمت المصريين – وقد لجأوا إلي الكفاح – أن يدربوا أنفسهم أحسن تدريب حتي يكتب لهم النصر علي محتلهم ... وقد كان .. وساعدهم في ذلك أيضاً تفوقهم علي هؤلاء البدو في سلاح البحر .. فالمصريون منذ أقدم العصور كان النيل طريق مواصلاتهم يربط بلادهم بعضها ببعض فبرعوا في الملاحة النهرية .. وقد رأينا أن «أحمس بن ابانا» كان ضابطا بحريا في جيش أحمس .. كما يتضح ذلك أيضاً من قول كاموسي «سأركب سفينتي وأبحر شمالاً» .. خلاصة القول أن حرب الهكسوس خلفت وراءها جيشاً يحمي حمي البلاد ويذود عن حياضها .

أن من خلف أحمس من ملوك بدءاً بامنحتب الأول حتي تحتمس الثالث .. ومن بعده أدركوا أن خط الدفاع عن مصر لايقع عند حدودها الشمالية والشرقية فحسب بل يتجاوزها إلي آسيا عند فلسطين ولذلك انتهجوا سياسة الغزو في الخارج مما عاد عليهم بأحسن الأثر من حيث فرض السلطان علي تلك البلاد .. واخضاع شعوبها وكانت بدءاً لعصر امبراطوري بلغ أوجه في أيام تحتمس الثالث – نابليون العصور القديمة – كما أن ما فرض من جزية علي تلك البلاد عاد علي مصر بالرفاهية والثراء وهكذا بعد أن كانت مصر دولة محتلة أصبحت دولة غازية استعمارية

تضارع أقوي دول العالم القديم مثل اشور وبابل وميتاني ودولة الحيثيين وبذلك أكدت مصر أصالتها ونقاء معدنها وأن أعلامها وراياتها ستدوم عالية خفاقة وأن بعد الليل لابد أن يأتي نهار وأنها قد تكبو مرة ولكنها لابد أن تقوم وتعاود المسيرة ..

قصص من البرديات

صفحة من بردية

احسب أن جوادنا الذي يجر عربة رحلتنا عبر القرون ، قد أعياه التعب من كثرة التجوال خلال هذه السنين الطوال .. لذلك أراها فرصة أن نعطيه بعض الراحة فنحط الرحال في بلدة طيبة مقر حكام ملوك الدولة الحديثة التي كنا قد وصلنا إليها في مقال سابق وحتي نلتقط الأنفاس ونستخلص أخبار الناس في سالف الزمان وحاضر الآوان ..

تقع مدينة طيبة «الأقصر حالياً» في الجانب الشرقي من النيل حيث بني الفراعنة قصورهم وشيدوا معابدهم وحيث عاش أتباعهم ورعاياهم تحت لوائهم .. وفي الجانب الغربي نحتوا قبورهم في بطن الجبل حتي يضمنوا لأنفسهم الخلود بعد الموت .. وقد كان من الضروري أن يتولي شئون حفر وبناء هذه المقابر ونقشها بناءون ورسامون ونقاشون مهرة ، كما كان من اللازم أن يقوم بمراسم الدفن وشعائر ما بعد الموت كهنة يداومون رعاية شئون الجبانة الملكية علي مدي الأيام والزمان .. ولذلك فقد قامت مدينة كاملة في البر الغربي .. عاش فيها كل هؤلاء مع أسرهم لا يغادرونها إلي أي مكان آخر .. وقد أطلق رهبان المسيحية الذين استوطنوا هذه البقعة في القرون الأولي للميلاد اسم «دير المدينة» وقد خلفت هذه المدينة آثاراً كثيرة منها البردية التي سنتحدث عنها في ما بعد ..

في أوائل القرن الماضي وبعد حملة نابليون علي مصر وكشف وحل طلاسم حجر رشيد الذي كان يحوي نصوصاً هيروغليفية وديموطيقية ويونانية .. سرت مسري النار في الهشيم حمي البحث عن آثار مصر .. أما تحقيقاً لكسب مادي بالحصول علي ذهب الفراعنة وأما ارضاء لرغبة الهواة في حيازة القطع الفنية النادرة أو لتزويد متاحف العالم بتحف مصر الفريدة وقد صادف ذلك هوي في نفوس بعض الضعاف من سكان الأقصر – شرقها وغربها – الذين استهواهم الكسب الرخيص ، أو ممن دفعتهم الحاجة وشظف العيش إلي التفريط في أغلي تراث خلفه أجدادهم الأولون الذين عاشوا في هذه المدينة فتسرب من مصر ما تسرب من آثار .. بالنهب والسرقة .. أو بالغش والتدليس .. وامتلأت الأسواق في أوروبا ثم في أمريكا بكل نادر ونفيس من آثار مصر .. تماثيل وتوابيت .. مسلات ومومياوات .. وبرديات تحوي من العلم والمعرفة والتاريخ الكثير مما لم تفهمه مدارك من حازوا هذه الطرائف ..

في محاولات لفهم ما تضمنته البرديات من معارف ، خاصة وأن اللغة المصرية القديمة كانت قد تكشفت أسرارها للدارسين .. فقد بدأت المتاحف وغيرها ممن كانت في حوزتهم لفائف من البردي .. في عرضها علي علماء الآثار والمصريات لترجمة ما كانت تحتويه فوجدوا في بطونها دراسات في علوم الطب والهندسة والفلك والحساب ، كما وجدوا في بعضها من الآدب المصري القديم والحكمة والأمثال والموعظة الحسنة ما يفوق وبتفوق علي كتابات المحدثين ..

كان المتحف الملكي للفن والتاريخ في بروكسل قد كلف الأثري «كابار» بفحص المجموعات التي يملكها من الآثار المصرية والتي أهداها الملك ليوبولد الثالث للمتحف .. وضمنها بعض تحف كان قد اقتناها والده ليوبولد الثاني عندما كان يقوم بزيارات لمصر في منتصف القرن التاسع عشر أيام أن كان ولياً لعهد بلجيكا .

في عام ١٩٣٥ بدأ «كابار» فحص هذه المجموعات ودراستها وإذ كان يقلب بين يديه تمثالاً من الخشب تبين له أن هذا التمثال مجوف وأن بداخله لفافة من ورق البردي اتضح عند فحصها أنها لا تحوي نصوصاً من كتاب الموتي والتي كانت توضع عادة داخل تجويف تمثال في مقبرة المتوفي لتساعده في رحلته في حياته الأخري في عالم اوزوريس .. ولكن البردية كانت تحوي وقائع تحقيق كان قد أجري في عهد الملك رمسيس التاسع مع بعض الموظفين الذين كانوا متورطين في نهب بعض المقابر الملكية .. غير أن هذه البردية كانت تحوي ما يقرب من نصف وقائع التحقيق ... ولأن الأثري «كابار» كان قد سبق له أن اطلع علي بردية أخري تدعي بردية «امهرست» وكانت تحوي النصف الآخر من وقائع التحقيق في جرائم السطو علي المقابر أيام الأسرة العشرين فقد أجري ضم صور هاتين البرديتين فتأكد له أن السطر الأخير في بردية متحف بروكسل كان يليه في سياق الحديث السطر الأول في بردية «امهرست» وان الكتابة في كليهما بالهيراطيقية وبخط يد شخص واحد مما يقطع بأن البرديتين كانتا بردية واحدة وانهما لسبب ما قسمتا إلي هذين القسمين .

كانت بردية امهرست قد حصل عليها البارون «امهرست» في منتصف القرن الماضي وقد سميت باسمه .. وكانت تمثل الجزء السفلي من البردية وقد تم ترجمتها ونشرها عام ١٨٧٥ .. والمؤكد أن بردية امهرست وبردية ليوبولد كانتا بردية واحدة .. ربما كانت في حوزة أحد تجار الآثار في منطقة الأقصر أو دير المدينة في البر

الغربي وأن هذا التاجر رغبة منه في الحصول علي ثمن مضاعف .. قسم البردية إلي نصفين ليحصل علي ثمن أكبر وباع أحدهما إلي امهرست ثم لسبب أو لآخر وضع النصف الثاني داخل تمثال كان في حوزته وتصادف بعد ذلك أن اشتري التمثال وما بداخله ليوبولد البلجيكي .. وقد يكون بعض لصوص المقابر كانوا قد عثروا علي خبيئة من الآثار اجروا تقسيمها فيما بينهم .. وأن هذه البردية كانت ضمن ما عثر عليه فقسموها فما بينهم وهكذا وجد قسم طريقه إلي امهرست والقسم الثاني طريقه إلي ليوبولد ...

خلاصة القول أن بردية امهرست بيعت بعد وفاته وآلت إلي متحف «مورجان» في مدينة نيويورك عام ١٩١٣ وان بردية ليوبولد أهداها الملك إلي متحف بلاده في بروكسل ليدرسها كابار عام ١٩٣٥ وأن الجزءين يحكيان قصة التحقيق الذي أجري عن نهب المقابر الملكية والمقابر الخاصة في البر الغربي وهو ما يسمي وادي الملوك أو بيبان الملوك .. وقد ورد في بردية أخري شهيرة هي بردية «ابوت» تحقيق مماثل يطابق ما ورد في البرديتين السابقتين تحوي البرديات تحقيقاً كان قد أجراه الوزير بتكليف من الفرعون مع بعض لصوص المقابر الذي روي أحدهم وهو بناء ويدعي «آمون با نوفر» كيف اقتحم مع سبعة رجال آخرين مقبرة الملك «سوبك ام ساف» حيث وجده موسّداً في تابوته في مقره الأخير وبجواره زوجته الملكة «نوب خاسي» في تابوتها .. وكيف أنه وزملاءه أجروا فتح التابوتين واستولوا علي محتوياتهما من القلائد والأساور والأقنعة الذهبية وكيف أن التابوتين كانا مملوءين بالذهب والفضة والأحجار الكريمة وكيف أنهم أشعلوا النار في مومياء الملك والملكة اتقاء لانتقام روحيهما ثم كيف أنهم اقتسموا الذهب بحيث اختص كل واحد منهم بما يزن ٢٠ «دبن» من الذهب ... وبحساب ايامنا نجد أن ما حصل عليه . كل واحد منهم يساوي ما يقرب من الكيلو جرامين من الذهب الخالص لأن الـ«دبن» كان وحدة وزن في مصر القديمة يساوي ٩١ جراماً .. وبحساب أيامنا أيضاً نجد أن ما حصل عليه هؤلاء اللصوص الثمانية يساوي مليوني جنيه مصري وكل هذا بحساب القيمة المادية فقط .. وكل هذا بخلاف ما استولي عليه اللصوص من أثاث جنائزي وغير ذلك من نفائس .

تم التحقيق مع اللصوص علي أثر شكوي قدمها حاكم طيبة الشرقية إلي الملك

ضد حاكم طيبة الغربية التي كانت الجبانات تحت إشرافه وقد اتهمه بالتقصير في الحراسة مما أدي إلي تمادي اللصوص في العدوان علي الجبانات .. وربما كانت هذه الشكوي لضغائن بين حاكم الشرق وحاكم الغرب .. حتي أننا نجد ان «باسر» حاكم طيبة الشرقية يتبادل الاتهامات مع «باور» حاكم طيبة الغربية .. كما نجد أن البناء «آمون با نوفر » لص المقابر يقحم عمدة طيبة في التحقيق إذ يقرر أنه عندما مثل للتحقيق قام بإعطاء رشوة قدرها ٢٠ دبن لأحد موظفي عمدة طيبة فأخلي سبيله .. وأن زملاءه في السرقة قد قاموا بتعويضه عما دفعه رشوه ..

ربما كانت هذه البرديات وغيرها من برديات أخري تشمل عقود زواج أو بيع أو شراء أو مقايضة كانت مودعة في دار لحفظ الوثائق في دير المدينة ، وأنها في عصور لاحقة وحتي أيامنا هذه تم العثور عليها وخرجت إلي النور لتحكي قصص الأولين .

عالم الآثار بترى



بترى

SIR WILLIAM MATTHEW

FLINDERS PETRIE

في مقولة لأحد المؤرخين أن علم الآثار هو علم البحث عن بقايا ونفايات الأقدمين .. وفي مقولة أخري للمؤرخ الكبير السير «آلان جاردنر» أشهر علماء المصريات وأستاذ اللغة المصرية القديمة وصاحب أكبر مجلد لقواعدها يقول أن ما يفخر العلماء بكتابته عن مصر وتاريخها لا يعدو أن يكون مجموعة من الخرق والأسمال البالية ... والكل في أقوالهم أنما لا يقللون من شأن علوم الآثار والتاريخ .. بل يحفزون الهمم للبحث عن الخامة التي تشكل نسيج ثوب التاريخ .. والتنقيب لا في البيوت والعمائر فحسب بل في الخرائب والمقابر .. لعل بردية أو قطعة حجر أو بقايا طعام أو عظام تعطينا خبراً من أخبار الأولين وتسد ثقباً في ثوب التاريخ الممتد لآلاف السنين .

ولقد صادفنا خلال عصري الاضمحلال الأول والثاني وأيام الهكسوس فترات ساد فيها الغموض ولم يرد لنا عنها من التاريخ المكتوب إلا القليل حتي أننا فيما قدمنا من أخبار واحداث لم ندرك الأمر كله إذ كانت تعترض التاريخ ثغرات لم يقدر لنا أو لغيرنا أن يسدها - وحتي إذا اجتهد مؤرخ فحاول أن يكسو بعض عظام هيكل التاريخ فأمانة العلم توجب عليه أن يقرر مصادر اجتهاده أو أسس افتراضه حتي لا نظلم التاريخ .

ولعل من خيرة علماء الآثار الذين كان لهم السبق في ارساء الأسس السليمة للبحث والكشف وإعادة كتابة التاريخ مما يعثر عليه من بقايا وآثار الأولين .. لعله الأثري الملقب «بأبي علم المصريات في انجلترا» وليم ماثيو فلندرز بتري، ولد بتري في انجلترا عام ١٨٥٣ وكان جده لامه ملاحا بريطانياً شارك في اكتشاف استراليا وتسمانيا .. وفي طفولته أظهر بتري ميولاً لعلم الآثار خاصة بعد أن قرأ كتابا عن الهرم الأكبر في عام ١٨٦٦ للآثري «بيازي سميث» .

درس بتري في مدارس خاصة ، وان كان لم يدرس التاريخ أو الآثار دراسة أكاديمية إلا أنه في عام ١٨٨٠ ألف كتاباً عن مبني حجري أثري قديم في انجلترا ،، STONEHENGE وفي نفس السنة زار مصر وأجري مسحاً لمنطقة الأهرام أعوام ١٨٨٠ - ١٨٨٢ حتي أن من الألقاب التي وصف بها كانت «مساح الآثار» ولعل هذه الصفة تجعله يعطي اهتماماً لكل كبيرة وصغيرة مكتشفة ، لايترك حصاة صغيرة

في منطقة مسحه الآثري إلا ويعطيها من العناية مثل ما يعطي سواراً من الذهب أو تمثالاً من الرخام كان يحصي كل شيء من قطع فخار مهشمة إلي زجاج مبعثر إلي حبات خرز كانت ذات يوم عقداً علي جيد غانية غنية أو فتاة فقيرة .. كان يقول أن لكل قطعة قصة ترويها ..

في عام ١٨٩٢ شغل كرسي مادة المصريات في جامعة لندن وفي عام ١٩٢٣ منح لقب «سير» .

كان من أنجح حفرياته ما انجزه في نقاده والبلاص من كشف أكثر من ثلاثة آلاف مقبرة ترجع إلي عصور ما قبل الأسرات - كما كانت له حفريات أخري في مناطق «ابيدوس» وكان قد سبقه إليها في «ام القعاب» اميليانو الذي كان هدفه من الحفر هو المكسب لا العلم .. فقد كان همه نهب وسرقة ذهب الفراعنة والحصول علي كل نادر ونفيس من الآثار حتي أن بلغ به الجشع والاستهتار أنه كان إذا عثر علي قطعتين متماثلتين من الآثار كان يحطم أحداهما ويبقي علي الثانية حتي تصبح قطعة فريدة ليبيعها بأغلي الآثمان .. في المناطق التي عمل فيها امليانو عمل بتري بعد ذلك ..

وأعاد كشف ما أهمله امليانو كما أعاد تجميع ما حطمه وهشمه ليسد بعض ثقوب التاريخ مبتدعا أسلوب تقسيم منطقة التنقيب إلي مسطحات مربعة صغيرة يبدأ العمل في مسطح حتي إذا ما أنتهي منه انتقل إلي مسطح آخر حتي يتم مسح المنطقة جميعها .

في عام ١٨٨٧ كانت إحدي الفلاحات من بلدة دير مواس تنقل بعض السباخ الذي تسمد به الأرض إلي حقلها وأثناء ذلك وجدت بين أكوام السباخ بعض قطع صغيرة متساوية من الفخار المحروق وعليها بعض «خربشات» لا هي رسوم ولا هي كتابات مصرية قديمة وقد كان عدد هذه القطع أكثر من ثلاثمائة قطعة جمعتها الفلاحة في جوال وذهبت إلي تاجر ببلدتها يتعامل في «الانتيكة» وقد رأي هذا التاجر أن هذه القطع ليست بذات بال غير أنه اشتراها من الفلاحة بما يوازي عشرون قرشا .. رأت بعض المتاحف أنها غير ذات أهمية وأنها يحتمل أن تكون مزورة أو مغشوشة إلي أن جاء يوم اتضح فيه أن هذه القطع تشكل ارشيفاً كاملاً لمراسلات بالخط المسماري كانت متبادلة بين حكام مصر وسفرائها في شمال سوريا

وبين ديوان الملك في عاصمة مصر وقتذاك «اخيتاتون» تل العمارنة الحالي .. وقد كانت هذه القطع بداية لفتت أنظار الأثريين لهذه المنطقة المهجورة فكان ان ارتادها عام ١٨٩١ بتري وعثر علي مدينة كاملة التخطيط كانت تغطيها الرمال كما عثر علي رصيف عال عليه نقوش ملونة بالغة الروعة .. غير أن بتري ترك هذه المنطقة إلي مناطق أخري وقد كان من سوءاته أنه لا يركز عمله في مكان واحد بل يوزع نشاطه علي مناطق مختلفة .. وقد اعقبه في منطقة العمارنة بعثات متعددة منها البعثة الألمانية التي سرقت رأس تمثال نفرتيتي عام ١٩١٢ ..

عثر في العرابة المدفونة علي تمثال من العاج لايزيد طوله علي خمس سنتيمترات للملك خوفوباني الهرم الأكبر .. وهذا التمثال هو التمثال الوحيد لهذا الملك ويقبع في المتحف المصري حالياً .. كما كان لفلندرز بتري فضل اكتشاف الكثير من البرديات اليونانية في هوارة وانتينوي .. وفي الفيوم عثر علي بعض اللوحات الملونة التي كانت توضع فوق توابيت الموتي في العصور المتأخرة والتي كان يرسم عليها صورة المتوفي .

في الأقصر كشف عن بقايا معبد امنحتب الثالث وتماثيله المعروفين بتمثالي ممنون في البر الغربي .. ولهذين التمثالين قصة إذ يذكر أنه كانت تصدر عنهما أنغام موسيقية عند شروق شمس كل يوم .. كما ذكر أنه في عام ١٣٠ ميلادية زار الامبراطور هادريان مع زوجته سابينا هذه المنطقة للاستماع والاستمتاع بهذه الأنغام العذبة ومكثا أياماً لسماع تلك الأصوات .. ويذكر أيضاً أنه بعد أن أمر الامبراطور سبتيموس سفيروس بإجراء ترميم لهذين الأثرين أن توقفت هذه الأصوات فلم تعد تسمع بعد .. وكمساح للآثار أجري بتري بعض قياسات لأبعاد التمثال ذكر فيها ان أرتفاع العرش الذي يجلس عليه الملك يبلغ أثني عشر متراً .. وأن طول اصبعه الوسطي يبلغ مترا ونصف المتر .

طاف بتري بمصر طولاً وعرضاً فقد كانت له جولات أخري في الدلتا وشمال البلاد .. إذ عثر علي مستعمرة كاملة في نوكراتيس كان يسكنها مهاجرون أغريق وكانت تمثل مركزاً مهما للتجارة كما كشف عن معبد لرمسيس الثاني وتماثيل له بين خرائب وأكوام من السباخ بالقرب من بلدة نفيشه وكشف أيضاً عند بلدة القنطرة عن الطريق الحربي الذي كانت الجيوش تسلكه ناحية الشرق .

في الفيوم عثر أيضاً علي أكبر وأجمل مجموعة من مجوهرات الأسرة الثانية عشر وقد بيعت في عام ١٩١٩ لمتحف المترو بوليتان بنيويورك .. وقد كان مما أخذ علي بتري أنه رغم ما انجز من اكتشافات بمصر إلا أنه تسبب في تسرب الكثير منها إلي متاحف انجلترا وأمريكا وهذه من السيئات التي تحسب عليه .

عمل بتري في حقل الآثار منذ فجر شبابه في مصر وفي فلسطين ولمدة تقارب السبعين سنة توفي في أورشليم عام ١٩٤٢ عن ٨٩ عاماً ودفن بها .

ولعل من الطريف أن نذكر أن بتري قبل موته بأيام كان قد أوصي طبيبه أن يفصل رأسه عن جسده بعد وفاته ويرسلها إلي كلية الجراحين الملكية في لندن لدراستها . وقد نفذ الطبيب الوصية ... وأرسل الرأس إلي لندن ولكن تشاء الأقدار أن رأس الأثري الذي لعب برءوس مومياوات المصريين القدامي وملوكهم .. تشاء الأقدار أن هذه الرأس لا يوجد لها أثر في كلية الجراحين فقد أصاب الجناح الذي كانت توجد به قنبلة من قنابل الألمان في الحرب العالمية الثانية وتضيع الرأس تحت الأنقاض .

حتشبسوت
ملكة مصر



مضي دور الهكسوس وعهدهم بسواده وظلامه ، وجاء دور الدولة الحديثة بنوره وبهائه .. جاء الحق وزهق الباطل ومصر قائمة إلي الأبد .. قد يعكر صفوها فساد فترة يسود فيها الفساد ولكن معدنها الأصيل وجوهرها النبيل سرعان ما يعود زاهياً براقا يملأ بأمجادها أسماع الدنيا بأسرها مذكرا العالم كله بأن مصر «مصر» هي .. العظيمة بين الأمم .

جلس أحمس الأول وابناؤه وأحفاده علي عرش مصر بعد حكم الهكسوس الذين - برغم ما أصاب مصر علي أيديهم - كان لهم فضل ادخال الحصان والعجلة الحربية إلي مصر وأخذ المصريون عنهم وسائل القتال بالمركبات الحربية بحيث تمكنوا بعد ذلك من مطاردة الهكسوس إلي عقر دارهم وبحيث تمرسوا في شئون الحرب والقتال فكونوا امبراطورية واسعة الأطراف في الشرق والجنوب حتي أن نفوذ مصر وصل إلي حدود آسيا الصغري شمالاً وبلاد ما بين النهرين شرقاً والسودان والحبشة جنوباً .. وعم الرخاء ارجاء البلاد بعد أن حل السلام في ربوعها ولذلك سمي عصر هذه الدولة بالعصر الذهبي .

اعتلي عرش مصر بعد أحمس الأول ابنه امنحتب الأول وقد ازرته في الحكم - نصحا وتوجيها - أمه الملكة أحمس نفرتاري التي سبق لنا الكلام عنها .. حتي أن المصريين في زمانهما وأزمنة لاحقة - من فرط ما قدما للشعب من منن ومآثر وضعاهما في مصاف القديسين الأولياء .. انصاف الآلهة وكانت تقام لهما الأدعية ولاء وتبركاً .

لم يقدر لامنحتب الأول أن ينجب ولذا يعقبه في الحكم فأصبحت ولاية العرش حقاً لاخته الشقيقة أحمس التي كانت متزوجة من واحد من أبناء الشعب اسمه تحتمس .

وإذ كانت التقاليد لاتسمح لانثي أن تعتلي العرش بل تسمح لزوجها أن يتبوأه حتي ولو لم يكن من دم ملكي .. لذلك فإنه عندما توفي امنحتب الأول اعقبه علي العرش تحتمس زوج أحمس الأميرة التي أصبحت تحمل لقب «الزوجة الملكية العظيمة» .. أعلن تحتمس الأول ملكاً علي مصر وفي عهده تولي تأديب بلاد النوبة التي كانت قد شقت عصا الطاعة علي مصر كما وصل في حملاته الحربية عبر

سوريا إلي غربي آسيا وسجل انتصاراته علي لوحات نصبها علي ضفاف نهر الفرات في العراق حتي أنه خاطب بعض الكهنة مفاخراً بقوله «لقد وصلت في عهدي مصر إلي ماوراء الشمس».

رزق تحتمس الأول من زوجته أحمس بابنين وبنتين أحداهما حتشبسوت الشهيرة .. كما رزق من احدي زوجاته الأخريات بابن أسماه تحتمس .. وإذا كان هذا الأخير من زوجة غير ملكية فقد أصبح حق ولاية العرش لحتشبسوت .. وكما حدث لأمها من قبل فقد تزوجت من أخيها غير الشقيق تحتمس ليظل التاج علي رأس هذه الأسرة الملكية .

كان تحتمس الأول ملكاً قوياً .. محبا لشعبه .. أقام العدل وأعاد الأمن والأمان للبلاد .. ثم بدأ في بناء ما حطمه الهكسوس وفي تعمير ما أهملوه من معابد وما هدموه من عمائر .. وفي غمرة أعماله الفذة كلف كبير مهندسيه «انيني» بأن ينحت له أول مقبرة في الصخر في مكان سمي فيما بعد «بوادي الملوك» ولتكون مقراً أبدياً أميناً له بعد موته .. وقد نفذ «أنيني» ما أمر به الملك إذ سجل علي جدار مقبرته الخاصة لقد نفذت أمر الملك في سرية تامة .. وأقمت مقبرته دون أن يعلم أحد عنها شيئاً .. لم يسمع عنها أحد .. والغالب أن هذا المهندس ليحقق اخفاء مكان هذه المقبرة ضماناً لعدم وصول اللصوص إليها قد عهد بحفرها وبنائها لبعض المسجونين المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة ثم قام بقتلهم جميعاً في نهاية الأمر حتي يضمن اخفاء مكانها ويحول دون وصول اللصوص لها .

وفيما نحن بصدد المقبرة التي أمعن تحتمس الأول في اخفاء مكانها والتي تفاخر «انيني» بأنه أشرف علي تحقيق سرية بنائها دون أن يسمع أو يري أحد شيئاً عنها .. تطالعنا الأخبار بأن إبنته حتشبسوت قد نقلت مومياءه ووضعتها في تابوت كان معداً لها بعد أن أجرت تعديلات فيه ليناسب طول أبيها وأنها اختلست تابوت أبيها تحتمس المصنوع من الجرانيت الأحمر .. اختلسته لنفسها .. وهكذا .. يؤتي الحذر من مأمنه ..

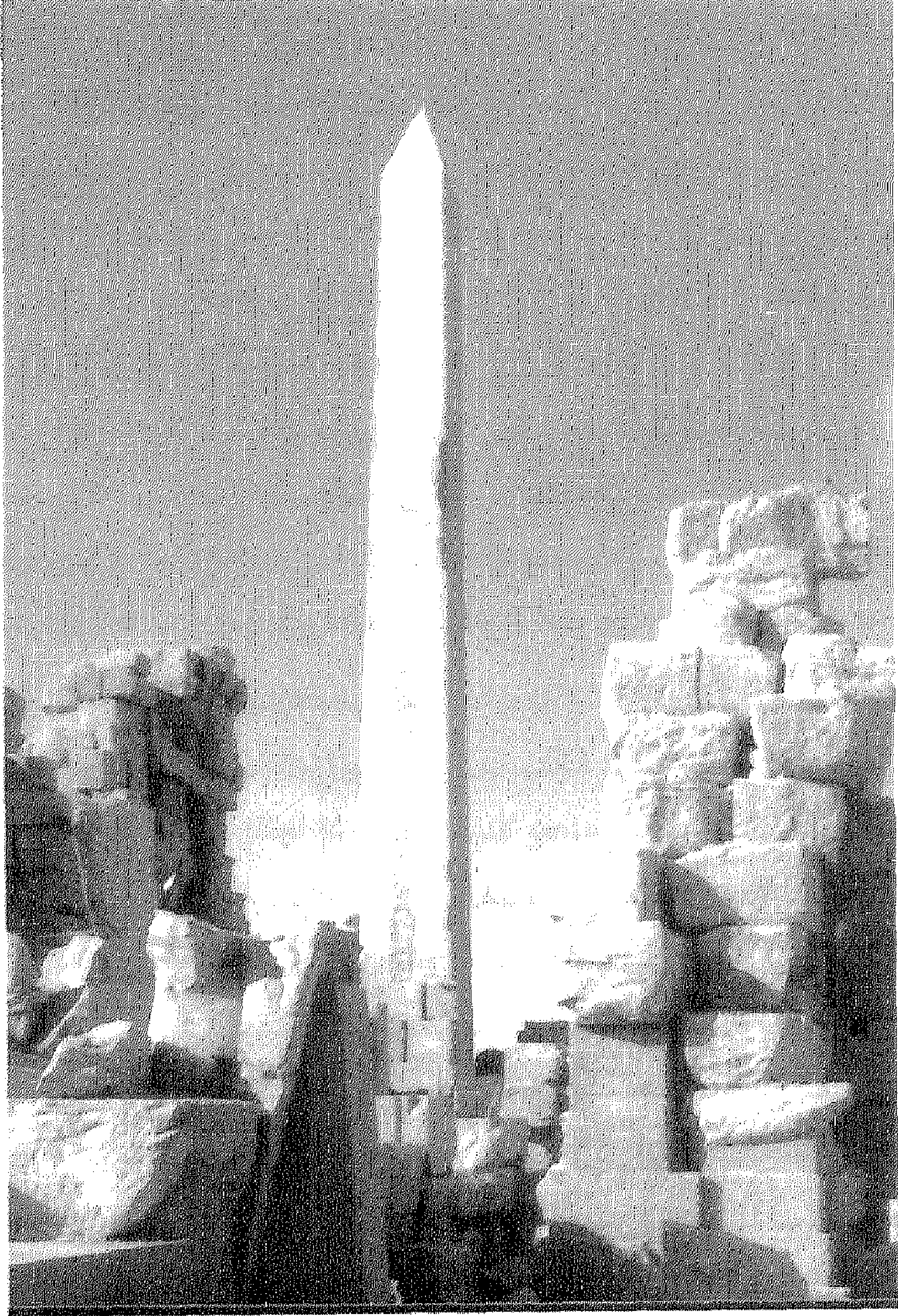
في عام ١٥٨٠ ق.م توفي تحتمس الأول ورحل إلي السماء مكملاً أيامه في سعادة وهناء قلب .. وتولي عرش مصر بعده تحتمس الثاني . ابنه من الزوجة غير الملكية وزوج ابنته حتشبسوت .. وبدأ الصراع .

كان تحتمس الثاني ملكاً ضعيفاً .. لم يذكر لنا التاريخ له أعمالاً ذات بال .. وإذ كانت حتشبسوت لم تنجب منه إلا بنتين فقد شاءت الأقدار مرة ثالثة أن يجلس علي العرش ابن لتحتمس الثاني انجبه من زوجة غير ملكية وقد تزوج الابن وقد كان يسمي تحتمس أيضاً من إحدي بنات حتشبسوت «مريت» ولما توفي تحتمس الثاني جلس الابن علي العرش باسم تحتمس الثالث بحكم زواجه من إبنة حتشبسوت ذات الدم الملكي .

وعن وفاة تحتمس الثاني نري المهندس «انيني» وقد عاش حتي أيام تحتمس الثالث يقول «صعد الملك تحتمس الثاني إلي السماء واتحد مع الآلهة وجلس ابنه مكانه كملك للوجهين يحكم فوق عرش سلفه ، في حين تحكم اخته زوجة الإله العظيمة علي الأرض شمالاً وجنوباً .. كل شيء تحت اشرافها - ويعمل الشعب من اجلها .. ومصر تحني لها الرأس وفي هذا ما يقطع بأن هذه المرأة كانت حديدية العزيمة وقوية الشكيمة بحيث أن شابا غريرا ما كان يقف أمام طموحها وغرورها الذي وصل بها إلي درجة أنها تزيت بزي الرجال وتسمت باسم ملك مصر ابن الإله رع وحملت جميع الألقاب الملكية فيما عدا لقب «الثور القوي» ولبست تاج الوجهين وقد كان في بعض اللوحات في معبد الكرنك يبدو تحتمس الثالث بجوارها ليس كملك ولكن كشريك في الحكم ولذا لم يقدر له أن يعيش في سلام ووئام مع حتشبسوت أم زوجته وزوجة أبيه لصغر سنه وضعف حيلته أمام هذه المرأه .

استأثرت حتشبسوت بحكم مصر ما يزيد عن خمسة عشر سنة .. ونحت تحتمس الثالث جانباً .. وكان يؤازرها في سياستها هذه مهندسها «سنموت» الذي عهدت إليه برعاية احدي بناتها إذ نجد له تمثالا يحتضن فيه الأميرة الصغيرة - كما كلفته ببناء معبدها الجنائزي الذي سمي فيما بعد «بالدير البحري» لأن بعض الرهبان أيام المسيحية الأولي كانوا يجدون فيه خلوتهم .. وقد بني هذا المعبد علي غرار معبد بني في أيام الأسرة الحادية عشرة أيام الملك «منتوحتب» وكان مدرجاً يحتضنه الجبل .. كان المهندس سنموت مقرباً للملكة حتشبسوت فقد منحته ألقابا كثيرة منها «حامل الأختام الملكية» و«رئيس الأعمال الملكية» بعد وفاة المهندس انيني و«خادم آمون» وقد سجل سنموت اسمه وصورته وبعض أعماله في مقصورة خفية داخل المعبد البحري بعيدة عن الأنظار .

كانت هذه الملكة محبة للفنون والهندسة والبناء فقد جملت معبدها وأقامت مسلات رائعة منها مسلتين اقامتهما في معبد الكرنك احداهما لازالت قائمة بالمعبد وكذلك الصرح الثامن بالمعبد كما أنها سجلت أنها اعادت بناء وترميم ما هدمه الهكسوس الرعاة ومن مآثرها أنها ارسلت رحلات بحرية إلي بلاد بونت لاحضار العاج والأبنوس والقردة وفراء الفهود واشجار المر التي غرست منها أمام معبدها المسمي بالدير البحري وقد سجلت هذه الرحلة تسجيلا رائعا علي جدران معبدها ومنها لوحة «كاريكاتيرية» تمثل زعيم قبائل البونت وزوجته ضخمة الجسم مشوهته وخلفها حمار صغير كتب بجواره أنه وسيلة انتقال الزوجة .



احدى مسلات حتشبسوت

صورت في هذا المعبد قصة ولادتها المقدسة وكيف . أن الإله آمون تمثل لأمها في صورة زوجها تحتمس وحملت منه حتشبسوت لتضفي علي نفسها لقب ابنة الإله آمون » .

لم يقدم التاريخ ما يفيد كيف انتهي حكم هذه الملكة .. هل ماتت ميتة طبيعية .. ام قتلت .. هل اطاح تحتمس الثالث بها وبحكمها عندما اشتد عوده .... لا ندري .... أنه حتي مومياء هذه الملكة لم يعثر له علي أثر . قام تحتمس الثالث وبعض من تلاه من ملوك بمحاولة طمس معالم الجازات هذه الملكة وتشويه تماثيلها ومسح اسمائها وذلك انتقاما للضغط والقهر الذي اذاقته لتحتمس ولخروجها علي تقاليد البلاد بتوليها العرش وهي إمرأة .

انتهي عصر حتشبسوت بخيره وبشره وبدأ حكم تحتمس الثالث ..

تحتمس الثالث

نابليون مصر القديمة



كان ملوك مصر وحتي غزو الهكسوس واحتلالهم البغيض ينتهجون سياسة العزلة التي ساعدت عليها حدود مصر الجغرافية ، فالبحر المتوسط شمالاً والصحراوين شرقا وغرباً والجنادل جنوبا ، كانت تمثل خطوط دفاع طبيعية ، غير أن هذه السياسة لم تعد تجدي بعد ان تعرضت مصر لغزو الهكسوس من ناحية الشرق وفي بعض الأحيان لعدوان النوبيين أو السودانيين من ناحية الجنوب ، كما كان نمو ممالك بابل وآشور والحيثيين والميتاني في الشرق والشمال عاملاً في تغيير سياسات مصر ، فانتهج ملوك الدولة الحديثة سياسة نقل خطوط دفاعهم إلي مابعد حدود مصر الطبيعية سواء في الشرق أو في الجنوب .

وتحدثنا عن أحمس وتحتمس الأول وما تم علي أيديهما ، الأول من حيث تعقبه للهكسوس إلي ما بعد شاروهين في فلسطين ، وما تم علي أيدي الثاني من غزو حقق لمصر توسعات وانتصارات بلغت حدود آسيا الصغري في الشمال وحدود نهر الفرات في الشرق .. حتي جاء عهد الملكة حتشبسوت التي انتهجت سياسة بقاء الحال علي ما هو عليه ، فلم يتحقق خلال سنوات حكمها التي بلغت ٢١ سنة أي تحرك عسكري تنمو فيه حدود الامبراطورية المصرية ، بل يبدو أن بعض البلاد التي كانت تسيطر عليها مصر بدأت في العصيان والتمرد .

تولي تحتمس الثالث حكم مصر بمفرده بعد أن اشتد عوده وقويت شوكته وتمكن من الاطاحة بكل الحاشية التي كانت تؤازر الملكة وتقف بجانبها ضده طوال ٢١ عاماً قضاها ملكاً في الظل لا حول له ولا قوة .. وما أن استقرت له الأمور في الداخل حتي بدأ أولي حملاته العسكرية في آسيا ليثبت سلطان مصر الذي حققه جده تحتمس الأول في الولايات الآسيوية ببلادها الغنية وسهولها الخصبة ومدائنها العامرة وطرق قوافلها المؤدية إلي ممالك الشمال في آسيا الصغري ، والشرق في ممالك ما بين النهرين ..

كان أكثر من ثلاثمائة أمير من أمراء شمال وأواسط فلسطين ويؤازرهم وعلي رأسهم أمير قادش قد أقاموا تحالفا في ما بينهم أيام حتشبسوت الهادئة ورأوا أن شق عصا الطاعة علي حكام مصر قد يطيح بالاستعمار المصري في بلادهم وتحصنوا في مدينة «مجدو» معلنين العصيان ... بدأ تحتمس أولي حملاته من مصر مارا بالقنطرة الحالية ثم بغزة وعسقلان واشدود حتي وصل إلي سلسلة جبال كان عليه أن يجتازها

ليهاجم المتمردين ويقتحم معاقلهم في مجدو .. وقد وجد تحتمس أمامه ثلاثة نقاط للبدء في الهجوم كان عليه أن يسلك أحداها .. وفي مجلس للحرب تدارس مع قواده أي الطرق يسلكون .. وقد وجد أن أقصر الطرق المؤدية إلي مجدو هو أخطرها .. ولكنه اسرعها في الوصول إلي الهدف .. وقد اختار تحتمس الطريق الصعب . واخترق تحتمس ورجاله الجبل حتي السهل المواجه لبلدة مجدو وبدأت المعركة في فجر يوم ركب فيه الملك عجلته الحربية المذهبة تحيط به جيوشه من كل جانب وكالصقر حورس انقض علي الأعداء فشتتهم مما اضطرهم إلي الفرار والتراجع إلي المدينة التي كانت قد غلقت أبوابها ومما اضطر الأمراء إلي أن يفتلوا من ملابسهم حبالا ليصعدوا بها أسوار المدينة وكان قتلي الأعداء في هذا اليوم ٨٣ قتيلاً قطعت أيديهم وصفت تحت قدمي الفرعون كما كان الأسري أكثر من ٣٠٠ أسير .. أما الغنائم فكانت تفوق كل حصر .. ثم تم حصار مدينة مجدو بعد ذلك ٧ أشهر بحيث لم يجد الأمراء بدأ من الخروج من أسوار المدينة خاضعين راكعين تحت أقدام الملك ملتمسين العفو والمغفرة علي ما سبق أن بدر منهم من عصيان وفي هذا يدون الملك علي جدران معبد الكرنك أنباء انتصاراته قائلاً «حضر حاكم قادش ومعه بعض الأمراء وأولادهم أمام جلالتي وقدموا لي ذهبا وفضة كما قدموا خيولهم وعجلاتهم الحربية المطعمة بالذهب والأحجار الكريمة الملونة وكل عتادهم الحربي ، سهامهم وأقواسهم وحرابهم وجميع أسلحتهم وكل ما كان معدا لمحاربة جلالتي - احضروا كل ذلك فدية عنهم ، قدموها لجلالتي وهم يمتدحونني طالبين أن اهبهم فرصة الحياة .. وعندئذ أمرت أن يقسموا يمين الولاء وأن لا يعودوا إلي فعل الشر في مواجهتي أنا «من خبر رع» تحتمس له الحياة إلي الأبد صاحب الجلالة .. وقد وهبتهم نفحة الحياة ثم سمحت لهم بالعودة إلي مدنهم علي ظهور الحمير لأن كل خيولهم ضممتها إلي ممتلكاتي ..

عاد الجيش المصري إلي أرض الوطن رافعاً رايات النصر - وعادت معه سفينتان أسيرتان تحمل الأسلاب والغنائم والأسري التي دونها الملك علي جدران المعبد قائلاً أنها تبلغ ٢٠٤١ حصاناً و٩٢٤ عجلة حربية منها ٣٢ مطعمة بالذهب و١٧٩٦ أسيراً و٨٧ من أبناء الأمراء و٢٢٥٠٠ من المواشي كما أنه ضم العديد من الأميرات بنات الملك السوري إلي حريمه في مصر وبالرغم من الانتصار الساحق في مجدو إلا أن تحتمس لم يحقق ما كان يريده بالكامل لأن بعض بلاد الشمال الغنية

في سوريا ابدت مقاومة شديدة لحماية نفسها .

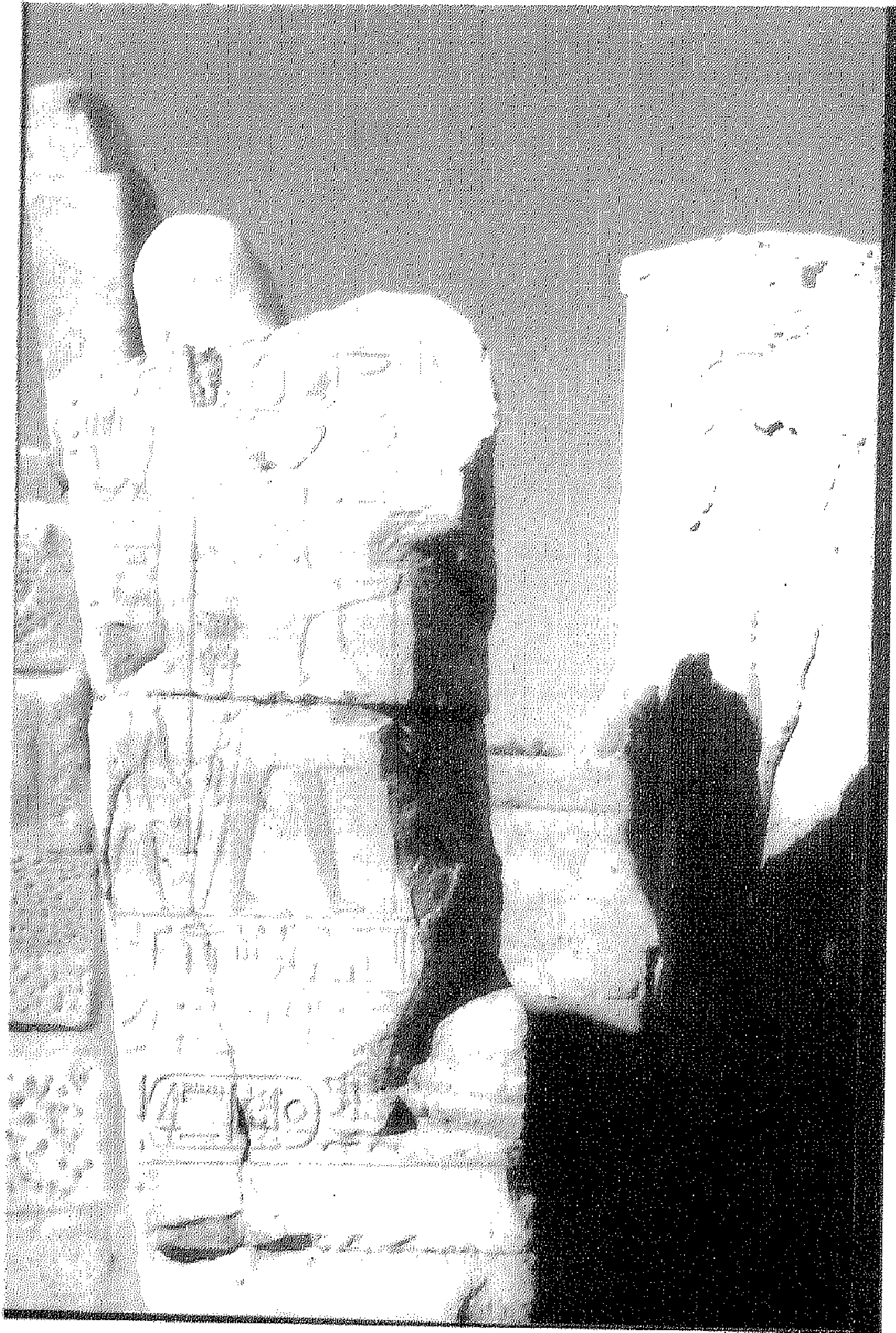
في بردية تسمي «هاريس» رواية أخري عن حصار قام به أحد قواد تحتمس الثالث .. فعلي شاطيء فلسطين وتحديدا عند ميناء يافا الحالي حاصر المصريون المدينة التي قاوم أهلها الحصار مقاومة شديدة بحيث لم يجد «جحوتي» قائد القوات المصرية بداً من استعمال الخديعة .. وقد دبر حيلة لاستدارج أمير يافا وطلب منه زيارته في معسكره للتفاوض .. وعندما ذهب الأمير إلي جحوتي أحسن استقباله وتباري مع قواده في الترحيب به وبصحبه من الضيوف وقدموا لهم خمراً معتقة ذهبت بعقولهم ووعيهم .. ثم بعدها دبر جحوتي أن يذهب رسول إلي قائد حامية ميناء يافا يبلغه أن الأمير تمكن من أن يأسر قائد القوات المصرية وأن سموه في طريقه إلي المدينة مع أسراه من الجنود المصريين الموثقين بالحبال وأيضاً بالخيول المحملة بمائتي سلة مملوءة بالأسلاب والغنائم .

نجحت الخدعة ودخل الجنود المصريين موثقين بالحبال كأسري إلي قلعة يافا كما ادخلت السلال التي لم يكن بها أسلاب وغنائم كما جاء في بلاغ الرسول بل كان في كل سلة جندي من الجنود المصريين الذين ما ان وصلوا إلي داخل القلعة حتي قطعوا السلال وقفزوا منها ثم فكوا وثاق زملائهم الجنود الذين ارسلوا علي أنهم أسري الأمير .. وكالفهود الكاسرة هجموا علي من كان بالقلعة واعملوا فيهم قتلا واحتلوها .. وهكذا سقطت مدينة يافا .. وقد ارسل جحوتي رسالة إلي مليكه تحتمس قائلا «ليهنأ صاحب الجلالة .. ان والدك آمون هزم أعداءك في يافا .. الأمير وشعبه ومدينته .. ارسل من مصر رجالا يقودون الأسري ليركعوا تحت قدمي جلالتك وليملأوا بيت ابيك الآله آمون رع بالأسري رجالا ونساء .. عاش الملك إلي الأبد .... خدعة سبقت خدعة حصان وحصار طروادة عند الأغريق بأكثر من ألف سنة .

بعد مجدو ويافا كان علي الملك تحتمس أن يهزم قادش في الشمال وهي التي تقع علي نهر العاصي والتي كان أميرها قد أعلن العصيان عدة مرات أخرها في العام الثاني والعشرين من حكم تحتمس .. وكانت معارك قادش ضمن حملات قام بها تحتمس في البلاد شمالاً وشرقاً وبلغت سبعة عشر حملة خلال عشرين عاماً من حكمه .

تحتمس الثالث

نابليون مصر القديمة



معبد الكرنك

العظيم في ملوك مصر بحق كان تحتمس الثالث ، والقائد البطل كان هذا الفرعون الذي وصلت في عهده امبراطورية مصر إلي حدود لم يسبق لها أن وصلتها من قبل ، والذي دانت له شعوب وانحنت له رؤوس ملوك وهامات أبطال .. كان من القيادات الفذة التي قل أن تبوأ مثلها عرش مصر .. لذلك استحق تحتمس الثالث أن يتصدر قائمة العظماء الخالدين .

حقق تحتمس الثالث انتصارات عديدة في مملكة ميتاني في شرق آسيا وأقام لوحة تشهد بهذه الانتصارات شرقي نهر الفرات ثم بعد ذلك وجه قواته صوب مدينة قادش التي كانت قد أعادت تنظيم صفوفها بعد أن كان تحتمس قد قهرها ودمرها ودك حصونها ، وإذ كان أمير قادش قد تلقي علي يد تحتمس هزائم موجعة ، فقد لجأ إلي خدعة حرب عندما حاصرت مدينته قوات تحتمس علي عجلاتها الحربية التي كان يجر كل واحدة منها أثنان من الخيول .. كانت وسيلته في ذلك أن أطلق مهرة بين الخيول التي تجر عربات المصريين الحربية فاستثارت الخيول التي جرت خلفها محدثة فوضي وعدم نظام بين القوات المصرية .. وإذ كان ضمن قواد تحتمس قائد مغامر هو امنمحات فقد قفز من مركبته الحربية واعترض سبيل هذه المهرة وتقول النصوص أنه بقر بطنها وقتلها ثم قطع ذيلها وألقاه تحت أقدام الملك ثم أعاد النظام بين صفوف قوات مصر .. وإذ فشلت خطة أمير قادش فقد اثر أن يتحصن داخل مدينته التي تمكن امنمحات القائد أن يفتح ثغرة في أسوارها ، ويدخل مع فرقة من قواته ويلحق الهزيمة بقادش وأميرها .. وقد دون هذا القائد هذه الأحداث علي جدران مقبرته مباهياً بأن الملك منحة نوط الشجاعة وهو عبارة عن قلادة تحليها أشكال ثلاث ذبابات من الذهب كناية عن الإصرار والاقدام .

بعد هزيمة قادش توغل الفرعون تحتمس شمالاً نحو بلاد آسيا الصغري .. وبينما كان يعسكر مع بعض فرق جيشه في الشمال اعترض طريقة سرب من ١٢٠ فيلاً كانت ترعي في هذه المنطقة ويذكر تحتمس أنه قام باصطياد بعض الفيلة كما يذكر امنمحات القائد الذي كان يرافق الملك أن أحد الفيلة كاد أن يفتك بالملك لولا أنه أسرع فقتل الفيل بضربة سيف أطاحت بخرطوم الفيل .

كانت انتصارات تحتمس في بلاد آسيا مثار دهشة شعوب هذه المناطق واعجابهم حتي أن ملوك وأمراء شمال سوريا وبابل والحيثيين رغبة منهم في التقرب للملك قدموا له الهدايا بكميات وافرة بحيث لم يكن هناك وسيلة لنقلها إلي مصر إلا أن تبني سفينة خاصة لهذا الغرض .

كانت حملات تحتمس الثالث في بلاد آسيا سبباً في أن تمتزج حضارات هذه البلاد بالحضارة المصرية .. كما جاءت إلي مصر بعض الأزياء الآسيوية والعبارات والكلمات الكنعانية وحتي المعتقدات الدينية ، كما أن تحتمس نفسه أحضر إلي مصر بعض نباتات وحيوانات وطيور لم تكن مألوفة في مصر .

تأتي لنا الأنباء بأن تحتمس كان يحضر معه إلي مصر بعض أبناء الحكام المحليين في البلاد التي يهزمها وذلك ليضمن عدم تمرد هؤلاء الحكام عليهم ، ولينشأ هؤلاء الأبناء في القصر الملكي ويتلقون تعليمهم في مدارس مصر مع أبنائه الأمراء ، حتي إذا ما عادوا إلي بلادهم بعد ذلك يكونون قد تربوا علي عادات مصر وتقاليدها ويبقون علي الولاء لها .

ابرم تحتمس الثالث بعض معاهدات الصلح مع ملوك آسيويين كالمعاهدة التي تمت بينه وبين ملك الحيثيين عدو بلاد ميتاني وهي عبارة عن اتفاق تعاون بين بابل ومصر أعداء كنعان .. كما تم لزيادة الروابط مع هذه البلاد أن تزوج تحتمس من بنات هؤلاء الملوك .. ومن الطريف أن تحتمس رفض زواج احدي أميرات مصر لأحد ملوك بابل بدعوي أن الأميرات المصريات لا يتزوجن بأغراب.

وبينما كانت حملات تحتمس المتوالية - وعددها سبعة عشر حملة علي مدي عشرين عاماً - تجتاح آسيا شمالا وشرقاً فقد سجل أيضاً قيامه بحملات في الجنوب لاخضاع بلاد النوبة وتأديب المتمردين منهم ووصل في ذلك حتي الشلال الرابع في (ناباتا) وأقام معبداً عند جبل (بركل) وسجل انتصاراته علي لوحة من الجرانيت الأشهب تشير إلي حدوده في الجنوب .

أشاد كهنة آمون بما حققه القائد البطل من انتصارات فسجلوا أناشيد النصر علي جدران الكرنك يحمدون الآله آمون علي شده لأزر الملك في حملاته حتي تحقق

له النصر وفي هذا يقول آمون (سأحقق لك النصر علي أعدائك في فينيقيا وستدوسهم بقدميك).

(سأحقق لك النصر علي الآسيويين وستسحقهم جميعاً).

زين تحتمس الثالث في معبد الكرنك الصرح السابع بصاله كبيرة للأعياد وبجوارها أعمدة علي شكل زهرتين اللوتس والبردي لازالتا قائمتين في المعبد حتي الآن .. أما المسلات فقد كان من عادة ملوك مصر أن يحتفلوا بعد أن يتموا ثلاثين عاماً في الحكم بعيد الـ (حب سد) يرقص الملك فيه رقصة يشعر فيها رعاياه بأنه لا زال قوياً موفور العافية كما كان يقيم مسلات عالية تخليداً لهذه الذكري ولذلك فقد أقام تحتمس أربع مسلات في هذا العيد أقام اثنتان منهما في مدينة طيبة (الأقصر) وأثنتان في هليوبوليس (عين شمس) ويجدر بالذكر هنا أن تحتمس اعتلي عرش مصر لمدة ٥٤ سنة شاركته في الاحدي وعشرين سنة الأولي الملكة حتشبسوت.

ان مصير المسلات الأربعة سالفة الذكر لما يثير الدهشة والعجب، فقد أراد الملك أن يزين بها مدينتين من أعرق مدن مصر ولكن القدر أراد أن تزين هذه المسلات أربعة من أعظم مدن الدنيا فقد نقلت إحدي مسلات طيبة إلي بيزنطة العاصمة الشرقية للامبراطورية الرومانية حيث نصبت في مدينة اسطانبول في تركيا، أما المسلة الثانية فقد نقلت في عام ٣٦٣ إلي روما حيث اهملت والقيت هناك لأكثر من أثني عشر قرناً إلي أن أمر البابا بولس الخامس بأن تنصب في ميدان مواجه لقصر القديس جون لاتيران وكان ذلك في عام ١٥٨٨، أما المسلة الثالثة وهي التي كانت قائمة في هليوبوليس فقد نقلت إلي الاسكندرية في عام ٢٣ ميلادية حيث ظلت هناك إلي أن أهداها الوالي محمد علي في أوائل القرن الماضي إلي بريطانيا حيث نصبت علي ضفاف نهر التيمس، أما المسلة الرابعة والأخيرة والتي كانت مقامة في هليوبوليس فقد كان قدرها أن تنتقل في عام ١٨٨٠ إلي نيويورك هدية من مصر إلي أمريكا وقد نصبت في الـ سنترال بارك وهكذا فقد أقام تحتمس الثالث هذه المسلات ليعلن عن انجازاته وأمجاده فشاء القدر أن يتجاوز ماأراد حدود مصر إلي أركان الدنيا بأسرها في تركيا وبريطانيا وإيطاليا وأمريكا متخطياً بلاد العالم القديم

إلي مدن العالم الحديث ومعلنا أمجاد رجل يستحق التكريم والخلود .

كان الرجل الثاني بعد تحتمس هو وزيره (رخميرع) الذي تولي مهام منصبه في منتصف حكم تحتمس الثالث ويصف المؤرخ برستيد مقبرة هذا الوزير بأنها من أهم آثار عهد الامبراطورية لطرافة مناظرها وما حوته من نصوص تشرح تفصيلاً مهام الوزير ومباديء العمل الإداري وتسييره وقد كان يفاخر بعلمه وإدراكه لكل شيء ، وقدراته علي أداء أي شيء .

في أواخر سنوات حكم تحتمس أشرك معه ابنه امنحتب في الحكم - وفي اليوم الأخير من الشهر السابع للسنة الرابعة والخمسين من حكمه أكمل أيامه وطار إلي السماء ليتحد مع آلهة الشمس ويعيش مع رع خالقه - وكان تحتمس وقتها قد بلغ الخامسة والستين .. وفي مقبرة محفورة في جبل طيبة في وادي الملوك دفن ثم نقلت مومياؤه إلي خبيئه الدير البحري حيث ظل بها ما يقرب من ثلاثة آلاف عام.

وذات يوم في أواخر القرن الماضي عثر بعض أفراد من عائلة عبد الرسول بالقرنة علي خبيئه الدير البحري التي كانت تضم أجداث أكثر من ثلاثين فرعوناً منهم تحتمس الثالث وقد اعترف واحد من هذه العائلة أنهم ثقبوا أكفان ولفائف مومياء الملك بحثاً عن الجعران الذي يوضع في صدر جثمان المتوفي مكان القلب وعن ما يحيط بها من تمائم وأساور وقلادات ، وللتاريخ لم يعثر علي الجعران حتي الآن في أي مكان .

نقلت المومياء إلي المتحف المصري ولم تسلم حتي من ماسبيرو الذي فك اللفائف مرة أخري لفحص المومياء التي وجدت بها كسور بعظام الفخذين عند عظمة الحوض كما وجدت الرأس مفصولة عند الرقبة ، كما عثر علي بعض خرزات من الذهب والعقيق بلفائف المومياء .

قصة طريفة تروي عن زوار معبد الكرنك وعن أخطاء المرشدين ، فقد حدث في عام ١٩ م أن حضر للأقصر جرمانيكوس ابن أخت الامبراطور الروماني تيبريوس. وفي زيارة لمعبد الكرنك طلب من أحد الكهنة أن يشرح له ما هو مسطر علي جدران الصرح الذي بناه تحتمس فعدد الكاهن له الغزوات التي قام بها الفرعون

والأمجاد التي حققها والغنائم التي احضرها والجنود الذين قاتل بهم في آسيا وعددهم سبعمائة ألف جندي مما بهت له جرمانيكوس وقال .. عظيم .. عظيم من يكون هذا الفرعون ..؟! فأجابه الكاهن أنه رمسيس العظيم . ما أقرب الليلة بالبارحة .. حتي كهنة المعبد كانوا يضللون في ارشادهم مثلما يفعل بعض المرشدين في وقتنا الحاضر ولكن برغم ذلك .. فإن تحتمس هو العظيم .

التعليم
فى مصر القديمة

جزء من برديه كتب
عليها تلميذ دروسه
النص يقول :=
سيأكل الدود نصف
زرعك
وفرس النهر
النصف الاخر
الفئران والجراد
والماشية تاكله
والعصافير تسرقه
الويل للفلاح
المسكين
اذا بقي شيء من
محصوله فى البيت
سيسرقه اللصوص

ما كانت أخبارهم ولا أحداث زمانهم تتصل بنا لولا الكتابة التي اخترعوها ، في البداية رسوماً وأشكالاً ، ثم طوروها حروفاً دونوها علي جدران وألواح ، وما كانت لتتصل بنا أنباء ملوكهم ولا انجازات عصورهم لولا الورق الذي صنعوه من ألياف نبات البردي الذي كان يملأ شطئان نيلهم العظيم .. وما كان يدوم كل ذلك لولا أن كان هناك معلم يقول «اقرأ» وتلميذ يتعلم ويكتب ويقرأ .

كان تعليم الأطفال إذا وصلوا إلي سن معينة في مصر القديمة أمراً علي جانب من الأهمية ، وكانوا في بداية دخولهم المدارس يتعلمون القراءة والكتابة والحساب .. إذ كان التعليم سبيلهم إلي تقلد وظائف الديوان والمعابد والفنون .. فقد كانت الكتابة تساعدهم علي تحرير العقود والشكايات في الدواوين كما كان الحساب يعينهم علي تحديد ما هو مستحق من ضرائب .. ويبدو أنه كان لكل إدارة من الإدارات مدرسة أو كتاب يتعلم فيه أبناء الموظفين ليتولوا أعمال الآباء في حال كبرهم أو بعد احالتهم إلي المعاش وقد كان هذا التقليد قائماً حتي عهد قريب في مصر إذ كان أبناء صيارفة البلاد يعينون في وظائف آبائهم حال كبرهم .

وكانت المدرسة تفتح أبوابها في الصباح الباكر وحتي الظهر كما كان التلميذ الكسول يعاقب بكتابة ما أهمل في حفظه عدة مرات أو الضرب بالعصا علي ظهره وفي مقولة لأحد المدرسين «ان آذان التلميذ في ظهره ولذلك فإنه يسمع عندما يضرب» وقد كان المصريون يبررون التأديب بالضرب بأن الإنسان أمكنه أن يروض الوحوش وحيوان الغاب بالتأديب والتخويف .. وقد أصبحت الأسود والخيول وحتي الطيور كالصقور ترتدع لأمره فكيف لا يروض الابن الصغير .. وفي هذا يقول المدرس لتلميذه لا تكن كسولاً - استيقظ - وإلا فسوف اقومك .. لاتضع وقتك في «السرحان» وإلا فإن «العلقة» مصيرك .

كانوا ينصحون الطفل بأن يتعلم حتي ينال وظيفة كاتب في دواوين الحكومة وإلا فسوف يكون مصيره العمل كجندي في الجيش وفي ذلك يحذره المدرس قائلاً : ان الجندي عندما يلتحق بالجيش سوف يغلق عليه في الثكنة التي يعمل بها ويتلقي دروساً قاسية في الجندية .. سوف تصيبه ضربات قاسية علي وجهه وأنفه وجروح

دامية تصيب كل جسمه .. أنه عندما يذهب للحرب في سوريا سيمشي بقدميه حافياً فوق الجبال حاملاً زاده من الطعام والشراب علي ظهره كالحمار وهكذا كانوا يحفزونه علي الدراسة والاستذكار حتي لا يواجه هذا المستقبل .. كما كان المدرس ينصحه بأن كن كاتباً ولا تكن فلاحاً حتي لاتضيق بالحياة .. فالدود سوف يأكل بعض زرعك وفرس النهر سوف يأكل البعض مع الجراد والفئران والماشية سوف تلتهم البعض والعصافير تسرق البعض وأن تبقي لك شيء فسوف يسرقه اللصوص من البيت .. ستموت خيولك من الارهاق والجوع .. سيحيط بك الجميع ينهشونك .. ولذلك أدعوك أن تتعلم الكتابة لتصبح كاتباً في الديوان .

كان العلم والتعليم عند المصريين وسيلة وغاية .. كان وسيلتهم إلي المعرفة وإلي تقلد الوظائف وكان غايتهم ليكونوا علي صلة بالإله «تحوت» إله المعرفة .. ولذلك فإننا نري أن «دا أوف» عندما كان مسافراً مع ابنه «بيبي» لكي يلحقه بمدرسة في الجنوب نصحه قائلاً «أعط قلبك للعلم .. أحببه كما تحب أمك لأن لا شيء أثمن من العلم» ... ولعله في آخر موعظته لابنه يؤكد أن كل إنسان يؤدي عملاً يحكمه رئيس ، إلا الإنسان المتعلم فإنه يحكم نفسه .

إنه منذ القدم كان المصريون يعطون احتراماً وتبجيلا لكتابتهم حتي أن الهيروغليفية كانت ترجمتها «الكتابة المقدسة» وكانوا يعتقدون أنها اختراع الإله تحوت إله العلم والمعرفة ... وواقع الأمر أن هذه الكتابة كانت من اختراعهم هم نسبوها لآلهتهم تقديراً وتمييزاً وقد كانت الكتابة في مبدأ الأمر تدون علي الجدران وعلي الحجر بالحفر بالأزميل ثم بعد أن احتاج الأمر إلي السرعة طورت الكتابة الهيروغليفية إلي الكتابة الديموطيقية وهي لغة الشعب وكانت تدون علي أوراق البردي وتكتب بالمداد الأسود وكانوا يحضرونه باستعمال مادة النيلة كما كانوا يكتبون بالمداد الأحمر الذي كان يحضر من أكاسيد الحديد أو صبغات نباتية وكانت الكتابة تتم بواسطة قلم يعدونه من سيقان نبات الغاب «البامبو» وإذ كانت أوراق البردي غالية الثمن فقد كان تلاميذ المدارس يستعملون الواحا من الاردواز أو قطعاً من الشقف وهي مخلفات الجرار المكسورة «اوستراكا» وذلك لوفرتها ورخص ثمنها ولعلنا نذكر قصة الألواح التي كان قد كتبها أحد التلاميذ في الأسرة التاسعة عشرة

والتي عرفنا منها أخبار الملك امنمحات الأول وتعليماته ووصاياه إلي ابنه سنوسرت الأول ..

كما كان التعليم وسيلة إلي تقلد وظائف الكتابة في الدواوين كذلك كان وسيلة إلي تقلد مناصب الكهنة في المعابد ... فنجد أحدهم واسمه «باكن خنس» نسمعه يقول «من العام الخامس إلي العام السادس عشر من عمري كنت متقدماً في حقل التعليم حتي بدأت وظيفة دنيا في معبد آمون أمضيت فيها أربع سنوات حتي أصبحت كاهناً لمدة اثنتي عشرة عاماً ثم تدرجت في درجات الكهنة حتي وصلت إلي رتبة كبير كهنة آمون ... ويذكر أن هذا الرجل عاش حتي سن الثامنة والسبعين.

كان التعليم هو الطريق إلي دراسة علوم كثيرة تفوق المصريون بها علي شعوب العالم كالهندسة ، والفلك ، والطب والزراعة والعلوم والآدب والقانون والفلسفة والسحر والتحنيط والكيمياء ... وكانت لهم مكتبات تحوي العديد من المخطوطات والموسوعات وكانت جامعتهم في عين شمس والاسكندرية وغيرها تملأ الدنيا بالمعارف ... ويكفي أن العديد من علماء البلدان أمثال ارشميدس واقليدس ... وأفلاطون وغيرهم قد أخذوا الحكمة والعلم من علوم مصر .. ولو أن الزمان ويد الغدر والعدوان ابقت علي مكتبات مصر وعلومها لكان العلم والفكر قد نهل منها الكثير .. لم يكن التعليم قاصراً علي ابناء العامة لتقلد الوظائف أو لتولي شئون المعابد ولكن أبناء الملوك كذلك كانوا يتلقون العلم في مدارس خاصة في معبد الكرنك ... وكانوا يعاملون معاملة لا تتميز عن معاملة باقي التلاميذ بل كان المدرسون يكلفونهم بواجبات قاسية حتي يشبوا وقد امتلأت عقولهم علما وفكرا يستوي في ذلك الأمراء والأميرات فقد كانوا يهتمون بتعليم الأبناء من البيت المالك ليزدادوا ثقافة وفي هذا نجد الملوك يتابعون ما يتعلمه الأبناء باهتمام بالغ ... ولعل ما يطالعنا في معبد ابيدوس علي الجدار المنقوش عليه قائمة الملوك من عهد مينا حتي سيتي الأول .. ما يدل علي أن الملوك كانوا يهتمون بتعليم الأمراء ... فإننا نجد الأمير رمسيس «رمسيس الثاني» فيما بعد يقف خلف أبيه سيتي الأول ممسكا بلفافة من البردي يطالع منها لابيه أسماء الملوك مما يدل علي أن الأمراء قد تعلموا فأجادوا القراءة والكتابة ولم تلههم عن العلم ابهة الملك .

ولعلنا نجد أيضاً تحتمس الثالث فرعون مصر الذي كان موضع حديثنا كان يوالي متابعة ما تعلمه ابنه امنحتب الثاني .. الذي كان قد اشركه معه في الحكم في أواخر أيام حكمه .. نجد أن تحتمس يتابع ما تمرس فيه ابنه من دروس شتي في ميادين من العلم كثيرة وخاصة في ميادين الرياضة والعسكرية وذلك حتي يطمئن علي مستقبل ولي عهده كملك علي البلاد .. وحتي أنه عندما بلغه أن ابنه قد تفوق علي اترابه في الرماية وركوب الخيل سرقلبه كثيراً وكافأ مدربي ابنه وشكر مدرسيه .

الدولة الحديثة

الملك امنحتب الثانى



في عـام ١٤٥٠ ق.م أكـمل تحـتـمـس الثالث أيامه وتوفي عن ٦٥ عـامـاً تربع خلالها علي العرش قرابة ٥٤ سنة بلغت فيها مـصـر أوج عظمتها وسيادتها علي بلاد الشرق والشمال والجنوب وامتدت امبراطوريتها في عهده إلي حدود لم تبلغها من قبل وانهالت عليها خيرات هذه البلاد وقدم ملوكها وامراؤها لمصر فروض الطاعة والولاء .

ثم اعتلي بعده عرش مصر ابنه امنحتب الثاني الذي كان قد شاركه في الحكم سنوات قليلة قبل وفاته - وقد كان الوالد - يحرص علي أن يشب ابنه قويا صلب العود حتي يمسك بالزمام من بعده ويحفظ لمصر هيبتها وكرامتها التي تحققت في عهده ، فلم يدخر وسعاً في أن يدرب الابن علي فنون القتال حتي يجيد كل أساليب الحرب ... وقد ذكر أن امنحتب الثاني كان من أمهر من أمسك بقوس في زمانه .. وان انسانا ، ما كان يقدر أن يشد وتر قوسه .. كما ذكرت لوحة وجدت في هضبة الأهرام بجوار تمثال أبي الهول تقول أن امنحتب لبالغ قوته تمكن من ان يطلق سهما علي هدف من النحاس سمكه سمك كفة اليد فاخترق السهم النحاس .. كما قيل أنه تولي بنفسه قيادة سفينة كبيرة بمجداف طوله ١٠ امتار ... في حين لم يقدر علي ذلك مائتا بحار اشداء وفوق ذلك فقد أجاد فنون الفروسية بحيث أن خيوله كانت تهابه وتخشاه وتقطع به مسافات طويلة دون أن يصيبها التعب أو أن يتصبب منها نقطة عرق .

وهكذا عندما اعتلي امنحتب الثاني عرش مصر كان قد بلغ من العلوم العسكرية والشهادات الرياضية مبلغاً كبيراً ، كما تمرس في علوم الإدارة ما مكنه من ان يمسك بزمام البلاد بحسم وحزم .

ما أن رحل تحتمس الثالث الملك المقاتل حتي تنفس ملوك وأمراء الشرق في قادش وشمال سوريا وبلاد ما بين النهرين الصعداء ، وبدءوا شق عصا الطاعة علي الملك الجديد ظناً منهم أنه اخضر العود سهل المراس فاعلنوا جمعياً العصيان والتمرد ورفضوا أداء الجزية التي كانوا قد اعتادوا تقديمها لابيه - وهكذا واجه امنحتب منذ أول أيام حكمه عصيانا كان لابد وان يرد عليه بالردع والقمع حفاظاً علي هيبة

الفرعون الملك فقاد أولي حملاته علي قادش وشمال سوريا حتي منحني نهر العاصي وارغم أمراء هذه البلاد علي الامتثال والطاعة وإعلان الولاء والاستسلام .

وفي عودته إلي مصر ظافراً منتصراً حمل معه ما استولي عليه من غنائم ومن أسرهم من رجال آسيويين كما أحضر معه أجساد سبعة أمراء كان قد قتلهم في حملته المظفرة وربطهم ورءوسهم إلي أسفل علي صاري سفينته .. ثم بعد أن وصل إلي طيبة علق ستة منهم علي جدران المدينة .. وأرسل السابع إلي بلدة «ناباتا» في جنوب بلاد النوبة انذارا لأمراء الجنوب وتحذيراً ووعيداً .

سجل الملك أحداث هذه الحملة علي جدران الكرنك كما سجل أحداث حملته التي شنها علي فلسطين حيث أسر ما يقرب من تسعين ألف واحد منهم ، وإذ كانت انتصارات الملك قد أكدت لسائر البلاد قوته وجبروته فقد حاول أمراء بابل وبلاد النهرين وسوريا التقرب منه وقدموا له الهدايا طالبيْن منه الرضا والقبول .

حكم الملك امنحتب الثاني حوالي ربع قرن من الزمان وحافظ علي ما كان انجزه أبوه ... وعم الرخاء في عهده البلاد ... وفي نهاية أيام حكمه وبجوار مقبرة أبيه الملك تحتمس الثالث في وادي الملوك بني لنفسه مقبرة دفن فيها .. ولهذه المقبرة قصة .كان لوريه أحد الآثريين الذين بدءوا العمل مع ماسبيرو منذ عام ١٨٨١ قد أمضي مدة طويلة في منطقة الأقصر وعمل مع أثريين كبار أمثال ليفيفر ، وبروكش وغيرهم وكان خلال اقامته بالأقصر يعايش الفلاحين ويعرف أخبار ما خفي من آثار مسروقة ، كما كان يري بعض القطع الآثرية يتداولها تجار الآثار في الأقصر ومنها بعض تماثيل كانت عادة توضع في قبور الموتي ويطلقون عليها اسم (الاوشابتي» أو المجاوبون الذين يقومون بخدمة الميت في الحياة الأخري ... وقد كان اسم الملك امنحتب الثاني موجوداً . علي الكثير من هذه التماثيل .. وإذ كانت مقبرة امنحتب الثاني لم تكشف بعد فإنه لم يخالج لوريه الشك في أن المقبرة أما قد علم بمكانها أحد الأهالي بالأقصر سواء من عائلة عبد الرسول أو من غيرها ... وأنهم يقومون ببيع ما يجدونه في أسواق الأقصر . وأما أن المقبرة نهبت في القديم ثم طواها النسيان وغطتها الرمال وتنتظر من يميط عنها اللثام ... ومرت أعوام وفي شتاء عام ١٨٩٨ عثر لوريه علي مقبرة تحتمس الثالث وفيما هو يسجل ما عثر عليه

في هذه المقبرة التي كانت قد نهبت في العصور القديمة عثر رجاله علي أثر مقبرة أخري ما أن تم ازاحة الرمال والأحجار التي تغطي مدخلها حتي تأكد له أنها مقبرة امنحتب الثاني التي كان يتطلع إلي الكشف عنها .

دخل لوريه المقبرة وكان أول ما رأه علي ضوء شمعة هزيل .. جسد إنسان يرقد في قارب صغير .. لا تغطيه اللفائف التي اعتاد القدماء أن يلفوا بها المومياوات... وارجله وساقاه موثقان وفي أعلي جمجمته ثقب .. هل كان الإنسان ضحية بشرية .. هل كان أحد لصوص المقابر اختلف مع شركائه علي الغنيمة فقتلوه وتركوه هكذا .. أم أنه أحد اللصوص الذين اكتشفهم حراس الجبانة فأردوه قتيلاً .. أم أنه أحد الأمراء ودفن في مقبرة الملك علي عجل .. وكان قدره أن اللصوص عندما سطوا علي المقبرة جردوه من اللفائف وتركوه بهذه الحالة .. غموض لم يكشف عنه بعد .

أوغل لوريه في المقبرة إلي أن أتي إلي قاعة واسعة وجد بها تماثيل من الخشب والمرمر وبعض باقات من الزهور وفي وسط هذه الآشياء وجد تابوت الملك وكان مفتوحاً .. لم يساور لوريه الشك في ان التابوت كان فارغاً فقد كان يعلم يقيناً أن مومياوات الملوك جميعها التي سلمت من ايدي اللصوص القدامي نقلها كهنة طيبة حوالي عام ١١٠٠ ق.م في أواخر الأسرة العشرين إلي خبيئة آمنة كان قد كشف عنها قبل سنوات خلف الدير البحري ولكن لدهشة لوريه وعجبه وجد الملك مسجي داخل التابوت تحيط به باقات من الورود .

وفي غرفة مجاورة للقاعة التي وجد فيها تابوت الملك عثر لوريه علي ثلاثة مومياوات لإمرأة وطفل ورجل .. الظاهرة التي لفتت انتباه لوريه هي أن هذه المومياوات كانت جماجمها مثقوبة من أعلي علي مثال ما وجد في المومياء التي عثر عليها في المدخل .. غموض آخر لم يكشف عن أسبابه .

الأكثر عجباً أن المرأة التي وجدت مومياؤها قيل أنها للملكة العظيمة «تي» التي كانت لها بصمات علي تاريخ مصر وقد تم مضاهاة خصلة شعر من مومياتها بخصلة شعر أخري وجدت في علبة بقبر توت عنخ آمون وذكر أنها للملكة «تي»

جدة زوجته فوجد أن الشعر متماثل تماماً .. هل كانت المومياء للملكة تي .. ؟ أمر يكتنفه الغموض ..

في غرفة أخري بمقبرة الملك امنحتب الثاني عشر لوريه علي تسع مومياوات مسجاه في ٩ توابيت ٥ منها مغلقة وأربعة بدون غطاء وقد اعتقد لوريه أن هذه المومياوات لبعض الأمراء من الأسرة الثامنة عشر ولكن بفحص المومياوات والتوابيت تبين أن بعضها لملوك من الأسرة الثامنة والتاسعة عشرة منهم تحتمس الرابع ابن الملك امنحتب الثاني ورمسيس الرابع وسيتي الثاني وامنحتب الثالث .. لقد كان ما عثر عليه لوريه في قبر امنحتب الثاني في روعته يماثل ما عثر عليه في خبيئة الدير البحري .

ان مقبرة هذا الملك تعتبر نموذجاً رائعاً بين قبور وادي الملوك تزخر بالرسوم ذات الألوان الزاهية وبنصوص كتاب الموتي المدونة بخطوط واضحة جريئه ، كما أن رسوم الملك في حضرة الآلهة علي أعمدة الصالة الموجودة بها التابوت تنطق بقدرة الفنان المصري وابداعه .

كانت تلك سيرة الملك في حياته ... وبعد مماته وقد خلفه في حكم مصر ابنه تحتمس الرابع .

الدولة الحديثة

تحتمس الرابع



كان عصر الامبراطورية في أيام الدولة الحديثة - بدءاً من امنحتب الأول ، وتحتمس الثالث ومن تلاهم من الملوك - كان حافزاً علي أن يدربوا ابناءهم أولياء العهد علي الفروسية والقتال ، ولذلك فقد كانوا يرسلونهم إلي ما يمكن أن نسميه اليوم بكلية الحرب في مدينة ممفيس (البدرشين) عاصمة البلاد في الشمال وكان الأمراء يدرسون في هذه الكلية ليتمرسوا ويتقنوا فنون الحرب وأساليب القتال وليتولوا قيادة الجيوش لتأديب من تسول له النفس - من أمراء الشمال أو الجنوب أن يتمرد أو يرفع راية عصيان .

وكان الأمراء في الفترات التي يحصلون فيها علي راحة نهاية الأسبوع أو أجازة نهاية الفصل الدراسي يقومون برحلات في الصحراء المجاورة لهضبة الأهرام والقريبة من منطقة ممفيس طلباً للصيد والقنص وترويحاً للنفس .

كان الأمير تحتمس الرابع ابن امنحتب الثاني علي عجلته الحربية التي تجرها أسرع الجياد يسابق الريح خلف الظباء والسباع يصيد منها ما يتمكن من اللحاق به بحرابه وسهامه ، وذات يوم ادركه التعب عندما اشتدت حرارة الشمس في ظهيرة النهار ، فجلس في رحاب تمثال أبي الهول يلتمس الراحة ، وفي ظل التمثال غلبه النوم وراح في سبات عميق ، وفي المنام رأي الآله رع في صورة أبي الهول «هار ماكيس خبري رع أتوم» يحدثه قائلاً «اسمعني ياولدي ... سوف اعطيك سلطاني علي الأرض ، وسأضع علي رأسك تاجي الوجهين ، وتحت قدميك كل أرض مصر بطولها وعرضها وخيراتها وكل خيرات البلاد التي تسود عليها مصر ستكون كلها ملك يمينك ... ولكن ياولدي لي عندك مطلب أرجو أن تحققه فقد أدركني التعب والوهن من جراء الرمال التي تجثم علي صدري وعلي قلبي ... لقد انتظرتك يا ولدي فخلصني ... وسوف أكون معك وبجانبك علي الدوام».

عندما أفاق الأمير من نومه لم تغب هذه الكلمات عن فكره ، حتي أنه عندما اعتلي عرش مصر قام بتحقيق ما طلبه منه الإله وأمر بأن تزاح الرمال عن التمثال ووضع لوحة بين قدمي التمثال تروي قصة الحدث .

كان من المؤكد أن بلاد الإمبراطورية بعد وفاة الملك امنحتب الثاني سوف

تحاول أن تسبرغور الملك الجديد بإعلان الثورة علي الاحتلال المصري لبلادهم ، ولكن تحتمس الرابع قام بحملة حربية لتأديب المنشقين من الأمراء ووصل في حملته حتي «نهارين» عند حدود آسيا الصغري وإذ حقق نصراً مبيناً عاد إلي مصر يحمل لها ولمعابدها ما استولت عليه جيوشه من غنائم وأسلاب وإذ استقرت له الأمور ، وفرض سلطاناً قوياً علي البلاد التي تحت امرته ، أراد أن يجنب مصر حملات حربية أخري ففتح مع البلاد المتأخمة لحدود امبراطوريته صفحة جديدة فعقد معاهدة مع ملك «ميتاني» حتي يضمن عدم تعرض بلاد الحيثيين في آسيا الصغري لممتلكات مصر في فينيقيا وسوريا وتتويجاً لهذه المعاهدة تزوج تحتمس الرابع من أميرة «ميتاني» اسمها «موت ام اويا» وهي التي ولدت له ابنه امنحتب الثالث الذي يدعي في التاريخ المصري بامنحتب العظيم .

كان من انجازات تحتمس الرابع أنه عندما وجد أن احدي مسلات جده تحتمس الثالث في معبد الكرنك ترقد علي جنبها مهملة دون أن تنصب فقد أمر بأن يكمل نقشها واقامتها في المعبد تخليداً لذكري جده العظيم وفي جانب من المسلة سجل أنه أدي هذا العمل حبا في جده وتكريماً له وقد كان مصير هذه المسلة أنها نقلت إلي روما حيث ترتفع حالياً في ميدان أمام قصر لاتيران كما سبق أن ذكرنا .

كما وجدت لهذا الملك - بالإضافة إلي لوحة أبي الهول - لوحة أخري منقوشة علي أحد الأعمدة بـ«الفنتين» حيث كان يوجد مقياس للنيل بأسوان وعلي هذه اللوحة نجد الآله خنوم «الكبش» يحتضن الملك تحتمس الرابع مباركاً .

تحقق السلام في عهد هذا الملك ، ورحل إلي رحاب آلهته ، وفي مقبرة بوادي الملوك دفن ، وكان نصيب هذه المقبرة كمقابر كثيرة في الوادي ، ان تسرق محتوياتها بحيث لم يعثر «كارتر» الذي اكتشفها عام ١٩٠٣ بتمويل من الأمريكي ثيودور دافيز إلا علي عجلة حربية ... أما تابوته فقد نقل في القديم إلي مقبرة والده امنحتب الثاني حيث عثر عليها «لوريه» عام ١٨٩٨ مع مومياوات ملوك أخري .

لم يذكر لنا التاريخ أن تحتمس الرابع جلس علي العرش أكثر من عشر سنوات لذلك فمن المؤكد أن امنحتب الثالث قد جلس علي عرش مصر وعمره

ثماني سنوات والذي يؤكد هذا التاريخ أن تحتمس الرابع ترك لابنه امنحتب الثالث ملكاً مستقراً وبلداً ينهال عليه الخير من كل حدب وصوب .

دخلت مصر عهدها الذهبي في عهد الملك امنحتب الثالث واستقرت الأحوال حتي أن الملك الجديد لم يلجأ إلي الحرب إلا في العام الخامس من حكمه عندما حاول بعض زعماء قبائل النوبة التمرد فأرسل حملة إلي الجنوب قامت بتأديب المتمردين وعادت بسبعمائة وأربعين كأسري حرب .. وتكاد تكون هذه هي المرة الوحيدة التي قام فيها امنحتب الثالث بعمل حربي .. وما عدا ذلك فقد كان استعراض جيوش لتأكيد سيادة مصر علي البلاد الآسيوية ، وقدرتها علي فرض ما تريده وتأديب من يحيد بيد من حديد ... وإن كان قد وجد علي جدران المعابد لوحات تشير إلي انتصارات للملك أو تمجيد لما حققه من اخضاع اعدائه تحت قدميه فلم يكن ذلك إلا نوع من المدح والتقرب إلي الملك سواء من رجال بلاطه أو من كهنة المعابد الذين كان يغدق عليهم المنح والهبات .. وان صح القول فإن الملك كان يخرج بعرباته الحربية إلي ميادين الصيد لمطاردة الثيران البرية والسباع التي امكنه ان يصطاد منها الكثير .

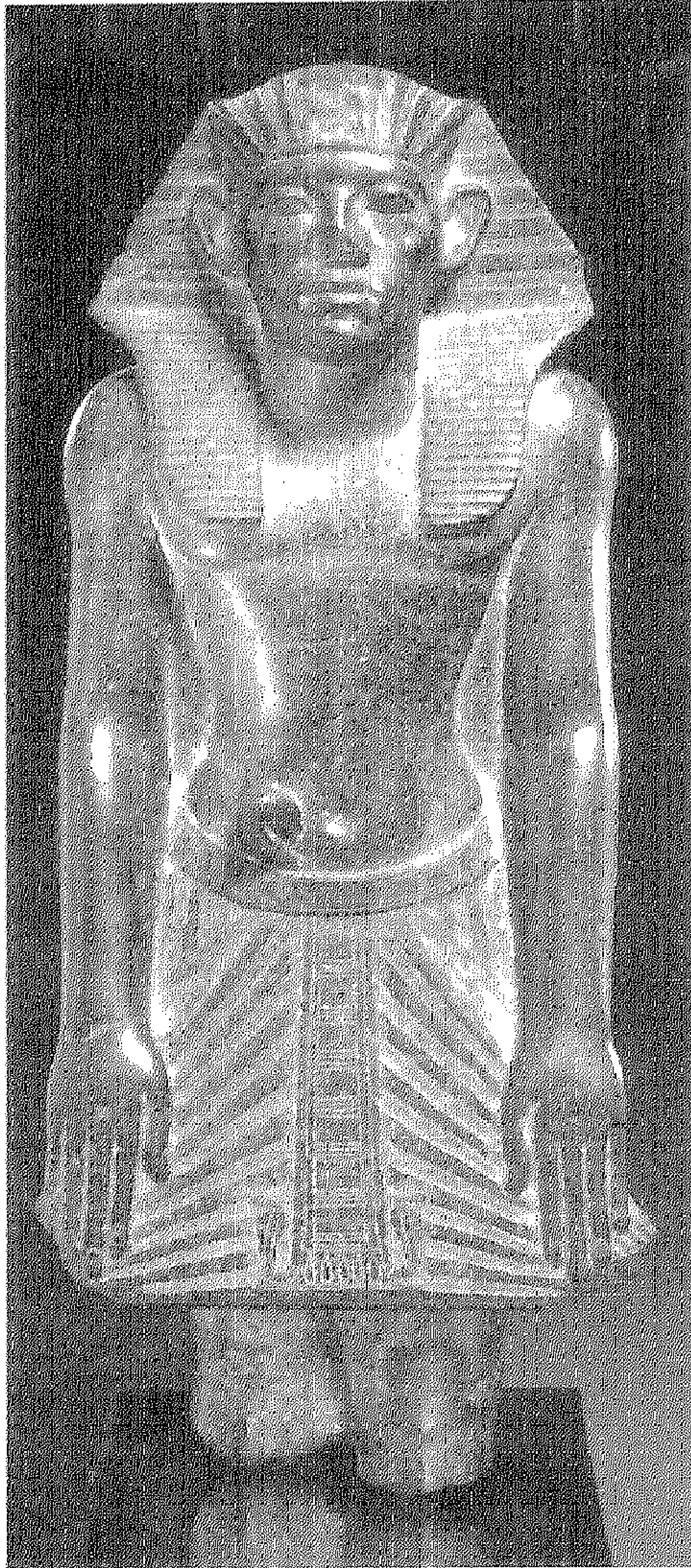
لم يكن يشغل بال الملك أية متاعب سياسية أو حربية في الخارج أو تقض مضجعه أية قلاقل في الداخل فقد كان الحال مستقراً والمال يجري في يده بلا حدود وتنهال علي خزينة مصر الجزية التي تدفعها البلاد التي كانت تحت سيطرته فتكدست الخزينة بالذهب والفضة وامتلأ بلاط الملك بالعبيد والإماء ، حتي كأنما كانت الدنيا بأسرها ملك يمينه وأخذ امنحتب الثالث ينفق المال بغير حساب في الإنشاء والتعمير وبناء المعابد التي بالغ في اضفاء الأبهة والفخامة عليها – وقد كان المعبد الذي بناه في الأقصر في البر الشرقي ..والذي ترتفع أعمدته شامخة حتي اليوم في المدينة ، من روائع العمارات القديمة وكان أول من قام بوضع حجر في اساسه هو الملك امنحتب الثالث الذي خصص المعبد للإله آمون وأراد مهندسوه أن يتصل مع المعبد الكبير في الكرنك بطريق الكباش الذي كان يعبره الإله آمون في موكب كبير مرة كل عام من معبد الكرنك إلي معبد الأقصر .

في غرفة بالمعبد تدعي «غرفة الولادة» صور الملك بنقوش بارزة رائعة ، أسطورة

المولد الإلهي للملك منهـا مناظر للآلهـة إيزيس تعـانق الملكة «مــوت ام اويا» أم امنحتب في وجود آمون الذي نراه يدخل إلي مخدع الملكة ويبشرها بأن الطفل الذي سيولد لهما بعد اتصالهما سيدعي امنحتب كما نري في منظر آخر الإله «تحوت» إله المعرفة والحكمة يبشر الملكة بحملها ثم إلهة الولادة «تاورت» لتساعدها علي وضع الطفل الذي نراه بعد ذلك وقد شب رجلاً وأصبح الملك امنحتب .

الدولة الحديثة

الملك امنحتب الثالث والملكة تى



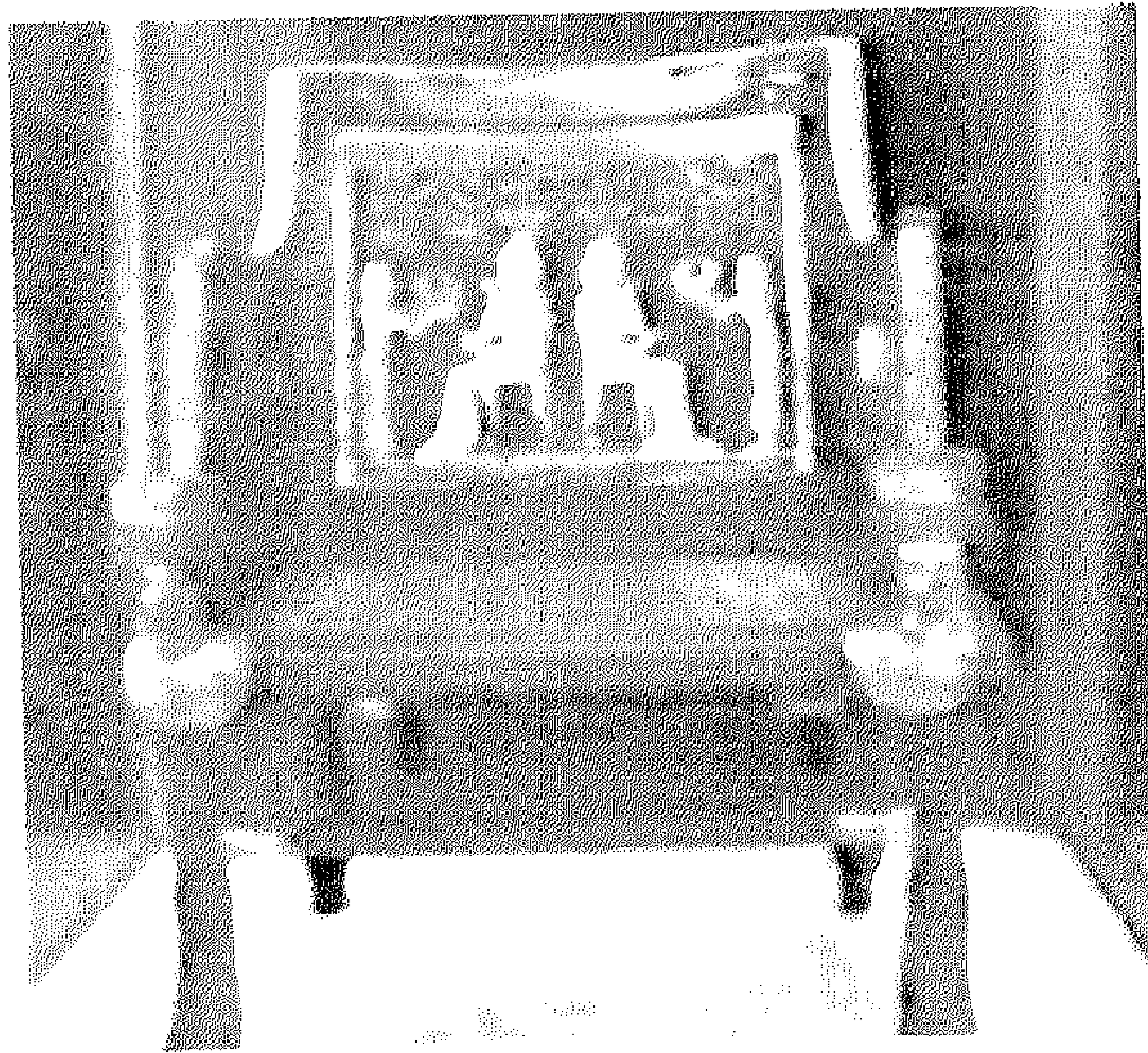
بلغت الامبراطورية المصرية أيام الملك امنحتب الثالث ذروة أمجادها وقمة عظمتها ، ولم تشهد مصر عصراً أحاطت به كل صنوف الأبهة والفخامة مثل عهد هذا الملك الذي لقب بالعظيم ... والذي وصف عصره بالعصر الذهبي واستقرت فيه أحوال الراعي والرعية وساد الرخاء من كثرة ما عم في البلد من خير ... وشمل السلام كل ربوع الوادي واستتبت فيه الأمور .

وإذ توفر الذهب في مصر من مناجمها في سيناء ومن بلاد الذهب (النوبة) التي كانت تحت حكم مصر ومن الجزية التي كانت ترد لمصر من البلاد التي كانت تحت سيطرتها ... إذ توفر لمصر كل ذلك فقد استعاض امنحتب الثالث عن الحملات الحربية في آسيا بشراء طاعة أمراء بلادها وباستمالة ملوك البلاد الأخري وكسب صداقتهم وتحالفهم معه باغداق الذهب عليهم بما يسد أفواههم ، ويضمن له عدم تمردهم ، وولائهم له ولمصر ... وفي هذا نري «دوشراتا» أحد ملوك بلاد ميتاني التي كانت تربطه بمصر معاهدات صداقة واحلاف تعاون ، نري هذا الملك يرسل للملك امنحتب خطاباً يقول فيه «يا أخي الفرعون .. استحلفك أن ترسل لي ذهباً بكميات وفيرة لا تعد ... مثلما بل وأكثر مما كنت ترسله لأبي ... ان الذهب في مصر أكثر من تراب أرضها ... فلا تمنع عني ذهبك» ... وقد كان الملك «دوشراتا» هذا صهراً لأمنحتب إذ كان الأخير قد تزوج اخته «جيلوخيبا» ... وتم هذا الزواج في العام العاشر من حكم الملك امنحتب وسجل الملك هذا الزواج علي جعران قال فيه أنه تزوج الأميرة «جيلوخبيا» التي حضرت من بلادها ميتاني يرافقها سرب من ٣١٧ سيدة ووصيفة .

وإذ توقفت الحملات الحربية ولم يعد هناك خطر يهدد من الخارج ، فقد اشتري ولاء وطاعة الجميع بذهبه ، ولم تعد هناك قلاقل تهدد من الداخل ، وقد بات كل الشعب في رغد من العيش ... وتحت هذه الظروف جميعاً فقد استكان الملك لعيشه الترف واثر حياة اللهو ورحلات الصيد والقنص ... لا يشغل باله إلا أن يحقق لنفسه كل متع الدنيا ومباهجها .

في أول أيام حكمه ، هام حبا باحدي بنات الطبقة المتوسطة فتزوجها محطما

كل التقاليد الملكية ، وخلد زواجه منها علي جعران تذكاري سجل فيه أنه تزوج من «تي» ابنة «يويا» و«تويا» وهما من عامة الشعب ... كانت «تي» أول إمرأة دخلت قلب امنحتب وجلست وتربعت فقد كانت الأثيرة لديه ... كان اسمها دائماً مسبوقا بلقب «الزوجة الملكية العظيمة» «سيدة القطرين» تي ... ومن فرط حبه لهذه الملكة فقد أعطي والديها «يويا» و «تويا» لقب والدي الملك الإله ولقب والدها بكاهن الإله «مين» في اخميم والمشرف علي الخيول والمركبات الملكية يويا ، أما الأم فقد منحها لقب سيدة حريم الإله آمون «تويا» ، وقد وجدت هذه الألقاب مدونة علي جدران مقبرة «يويا وتويا» التي اكتشفتها بعثة تيودور دافيز ١٩٠٥ في وادي الملوك وعثرت عليها سليمة لم تمسسها يد اللصوص ... وهكذا وقد كانت الملكة «تي» المفضلة عند الملك دون سائر نساء البلاط فقد كرم والديها بهذه الألقاب وأمر بدفنهما في وادي الملوك المكان المخصص لدفنات الملوك دون غيرهم .



كرسي وجد بمقبرة يويا

«جلست عليه يوما الامبراطورة أوچيني »



القناع الذهبي لمومياء تويا

كما أنه في العام الثاني عشر من حكمه ، وتلبية لرغبة الملكة «تي» التي كان يحبها الملك أقام بحيرة صناعية بجوار قصره الملكي الكبير في البر الغربي للنيل - وبرغم أنها كانت بطول ١٧٠٠ متراً وعرض ٣٦٠ متراً فقد تم حفر هذه البحيرة في أربعة عشر يوماً بحيث أصبحت معدة لتعويم القارب الذي يقله مع الملكة علي صفحتها ، وقد كان هذا القارب يحمل اسم «قرص الشمس المتوهج» وفيما أطلق الملك الماء عبر منافذ من النيل إلي البحيرة لملئها ، أقام مهرجاناً تحدثت عنه مصر من قاصيها إلي دانيها وعزف الموسيقيون علي المزامير والدفوف والارغول كما شدا المغنون ورقص الراقصون ابتهاجاً بهذه المناسبة التي سجلها الملك أيضاً علي أحد الجعارين للذكري والتاريخ . لم يمنع الحب الغامر الذي كان يحمله الملك للملكة «تي» من الزواج من أخريات ، فقد كان حريمه يضم زوجات ملكيات عديدات وأميرات أجنبيات كن يأتين إلي قصره من ، بابل وآشور وميتاني وفنيقيا وقبرص - كما كان يرسل إلي حكام الولايات في طلب العذاري الجميلات حتي أنه بعد ما تقدم به السن وترهل لم يتورع عن طلب الزواج من أميرة ميتانية صغيرة ... ولكن

للحقيقة فإن نساء الدنيا اللاتي احطن بامنحتب الثالث ... لم تعدل واحدة منهن الملكة «تي» أول زواج له «الزوجة الملكية العظيمة» .«سيدة القطرين» التي كان لها تأثير كبير علي الملك فهي أم ولي عهده «امنحتب الرابع» الذي دعي فيما بعد «أخناتون» وقد لعبت هذه الملكة دوراً كبيراً في سياسة البلد كما كانت تصور بجوار الملك بأسلوب لم يسبق له مثيل في فن النحت أو الرسم ... وخرجت إلي الحياة العامة واستقطبت حولها حاشية جعلت منها قوة مؤثرة علي مجريات الأمور في الداخل والخارج .

برغم ما حظيت به الملكة «تي» من شهرة فإن المؤرخين لم يصلوا إلي معرفة الأصل الذي نبتت منه هذه الجميلة التي ملكت قلب الملك فقد رأي بعضهم أنها من بنات عامة الشعب المصري ، ورأي أخرون أنها آسيوية الأصل من بابل أو آشور استناداً إلي أن مصر أيام امنحتب الثالث قد أصبح بها جيل من الأبناء والأحفاد ولدوا في مصر لمصريين من زوجات آسيويات كن قد حضرن إلي مصر منذ أيام حملات امنحتب الأول وتحتمس الثالث في بلاد آسيا ، واعتمادا علي قرب ملامح وجهها من ملامح الآسيويين ، فضلاً عن أن امنحتب الثالث نفسه وقد كانت امه «موت ام أويا» من أصل آسيوي ، ما كان يدقق في أن تكون زوجته مصرية عريقة أو تجري في عروقها دماء أجنبية - كما كان من حجج أصحاب الرأي الذي يقول أنها من أصل آسيوي أن الملكة «تي» بعد فترة ، ناصبت كهنة معبد آمون بالكرنك العداء عندما منعوها من تعويم قارب لها في البحيرة المقدسة ، الأمر الذي حدا بزوجها إلي حفر البحيرة التي تحدثنا عنها - كما أنها خرجت من دائرة مجموعة الآلهة المصرية التقليدية واعتنقت فكرة المعبود الواحد (العالمي) آتون والتي جاهر وبشر بها فيما بعد ، ابنها اخناتون .

قلنا ان الملك أراد في أخريات أيامه أن يتزوج من أميرة ميتانية صغيرة - وقد كانت هذه الأميرة تدعي «تادوخيبا» ابنة الملك الميتاني «دوشراتا» الذي طلب ان تدعي ابنته «سيدة مصر» ، ولكن يبدو أن امنحتب الثالث وقد اسرف في حياة اللهو والمجون والترف ، عجل بشيخوخته ووهنه وضعفه بحيث أنه برغم وصول الأميرة إلي مصر لم يتم زواجه منها وكانت هذه الأميرة من نصيب اخناتون ولي عهده ،

ويذكر بعض المؤرخين أن هذه الأميرة قد تكون هي ذاتها الملكة الجميلة الشهيرة «نفرتيتي» .

بلغ المرض بالملك مبلغه في العام السادس والثلاثين من حكمه ، حتي ان الملك دوشراتا ارسل رسالة للملك يتمني له فيها الشفاء مع وفد ميتاني حضر إلي مصر حاملاً معه صنماً للإلهة «عشتار ربة نينوي» وهي معبودة ميتانية لكي تساعد علي شفائه من الوهن الذي أصابه والم به ولكن ... هل يصلح العطار ما أفسد الدهر ..



امنحتب في شبابه

العمارة المصرية أيام امنحتب الثالث



معبد الأقصر

كان الذهب يجري في خزائن مصر كمجري المياه في نيلها ... كما كان العبيد يفدون علي مصر من النوبة ، وأسري الحرب من البلاد التي قهرتها مصر في حملاتها منذ أيام تحتمس الثالث بحيث تيسرت للملك قوة بشرية هائلة لأعمال البناء ... وتوفرت لديه قوة مادية لاتمام ما يشاء من عمارة قصور ومعابد كما قدر الله لهذا الملك ان يكون بين رجاله مهندس حقق انجازات معمارية ، وكان اسمه «امنحتب بن حابو» وإذ كان ملوك هذه الأسرة يعزون كل ما تحقق لمصر من نصر للإله «آمون رع» فقد بالغ الملك امنحتب الثالث في بناء معابد جديدة له كان أهمها معبد الأقصر الذي كان لنا معه حديث ... والذي نضيفه ان مهندسه «امنحتب بن حابو» قد استحدث فيه فنوناً من العمارة لم يسبق لها مثيل .. منها أنه أقام أعمدة الصالة الرئيسية لمعبد الأقصر علي أعمدة أكثر طولاً من أعمدة الجناحين الملاصقين لها مما يعطي ارتفاعا لسقف الصالة الرئيسية يسمح بعمل نوافذ تتيح للضوء أن ينفذ إليها ... علي أنه وان كان لم يقدر لهذا التخطيط من اتمام لوفاة الملك أو مهندسه أو لأهمال من خلفه ، فإن هذا التصميم كان الهاماً لمهندسي العصور الوسطي والحديثة في تخطيط وبناء الكنائس الضخمة والكاتدرائيات ، وبالرغم من أن هذه الأعمدة تقوم حتي اليوم دون اتمام و بل ورغم أن بعض قمم هذه الأعمدة التي لها شكل زهرة البردي قد رفعت من مكانها لأغراض بناء معابد أخري أو مباني ، فإن معبد الأقصر الذي بدأه امنحتب الثالث لازال يقف حتي يومنا هذا شامخاً يبهر السائحين ويزهو بأمجاد الأولين ... ويربط معبد الأقصر بمعبد الكرنك الكبير طريق الكباش الذي تزينه من الجانبين تماثيل علي هيئة أبي الهول .



طريق الكباش

كما كان من انجازات المهندس «امنحتب بن حابو» بالبر الغربي المعبد الجنائزي للملك ، والذي لا نعرف عنه الآن شيئاً سوي ما دونه الملك نفسه علي لوحة يصف فيها المعبد فيقول أنه أقام المعبد تذكاراً لأبيه الإله آمون كحصن دائم خالد من الحجر الجيري الجميل وأنه جمله بالذهب وزين أرضيته بالفضة وأبوابه بالالكتروم «خليط من الذهب والفضة» وأنه بني لنفسه في المعبد استراحة زينت بالوفير من الذهب والكثير من الأحجار الكريمة ، كما أقام أمام المعبد بحيرة ملأها من ماء النيل سيد الأسماك والطيور وان مخازن المعبد تحتوي علي كل شيء والماشية فيه تعد بالملايين كرمال البحر ... لكن هذا المعبد لم ينج بعد ذلك من عدوان ملوك الأسرة الـ ١٩ ... بل حتي من عدوان ابنه اخناتون ، الذي لما أراد أن يمحو اسم الإله آمون - بعد أن اعتنق عبادة «قرص الشمس آتون» - محا اسم آمون ومعه اسم أبيه امنحتب ولم يبق من المعبد الجنائزي هذا سوي تمثالين ضخمين كل منهما من قطعة واحدة من الحجر الأملس الكوارتزيت وارتفاع الواحد منهما يزيد علي العشرين متراً .

كما أقام الملك جنوب مدينة هابو بالبر الغربي قصره الفاخر الذي بناه بالطوب اللبن «النيء» وغطاه بالملاط وجمله بالرسوم الزاهية الملونة التي لم يبق منها إلا بعض نقوش جميلة كانت تزين غرف نومه وصالات استقباله لكنها لا تشبع إلا رغبة الأثريين والمتحمسين للتاريخ دون غيرهم ... كما وجد أيضاً ببقايا

هذا القصر بعض الأواني التي كانوا يحفظون بها الطعام والشراب مدون عليها كتابات تشير إلي أنها ترجع إلي العام الثامن والثلاثين من حكم الملك كما يوجد بجوار القصر بقايا البركة التي اقامها الملك لزوجته «تي» .

قبل أن نترك البر الغربي لا يفوتنا أن نذكر أن بمعبد دير المدينة يوجد ما كان أصلاً مقصورة لمقبرة «امنحتب بن حابو» المهندس القدير الذي اتخذه البطالسة في عصور متأخرة الها لبالغ حكمته وفنه مثلما ألهوا ايمحوتب وزير الملك زوسر من الأسرة الثالثة القديمة ويري علي عمودين أمام الصالة التي تؤدي إلي قدس الأقداس في المعبد رسم لايمحوتب وامنحتب بن حابو حيث ذكر عن الأخير أن «أقواله لن تموت وان اسمه سيخلد إلي الأبد» .

بني امنحتب الثالث في جزيرة الفنتين مقصورة جميلة لتمجيد الإله «خنوم» معبود أسوان وقد أشار إلي هذه المقصورة رجال الحملة الفرنسية الذي جاءوا إلي مصر عام ١٧٩٩ في كتابهم «وصف مصر» ورسموا لوحات جميلة لها .. غير أن هذه المقصورة لم تسلم أيضاً من يد التخريب علي يد أحد الحكام الأتراك الذي أمر بهدمها واستعمال أحجارها في بناء قصر للوالي «محمد علي» علي نيل أسوان .

وفي الجنوب عند الشلال الثالث أقام مهندسه امنحتب بن حابو معبدين أحدهما في «صولب» والثاني في «سيدينجا» الأول علي اسم الملك والثاني علي اسم الملكة «تي» وقد نال معبد «صولب» ما نال مقصورة الفنتين من تخريب إذ أن هذا المعبد وكان قد زاره المؤرخ «واليس بدج» في العصور الحديثة فوجد به بعض اللوحات من الحجر الجيري كانت مقامة كفواصل بين أعمدة المعبد وكانت عليها نقوش وكتابات رائعة فقرر أن ينقلها إلي المتحف البريطاني غير أنه عندما توجه بعد عام إلي المعبد لنقلها لم يجدها بل وجد آثار تخريب وشظايا احجار وبالتحري ابلغ أن هذه الأحجار قد قطعت لاستخدامها في اقامة مباني حكومية بالسودان .. وقد روي «بدج» هذه الواقعة معرباً عن احساسه بالأسي لما علم أن هذا التعدي تم في زمان كانت بريطانيا تواقة إلي آثار مصر واقتنائها ، وأن هذا التخريب تم في عهد كان السودان فيه تحت الحكم البريطاني ، غير أن «بدج» نقل إلي المتحف البريطاني بعض تماثيل من هذا المعبد كانت مرصوصة إلي جانب الطريق المؤدي إلي المعبد ...

وكانت هذه التماثيل علي شكل أبي الهول وهي من الجرانيت الأسود ... كما أن بعض هذه التماثيل كان قد استولي عليها «بيعنخي» أحد ملوك العصور الفرعونية المتأخرة واقامها في معبده الذي شيده بجبل بركل في الجنوب .

نالت يد التخريب والهدم الكثير مما بناه امنحتب الثالث ... غير أننا ليصدق قولنا إذا ما أكدنا أن ما شيده امنحتب في زمانه وما عاش فيه من قصور ، فاق بكثير ما عاشه هارون الرشيد في ليالي بغداد والف ليله وما عاشه كسري انو شروان علي ايوانه في بلاد الفرس .

سلك امنحتب الثالث مسلك الملكة حتشبسوت في أسلوب الحكم ففي عهده نشطت التجارة نشاطاً ملحوظاً .. وامتلأ النيل بالسفن الرائحة الغادية علي صفحته التي تحمل البضائع التي ترد من بلاد سوريا والتوابل والعطور التي ترد من بلاد الشرق ... وأصبح القصر الملكي في طيبة مركزاً تشع منه وسائل الاتصال مع كل البلاد ... فقد كان الملك يتبادل الهدايا مع كل ملوك عصره ، فقد ذكر أنه أرسل إلي ملك آشور ٢٠ وزنة من الذهب ، كما اعتذر له ملك قبرص في رسالة أخري عن عدم ارسال النحاس إلي مصر لأن وباء قاسياً اجتاح بلده فلم يمكنه ارسال ما طلبته مصر من نحاس .

ولكن حياة الترف التي عاشها امنحتب ما كانت لتتمخض إلا عن نكسة قاسية في أخريات أيام امنحتب ... فقد طالعتنا رسائل العمارنة التي قلنا في حديث سابق أنها عثرت عليها فلاحة من دير مواس بصعيد مصر ... طالعتنا احدي هذه الرسائل وكان قد ارسلها أمير أورشليم «ابدوحيبا» إلي الملك راجيا أن يرسل له قواته لحماية المدينة من تحالف الأعداء وقد قال «إذا ارسلتم رماة السهام هذا العام فإن أراضى مولاي الملك يمكن حمايتها وان لم ترسل هذه القوات فإن الأراضي ستضيع من أيدينا» وقد تحقق ما توقعه الأمير المذكور بعد ذلك في أيام أخناتون خلف امنحتب .

كما كان لحياة الترف التي عاشها الملك امنحتب الثالث وافراطه في معاشرة زوجات وأميرات أجنبيات ان اصابه الضعف والوهن ... ويبدو ذلك واضحا علي

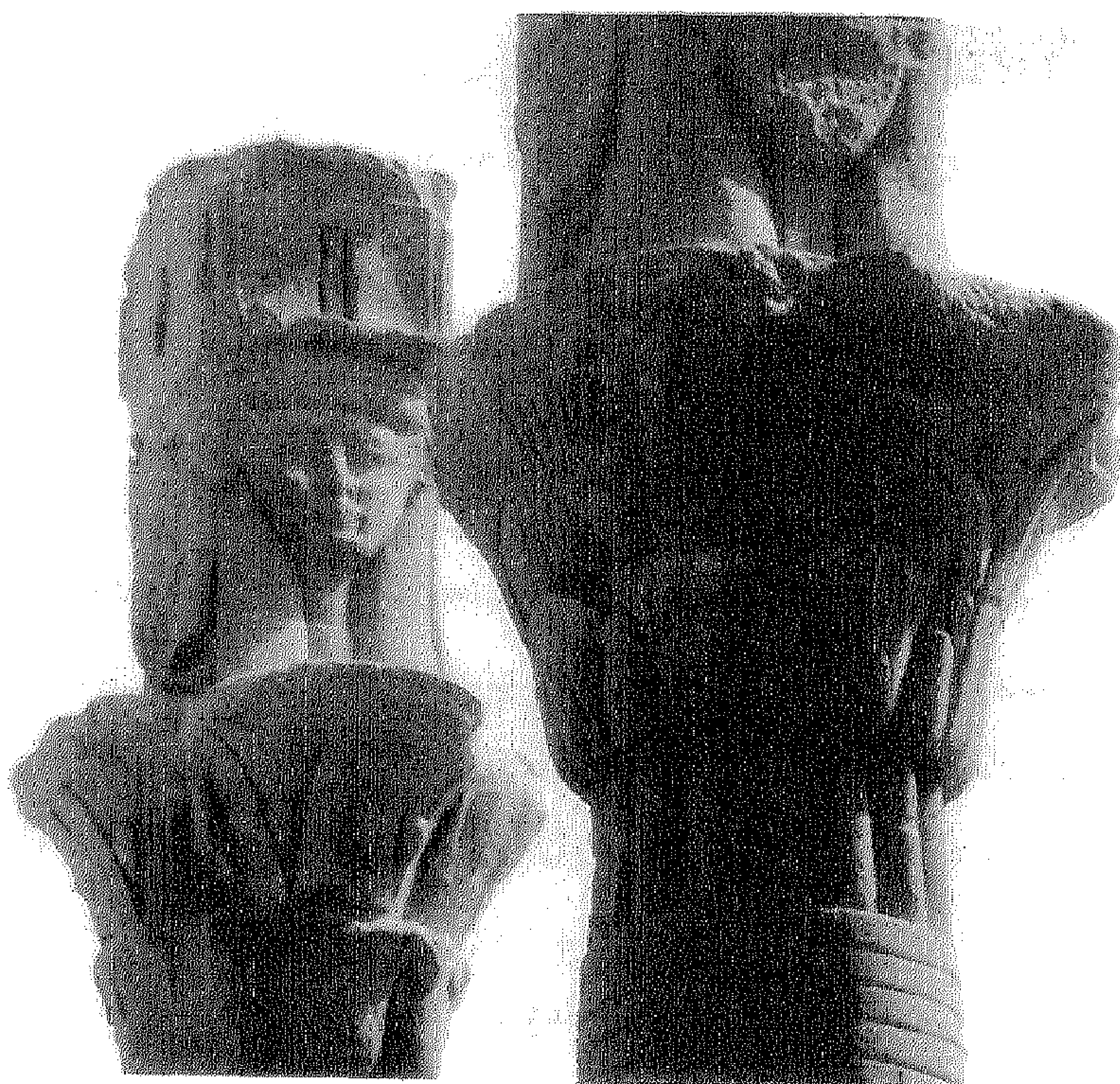
لوحة من الحجر الجيري عثر عليها في تل العمارنة وموجودة حاليا بالمتحف البريطاني فقد ظهرت في اللوحة التجاعيد علي وجه الملك وانحني ظهره حتي لكانه كان يحمل كل نزواته علي كاهله بحيث لم تنفعه علوم الأطباء ولا تمائم السحره .. كما أن هذه الحياة أورثت ابناءه اخناتون وسمنخكارع وابناءهم تشويها خلقياً يبدو في صور هؤلاء وتماثيلهم .



الملك امنحتب الثالث وتظهر التجاعيد علي وجه الملك الذي انحني ظهره

وفي النهاية رحل امنحتب الثالث عن عمر لا يجاوز الخامسة والأربعين وتبدو مومياءه كمومياء كهل عجوز ... اسنانه نخرها السوس وشعر رأسه كله قد سقط ... والأمراض حطمت كل كيانه .. رحل الملك وقد دب في امبراطوريته من الوهن والضعف .. ما كان قد دب في جسمه من أمراض واسقام ... وتجري الأيام.

الديـانـة في مصر القديمة



معبد فيله بأسوان - لعبادة إيزيس

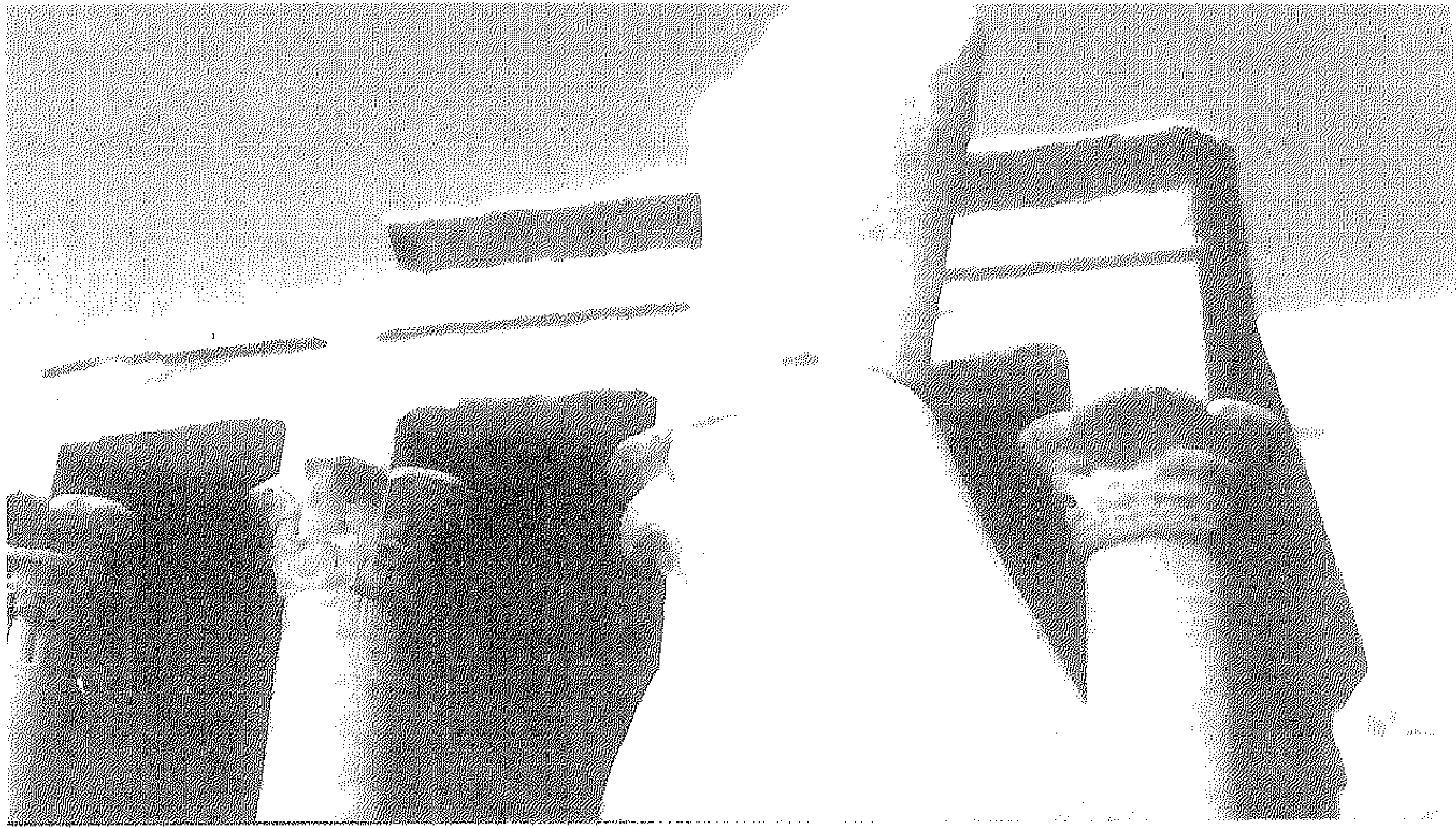
ان الكاتب الذي يحاول أن يعرض للديانة في مصر القديمة ، ليجد صعوبة جمة في ان يقدم ما يشبع ظمأ الراغبين في معرفة عقائد المصريين القدامي وآلهتهم لتعددها وتطورها وخضوعها لقوانين الغالب والمغلوب .

فبرغم ما نجد في أيامنا هذه من أن الديانات تؤثر في سلوك المجتمعات التي تدين بها ، نري أن المجتمعات في مصر القديمة هي التي كانت تؤثر في الديانات تأثيراً واضحاً بحيث أن صفة الثبات أو الدوام للعقيدة الواحدة أو للمعبود الواحد في اقليم ما كانت تهتز إذا ما نشب صراع بين حكام الأقاليم ، حتي إذا ما لحقت الهزيمة بحاكم اقليم فرض حاكم الاقليم المنتصر وآلهته وكهنته سلطانهم علي حاكم وإله وكهنة الاقليم المهزوم ، وتنتهي الحروب أما بأن يتبع إله الاقليم المهزوم آله الاقليم الغالب أو ان يتم اتحاد بين الآلهة إذا ما تم صلح بين أطراف النزاع من حكام الاقاليم ..

وهكذا يدخل الباحث في دوامة لا أول لها ولا أخر ... من آلهة لها أجساد بشر ورؤوس حيوان ، وآلهة لها أجساد حيوان ورؤوس بشرية أو إله له شكل حيوان أو طائر أو نبات أو حتي حشرة .. وكل إله من أولئك كان له شأنه وبأسه في زمانه أيام سلطان وهيمنة حاكم اقليمه كما كان الباحث يدخل في دوامة أخري تتمثل في صلوات كانت تقام في المعابد تقرباً للآلهة يمارسها كهنة يغالون في تعقيد مراسمها ويحيطونها بالغموض والابهام ويوهمون العامة أنها طقوس مقدسة لا يمارسها إلا من أرادت له الآلهة ذلك بحيث أن من يحاول أن يكشف الستار عنها تنزل عليه لعنات الآلهة حتي أنها للمبالغة في سريتها لم يصل لنا منها إلا القليل وبحيث أصبحت تشكل طلاسم أمام من يريد البحث أو الفهم أو الاستقصاء .

غير أنه وان كان يلوح ان الطريق تبدو ملتوية أمام الباحث فإنه سيجد في بعض ما عثر عليه من برديات أو كتابات علي جدران المقابر أو المعابد ما يمكنه من ان يصنف جداول باسماء الآلهة التي عبدها المصريون القدامي والتي كان لكل واحد منها أوصاف وسمات ومعابد تقام له فيها الصلوات واقاليم تدين له بالولاء وكان لكل إله من هؤلاء دور علي مسرح الدين والميثولوجيا المصرية القديمة فاوزيريس كان

إله الخصب والزرع والبعث والعالم السفلي وحورس كان المنتقم لابيه وست يمثل إله الشر وايزيس إلهة الحب والوفاء وانوبيس إله التحنيط وحارس الجبانات وسخمت إلهة الحرب وتاورت إلهة الولادة وبس إله السرور وبتاح إله الخلق ورع كبير الآلهة ووالدهم وغيرهم الألوف من الآلهة التي كانت تحيط بكل واحد منهم أسطورة أو أساطير ان كان قد شابها الغموض في أيامهم فإنه يشوبها غموض أكثر في أيامنا لاختلاف ما كتب ودون عنها في عصور مختلفة متلاحقة .



الإله حورس

برغم هذا الطابور من الآلهة التي عبدها المصريون والذي يبلغ أكثر من الفي إله وإلهة ، فإن ما تحتويه عبادة هذا الإله أو ذاك من تعاليم أو مباديء أو عقيدة تبدو باهتة المعالم لا تعطي معلومة إلا بالقدر الذي يدرك به الباحث سطوة سلطان هذا الإله فقد عبد المصري كل ما رآه أو سمعه أو احس به من حيوان أو طير أو جماد أو اعتقد ان له قوة خارقة تبهره وتثير فيه الدهشة حتي وان لم تكن هذه القوة تلوح إلا في خياله أو تصوره وحده فكان ان تعثر في حجر فألقاه هذا الحجر علي الأرض يعتقد أن هناك قوة تكمن في هذا الحجر فيأخذه إلي بيته ويعبده هو وأهل بيته اتقاء لشره .. وان رأي طائراً اتجه يميناً في يوم قتال انتصر فيه اعتقد أن هذا الطائر فأل حسن وعبده .. كان يعبد الثعبان والعقرب اتقاء لشرهما فأنه يخشي لدغة كل

منهما ولأن ابن أوي معروف عنه أنه ينبش القبور ويأكل جثث الموتي فقد عبده كسبا لصداقته حتي أنه اعتبره حارس الجبانات .. والتمساح جبار النيل عبده .. والضفدع لأنها كثيرة النسل عبدها ، حتي الجعران عبده لأنه كان يلاحظ في الصباح أن الجعران يدحرج روث بهيمة وقد وضع عليها بيضه ويدفنها ثم كان يلاحظ بعد ذلك خروج جعارين كثيرة تخرج من الحفرة بعد فقسها فكان يظن ان الجعران يجدد حياته وعبده كإله للحياة والبعث .

وهكذا فإن الآلهة لم تكن تقدم للمصري تعاليما للخير أو الشر أو الأخلاق القويمة .. لم تتضمن أفكاراً عن الخطأ والصواب بل كانت كل هذه القيم أموراً اجتماعية ينظمها ويبشر بها حكماء كل عصر أمثال بتاح حوتب وآمون أم اوبي واني وبتوزيرس بل حتي ملوكهم كأمنمحات الأول الذين كانت تعاليمهم تحض علي الخير والبر وتنهي عن المنكر والشر .

وكانت المعابد مهمتها قاصرة علي ممارسة شعائر وطقوس عبادة الإله كما تقوم بأعمال تغلب عليها ماديات الحياة فقد كانت هذه المعابد تشتمل علي مخازن وورش ومراكز تدريب ومدارس وجامعات لتعليم الطب والجراحة والتحنيط والفلك وحتي شئون الحرب ويكفي هنا أن نشير إلي أن معبد الإله آمون بالكرنك في طيبة كان موقوفاً عليه ويملك ويدير ٩٢٤ ميل مربع من الأطيان الزراعية و٤٣٣ حديقة وبه ٤٦ ورشة عمل و٦٥ سوقاً عمومياً وله في النيل ٨٣ مركباً كما كان يملك حوالي نصف مليون رأس من الماشية وله من الخدم والعبيد ٨١٣٢٢ ..

لم نسمع في المعتقدات المصرية عن أبليس أو عن شيطان يوسوس في صدور الناس مشجعا علي الرذيلة .. بل حتي ست إله الشر كان معبوداً لبعض المصريين .. كان الدين يرتبط بالأخلاق والقيم وكان الآلهة عندهم يكونون مجتمعات كمجتمع البشر .. فالإله له زوجة وأبناء وبنات وأشقاء وشقيقات وأسرة .. يحب ويكره .. يحارب ويقاتل وينتقم ، يشرب حتي تذهب الخمر برأسه .. يموت ويبعث .. يصيبه المرض مثلما يصيب البشر .. كان كل ما توحي به الطبيعة وما وراء الطبيعة مصدر الهام ووحي ، فإن المتأمل والمتعمق في أغوار الفكر المصري القديم ليجد أن ظاهرتين طبيعيتين كانتا تمثلان أهم عناصر عبادته وتؤثران تأثيراً عميقاً في فكره ووجدانه

وعقيدته وهما الشمس والنيل فالشمس تعطيه الضوء والدفء والطاقة ، والنيل يعطيه الحياة والخير وينبت له الزرع والضرع .. فعبد الشمس واسماها رع وكانت معبوده الأول منذ فجر تاريخه وظلت لها السيادة علي جميع الآلهة المحلية التي كان البعض منها يعبد إلي جوار رع وفي ركابه ومعيته كما كانت الآلهة الصغري معبودات أسرات أو قري أو مدن ولها منزلة ثانوية علي المستوي القومي وان كانت بالنسبة للأفراد أو الأسرة لها مكانة متميزة في محيطها فهي التي تحقق لهم النصر وتحميهم وتبعد عنهم الشر .. وكانت كل أسرة أو قبيلة تباهي بمعبودها حتي أنه لو رحلت هذه الأسرة إلي مكان أخر كانت تنقل معها معبودها تيمنا به وطلبا لحمايته .

ان المتابع لتطور الفكر والدين في مصر القديمة علي مدي أكثر من ستة آلاف سنة هي عمر الحضارة في الدنيا بأسرها ليخرج بحقيقة واحدة مؤكدة هي أن المصري لم يكن يهمه من أمر دنياه إلا أخرته وان ما بناه وشيده من أهرامات ومعابد ومقابر من الحجر لم يكن إلا لتحقيق غاية واحده هي أن يتحد مع الآلهة في حياته الأخري ويلازمهم ويطلب رضاءهم ويتوقي غضبهم .

وبرغم ان كل الديانات التي نعرفها اليوم تركز علي إله واحد يعبده الناس وعلي رسالة محددة يوجهها الله إلي الناس لاتباعها والسير علي تعاليمها .. فإننا علي مدي ما أسلفنا لم نجد ديانة أو فكرة أو عقيدة لها هذه السمات إلا ديانة واحدة نادي وبشر بها ملك من الأسرة الثامنة عشرة هو «اخناتون» .

ثورة اخناتون الدينية



اخناتون

مرة واحدة في تاريخ مصر الطويل قامت ثورة فريدة تختلف عن كل الثورات في مصر وفي العالم أجمع ، إذ كان الثائر في موقع القمة ، وليس في موضع القاعدة ، وكان الثائر هنا هو الملك الجالس علي العرش ولم يكن الشعب المحكوم ... كانت تلك ثورة اخناتون الدينية .... هذا الفرعون ... الجدير بأن يكتب عنه بأحرف من نور ..

صوت صارخ في أرجاء مصر من أقصاها إلي أقصاها .. يبشر بدين جديد .. بالسلام وبالحق ... بإله واحد .. لا إله سواه .. ولا معبود إلاه .. الهه آتون قرص الشمس في عقيدته وايمانه .

ان مصر التي عشناها كانت من ابرز سماتها صفة الثبات وعدم التغير .. شمسها تشرق بمعياد وتغرب بميعاد .. نيلها يفيض بميعاد وينحسر بميعاد .. الزرع بميعاد والحصاد بميعاد ... العادات ثابتة لا تتغير .. لم تبق ديانات - غير سماوية - مثلما بقيت ديانات الفراعنة ولا تراث مثلما بقي تراثهم ... بحيث أن أي فكر في تغيير بعض ما يعتقدونه ... كان يعرض صاحبه لتهم تصل إلي الإلحاد والتجديف في حق الآلهة والكفر بالمعتقدات والتراث .. وانتهينا إلي أن امنحتب الثالث جني ثمار ما زرعه اباؤه وأجداده امنحتب الأول وتحتمس الثالث وامنحتب الثاني ... أنه ورث عرشاً ومجداً وثراء جاوز كل الحدود حتي لقد اسماه بعض المؤرخين «الملك الشمس» وقد انجب امنحتب الثالث من زوجته الملكة «تي» الأمير تحتمس الذي كان بكر أبنائه وولي عهده غير أنه لم يقدر لهذا الأمير أن يعيش طويلاً فمات صغيراً ، فأعقبه في ولاية العهد الابن الثاني امنحتب الذي حكم مصر بعد أبيه باسم امنحتب الرابع والذي غيره كما سنري إلي اخناتون كما نقل عاصمة ملكه من طيبة . «الأقصر بمحافظة قنا» إلي اخيتاتون (تل العمارنة الحالية بمحافظة المنيا) والذي دعا إلي دين جديد وفن جديد وسياسة جديدة .. فمن يكون هذا الإنسان ...؟!

هل كان مصلحاً ومغيرا لأفكار ومعتقدات حتي ليمكن أن يطلق عليه ما قاله المؤرخ برستيد أنه «الفرد الأول في التاريخ» .. أم هل كان ظاهرة فريدة في الزمان والمكان .. هل كان عظيماً من عظماء ملوك الفراعنة .. وأين كانت تكمن عظمته

... هل كان مجرماً احمقاً مجنوناً كما دعاه كهنة آمون ورجال الأديان التي أطاح بها وبشر بغير آلهتها ...؟!

واقع الأمر أن اخناتون لم يذكر عنه التاريخ انجازاً سياسياً أو حربياً يمكن أن يحسب له مجداً .. بل كان انتصاره علي الفكر والعقل ... وكان هذا الانجاز مكمن عظمته .. لم تكن مملكته هي مصر البلد شمالاً وجنوباً .. شرقا وغربا .. بل كانت مملكته هي الروح ودعوته هي الحق الذي طالما نادي بأنه يعيش فيه .. كان نبياً .. فيلسوفاً .

بدأ الحكم صغيراً في وقت كانت مصر في حاجة إلي بطل كبير .. إلي تحتمس ثالث أخر يحقق لها امتدادا لامبراطوريتها أو حتي بقاء لهذه الامبراطورية ولكن اخناتون لم يكن داعية حرب أو توسع استعماري بل حكم مصر كأول رسول للسلام في العالم .. ولم يكن من مستشاريه قواد أو عسكريون بل كان مستشاروه هم المريدين المؤمنين بفكره ... أمه تي .. وزوجته نفرتيتي .. وخاله أي .. وحور محب قائد جيوش مصر الذين يبدو أنه وقف إلي جانبه ليس اقتناعاً بدينه الجديد ولكن لأنه رأي أن الملك الضعيف أفضل من الكهنة الذين كانت قد قويت شوكتهم فأراد حورمحب أن يستفيد بما كانوا يحتكرونه من امتيازات كانت تفوق ما يحصل عليه العسكريون .

تبدأ الرواية عندما كانت احدي الفلاحات في بلدة مقابلة لدير مواس تنقل بعض السباخ فعثرت علي بعض قطع من الفخار علي شكل بلاطات صغيرة عليها كتابات غير مفهومة أطلق عليها فيما بعد اسم «رسائل العمارنة» وكان هذا الكشف في عام ١٨٧٧ ... وتناقلت الأيدي هذه القطع لفحصها وبحث ماهو مدون بها وقضي البعض بأنها قطع مزورة ورأي أخرون أنها كتابات لم تفك رموزها .. غاية الأمر أن هذا الكشف لفت الأنظار إلي هذه المنطقة فكان أول من ارتادها في عام ١٨٩١ الأثري بتري ومعه هوارد كارتر «الذي اكتشف عام ١٩٢٢ مقبرة توت عنخ آمون بالأقصر» وقد ازاح بتري وكارتر الرمال عن مدينة كاملة هي اخيتاتون مدينة الملك الذي نقدم أخباره غير أنهما لم يتابعا البحث والتنقيب في هذه المنطقة فقام بالبحث بعد ذلك أخرون سيأتي ذكرهم فيما بعد كل في حينه .. ثم توالت

البعثات الآثرية بالمنطقة ومع كل بعثة يماط اللثام عن جديد حتي اكتملت الصورة أو كادت .

ان مساحة ما نحن بصدده من تاريخ لا تزيد عن سبعة عشر عاماً هي مدة حكم اخناتون لمصر ،ولكن مدة قصيرة كهذه لا تكفي أن تحقق ثورة دينية علي ديانات وآلهة دامت لزمان يقرب من الألفي عام فضلاً عن أن لكل ثورة جذورها وليس من المعقول أو المنطق أن يأتي شاب صغير في مقتبل عمره مثل امنحتب الرابع «اخناتون» فيما بعد يأتي بدين جديد أو عقيدة جديدة دون أن يكون لذلك الدين وتلك العقيدة جذور عميقة في إعماق اخناتون أو في أغوار الفكر السائد في مصر فترة من الزمن تكفي لتقبل هذا الفكر وهذه العقيدة ... مما يجعلنا نتساءل..؟

هل كانت مدة حكم اخناتون سبعة عشر عاماً فقط .. وهي الثابت أنه حكم مصر فيها بمفرده أم أنه تولي الحكم مشاركاً لابيه امنحتب الثالث فترة من الزمن قبل وفاة الملك الاب .. اختلف المؤرخون في ذلك .. ورأي البعض أن الملك لم يشارك والده في الحكم مؤيدين رأيهم بأن أحد الملوك كان قد أرسل خطابا لتعزية الملك في والده وطالباً منه أن يسير علي خطي الملك الراحل في علاقاته معه قائلاً «ان والدتك الملكة العظيمة «تي» تعلم جيدا بالعلاقات الطيبة التي كانت بيني وبين ابيك» ويرون أن هذا دليل علي أن الملك الجديد لو كان قد شارك والده في الحكم لما كان صاحب الخطاب في حاجة إلي الاستشهاد بالملكة «تي» في هذه الشأن .

أما القائلون بأن الملك شارك والده في الحكم فأنهم وان كانوا يختلفون في المدة الذي شارك فيها اخناتون والده في الحكم إلا أنهم يتفقون علي أن شواهد كثيرة مدونة علي جدران مقابر بعض رجال عهد الملك الراحل تشير إلي هذه المشاركة التي مكنته من ان يدس انفه علي الأقل فيما يجري في المعابد من ازدياد لسلطان الكهنة وثرواتهم مما اوغر صدره وملأه بالرغبة في الاطاحة بهم وكسر شوكتهم .. فضلاً عن أن التوسع الاستعماري المصري خلال الأسرة الثامنة عشرة في العالم الخارجي قد اتي بفكر جديد مفاده وجود إله عالمي يحيط بالدنيا قاطبه .. ولم يكن هذا الإله في تقديرهم غير الشمس التي تلف الدنيا بأسرها ... كما أن القصر وقد كان مليئاً بالزوجات الآسيويات والمحظيات والوصيفات من بابل وآشور وسوريا وبلاد الحيثيين

... فقد راجت فيه ديانات البلاد التي آتين منها وأفكارها ومعتقداتها مما كان له الآثر الكبير في فكر اخناتون الذي كانت تزوده أمه بجرعات من الحقد علي كهنة آمون وقد كانوا مرة في حياة أبيه قد رفضوا ان تشارك الملكة في مهرجان للآلهة «موت» علي البحيرة المقدسة في الكرنك مما اوغر صدرها ضدهم ومما حدا بزوجها امنحتب الثالث إلي أن يقيم لها بركة واسعة في البر الغربي في مدة أسبوعين ليسبح علي هذه البركة قاربهما التي اسمته إمعاناً في الكيد لكهنة آمون «آتون المتوهج» وهذا يقطع بأن فكرة المعبود آتون كانت قائمة قبل ولاية اخناتون للحكم ولم تكن بالجديدة .

وإذا كانت الأم مدرسة للابن تلقنه ما أمنت به من عقيدة ..فقد كانت الزوجة ملهمة ورفيقة .. فقد ازرت نفرتيتي زوجها في كل فكر بشر به ووقفت إلي جانب دعوته إلي أبعد مدي .. وبدأ في مصر عهد جديد كشف النقاب عنه ما قدمته مدينة العمارنة من معلومات عن الدين الجديد الذي بشر به أخناتون وعن الأفكار السامية التي كانت مجال أبحاث شتي قدمها علماء الآثار للناس كما قدمت هذه المدينة طرزا من البناء وأساليباً للحياة اليومية والعائلية في ذلك المجتمع الجديد وتطوراً في الفنون كان موضوع مجلدات ان كانت قد شملت الكثير مما حدث في عهد أخناتون إلا أنها لم تحيطنا علماً بكل ما جري من أحداث وأفكار واختلف الأثريون في تقييم هذه الحقبة من تاريخ مصر فمنهم من اعتبرها نكسة منيت بها البلاد ومنهم من رأي في الرجل مثلاً لمصلح لم يسبقه في الفكر احد ..

اخناتون



لوحة لاخناتون ونفرتيتي

كانت عروس المدائن «طيبة» عاصمة مصر .. سيدة بلاد الدنيا بأسرها أيام الأمجاد ملوك الأسرة الثامنة عشرة ... لا تنازعها مدينة في مصر أو غير مصر هذه المكانة .. فقد كانت «طيبة» (الأقصر) هي الدرة الفريدة .. وكان إله طيبة «آمون» هو كبير آلهة مصر .. أقيمت له المعابد ليذكر فيها اسمه .. وارتفعت راياته خفاقة فوق أساطين مداخل هذه المعابد ..

وكان السفراء ووفود البلاد يردونها من كل حدب يقدمون فروض الطاعة والولاء للملك مولي كل البلاد والعباد ابن الإله آمون ..

كما اكتظت شوارعها بالناس من كل جنس إذ كانت المراكب الضخمة تحمل من النوبة وبلاد كوش في الجنوب الذهب والعاج والأبنوس والبخور وريش النعام والعبيد والفهود ومن الشمال كانت بلاد الامبراطورية وبابل وآشور وفينيقيا تأتي سفنها محملة بالبضائع للتجارة وبالهدايا والجزية للملك .

عم الرخاء المدينة وعلي مدي ما يقرب من قرنين من الزمان دام هذا الحال إلي ان كان يوم من عام ١٣٧٠ ق.م. اقلع فيه من طيبة موكب نهري عظيم يضم القارب الملكي يعلوه شعار «آتون» ويحمل الملك اخناتون بعد ان تخلي عن اسم امنحتب الرابع ترافقه زوجته نفرتيتي وبناته الثلاث وقتذاك .. وخاله ومستشاره «أي» ووزيره «رعموزه» وآخرون من مريديه الأوفياء قاصدين شمال الوادي .

فقد قرر الملك أن يهجر مدينة طيبة إلي الأبد وان لايذكر اسمها أو اسم إلهها أمون في سائر أنحاء مصر كما أمر بأن يمحي اسم هذا الإله من كل مكان ، حتي اسم ابيه امنحتب لم ينج من هذا القرار ، كما أن كل مصري كان يسمي باسم آمون كأسماء عبد آمون أو حبيب آمون أو آمون راضي كان عليه ان يغير اسمه حتي لا ينطق لسان من أرض مصر بكلمة آمون ..

كانت ثورة خطط لها واعد علي مدي الستة أعوام الأولي من حكمه منفرداً بعد أبيه وعلي مدي أعوام أخري قبل ذلك فقد تلقي كما أسلفنا القول جرعات الحقد علي آمون وكهنته من امه «تي» كما أنه في صباه كان قد تلقي علوماً في الدين وعبادة الشمس علي يد كهنة هليوبوليس بالقرب من منف وقد كان هؤلاء

أيضاً ينظرون بعين الحسد إلي ما وصل إليه كهنة آمون في طيبة من نفوذ وسطوة وتأثير وحظوة لدي ملوك الأسرة الثامنة عشر .

كانت ثورة اعد وخطط لها فأرسل منذ بداية عهده بالحكم إلي منطقة العمارنة مهندسيه وعماله ومثاليه ونحاتيه لبناء المعابد لإلهة الجديد «آتون» والقصور لاقامته وعائلته وكبار رجاله وامه الملكة «تي» ... كما أمر ببناء المساكن لحاشيته ... وحتي المقابر أمر ببنائها في الجبل الشرقي حتي يقطع كل صلة بطيبة ومن فيها سواء في الحياة أو بعد الموت .

وهكذا عندما وصل الموكب الملكي إلي العمارنة «اخيتاتون» كان كل شيء قد أعد .. وإذ رسم الملك ان يصل موكبه عند شروق قرص الشمس «آتون» فقد أدي صلواته وأناشيده وشعائره لإلهة الجديد الذي حارب الدنيا من أجله .

لم يقف في وجه الملك أحد .. فالملك هو الملك .. واخناتون سليل العظام من الملوك .. لم يرفع كاهن واحد من العشرين الف كاهن من كهنة آمون في طيبة صوتاً معارضاً لاخناتون ... وقد ساعده في ذلك ان وزير أبيه رعموزه تولي الوزارة في عهده وآزره حتي أنه برغم القرارات التي أصدرها الملك بإغلاق كل معابد آمون ومصادرة أملاكها جميعاً فإنه لم تظهر بادرة عصيان واحدة .. بل لزم الجميع الصمت والطاعة ..

وبقي من بقي في طيبة وغادرها من لم يطق البقاء حتي أصبحت المدينة كمدينة للأشباح تماماً كوادي الملوك في البر الغربي حيث مقابر الملوك والملكات والنبلاء ..

واستقرت الأمور لاخناتون .. أو هكذا بدا له ..

حدد الملك عاصمته الجديدة «اخيتاتون» ومعناها «أفق آتون» حددها بلوحات عديدة اقامها في الشمال والجنوب والشرق والغرب .. وقد بقي من لوحات الحدود هذه أربعة عشر لوحة أحداها تبلغ من الطول أكثر من سبعة أمتار والعاصمة «اخيتاتون» المدينة الجديدة في كل شيء ، وفق هذه الحدود تبلغ حوالي ثمانية أميال من الجنوب إلي الشمال وبين ١٢ - ١٨ ميلاً من الشرق إلي الغرب .

علي احد لوحات الحدود كتب اخناتون الإعلان التالي :

«في هذا اليوم ... في عربة من المعدن الثمين لاح الملك اخناتون مثل آتون عندما يشرق في الأفق ... وملأ الدنيا بالود والمحبة .. بأمر أبيه أقام الملك مدينة اخيتاتون لتدوم إلي الأبد ولتقام فيها شعائر العبادة للإله الواحد آتون .. وقد قدم الملك التقدمات للإله من الخبز والعجول والماشية والطيور والنبيذ والجعة والذهب والبخور والزهور اليانعة .. في هذا اليوم اتم الملك إنشاء المدينة واقسم ان لا يغادر حدودها طوال عمره رفع الملك يده إلي السماء واقسم ... واشهد أنه أقام معبدا لإلهه آتون .

كما أمر الملك بأن تقام له مقبرة في الجبل الشرقي ولزوجته نفرتيتي حتي إذا ما لحقا بالههما آتون في كبد السماء ، يدفنا علي مقربة من معبده .

من الطريف أن لوحة من لوحات الحدود توجد في بلدة الأشمونين القريبة من ملوي بمحافظة المنيا وهذه اللوحة برغم أن الكتابات المدونة عليها تشير إلي حدود مدينة اخيتاتون وسنة اقامتها .. كما أن الرسوم الموجودة عليها هي للملك اخناتون وزوجته وبناته . إلا ان العامة في هذه القرية يتصورون أنه لكثرة ما رسم علي اللوحة من أولاد فإن اللوحة تساعد النساء اللاتي يتأخرن في الحمل علي سرعة الحمل والانجاب .. ولذا فإن نساء هذه القرية وما يجاورها من قري يلجأن إلي زيارة هذه اللوحة والتبرك بها طلباً للحمل والولادة .

بعض اللوحات واضح بها أن مدينة اخيتاتون تم الانتهاء من انشائها في العام الثامن من حكم الملك اخناتون بحيث ان كافة الإدارات والهيئات كانت قادرة علي تسيير دفة الأمور المالية والسياسية داخلياً وخارجياً كما أنه توجد لوحات يظهر فيها الملك في استقبال بعض الوفود من الخارج وبعض حكام البلاد التي كانت تتبع الإمبراطورية المصرية ، والذين قدموا لاحضار الهدايا وتقديم فروض الولاء .

وقد كانت تشق المدينة عدة طرق من الشمال إلي الجنوب وأهمها الطريق الرئيسي ويسمي طريق الملك وقد كان يوازي نهر النيل وفي القصر الملكي الذي به شرفة كان الملك يطل منها علي رعاياه ويمطرهم بوابل من هداياه الذهبية كما كان

يستعرض منها المسيرات التي كانت تمر بالقصر مشيدة بانجازات الملك ..

هذا وقد كانت طقوس العبادة تقام عند مشرق الشمس وعند مغيبها وكان الملك يشارك مع الملكة والأميرات والوزراء والكهنة ، رفع الصلوات إلي آلهة الشمس.

اهتم الملك بشئون الدين أكثر من اهتمامه بشئون الدنيا والبلد .. حتي أنه أهمل الشئون العسكرية إهمالا كان من نتيجته ان ضاعت أغلب البلاد التي كانت تخضع لحكم مصر .. وقد كان اغراقه في التأملات الدينية مدعاة إلي انكاره لاستعمال القوة حفاظاً علي بلد أو درءا لخطر .. فقد كان دينه السلام لا الحرب .

ولم تجد معه نصائح قواده في الجيش وكان علي رأسهم حورمحب حتي امه الملكة «تي» التي كانت قد تمرست في شئون العلاقات الخارجية منذ أيام زوجها امنحتب لم يستمع لنصحها خصوصاً وأنها وبرغم ما أنشأ لها من بناية فخمة في اخيتاتون ... قد رفضت ان تترك طيبة التي كانت تحس فيها بمكانتها كزوجة ملكية ... حتي أنها لم تقم إلا بزيارة وحيدة لمدينة اخيتاتون عاصمة ملك ابنها اخناتون .

كما أن الملك لم يعط اذناً صاغياً واعية لحكام الاقاليم التي كانت تحت إمرة مصر من فينيقيا وسوريا فقد استنجد هؤلاء الحكام بالملك طالبين ان يرسل لهم قوات لحفظ هذه الولايات في قبضة مصر وقد قال أحدهم في رسالة للملك بأنه إذا لم يسرع الملك بارسال قوات له فإن أملاك مصر في آسيا ستتعرض للضياع .. وقد كان .

غرق الملك في تأملاته .. وهام في إلهة الجديد .. إله العالم كله وكانت تلك نقطة الضعف في الملك التي اطاحت به وبدينه الجديد .

دعوة اخناتون



أراد اخناتون أن يقدم لكل الناس - ليس في مصر فحسب - بل في العالم اجمع دينا يعتنقونه .. وان يخرج بهذا الدين من محيط مصر إلي مجال أوسع .. وأن يؤمن الناس بأن آتون هو إله الجميع الذي يشمل في رحابه العالم كله .. ولعل خير ما يؤكد هذه الإرادة لوحة من لوحات الحدود التي وضعها علي مشارف مدينته «اخيتاتون».

(تل العمارنة) تقول هذه اللوحة :

«كل الأراضي وأهل بحر ايجه (اليونان) يحملون له الجزية» «ويتوجهون إلي خالقهم آتون» «الذي يحيي البشر جميعاً باشعته».

لم يكن من اليسير علي عامة شعب اخناتون أن يؤمنوا بدينه الجديد .. فقد كان المصري منذ الدولة القديمة يؤمن بآلهة عديدة عبدها جيلاً بعد جيل .. فضلا عن ان هذا الشعب يختلف عن غيره من شعوب الأرض من حيث عنايته البالغة التي يوليها لحياة أفراده بعد الموت ... ولذلك فقد كان يؤمن إيماناً يقينياً بإله الموتي «اوزيريس» .. إله العالم السفلي .. بل كان أقصي ما ينشده المصري أن يجد له مكانا في ابيدوس (العرابة المدفونة) المقر المقدس للإله اوزيريس ليدفن في هذا المكان ويصبح رعية من رعايا اوزيريس ... فالمصري كان جل مراده ان يكسب الحياة الأخري التي ما كان ليحققها ويضمن له مكانا متميزاً بين الموتي في الحياة الأخري إلا اوزيريس .. بل حتي الغرب الذي كان المصري ينظر إليه كمكان مفضل مخصص لموتاه .. غيره اخناتون إلي الشرق لأن الشرق عنده هو المكان المقدس الذي يشرق منه الإله ولذلك فقد أمر بنحت مقابره ومقابر رجاله في الجبل الشرقي الذي يحد مدينة تل العمارنة وذلك خروجاً علي التقاليد المصرية القديمة .. كل ما سبق جعل من العسير علي المصري العادي البسيط ان يترك ديانة استقرت في وجدانه وشعائر مارسها قروناً طويلة .. إلي دين جديد اعتنقه وبشر به شاب حدث مثل اخناتون .. فضلاً عن ان هذا الفكر اختص به اخناتون نفسه ومن حوله من حاشيته بحيث أن وصوله إلي العامة أو اقناعهم به كان ضرباً من الخيال أو المحال ... فالفجوة واسعة بين القمة في القصر والقاعدة في الكوخ .. كما أن فكر اخناتون ودينه كان

يحتاج إلي قرون ليستقر في اذهان الناس ... ولذلك فإن هذا الدين لم يجد من يعتنقه إلا الخاصة من رجال البلاط والحاشية .. ولأن الأمور كانت كذلك فإنه ما كان لنا أن يصل لعلمنا محتوي هذا الدين لولا بعض سطور دونت علي جدران مقبرة «آي» في تل العمارنة تتضمن تراتيل كانت تنشد تقرباً للإله آتون .. فقد كان «آي» من أكثر المقربين للملك سواء لصلة القربي (فقد كان خاله) أو لصلة النسب (فقد كان والد زوجته نفرتيتي) أو لأنه كان من أشد المتحمسين لدين آتون ولذلك فإن الملك سمح له وحده دون غيره بأن يدون نشيد آتون علي جدران مقبرته التي شيدها في تل العمارنة والتي لم يدفن بها لأنه بني بعد ذلك له مقبرة ملكية في وادي الملوك دفن بها لأنه كان قد تولي عرش مصر بعد وفاة الملك توت عنخ آمون كما سيجيء الحديث بعد .

علي جدران مقبرة «آي» في تل العمارنة نجد «آي» وزوجته راكعين يرتلون أنشودة آتون التي تفتح لنا الطريق إلي معرفة أعماق هذا الدين الجديد كما كانت هذه الأنشودة تعبر بحق وصدق عن شاعرية وإحساس فياض بقدرة الشمس .. واهبة الحياة .. في مشرقها وفي مغيبها ..

يبدأ النشيد بالكلام عن بهاء وقوة آتون فيقول :

- تشرق جميلاً في أفق السماء .
- يا آتون الحي يا أول الحياة .
- عندما تظهر في الأفق الشرقي .
- فإنك تملأ الأرض ببهائك .
- ....
- ....
- انك إله يدين الجميع بحبك .

وعن الليل يقول النشيد

- عندما تغيب في غرب السماء .

- تصبح الأرض في ظلام كسواد الموت .
- ....
- عندئذ تخرج السباع من عرينها .
- والأفاعي لتلدغ في الظلام .
- إذ العالم في سكون .

وعن النهار والناس والبهائم والنبات يقول :

- براقة تصبح الأرض عندما تشرق .
- عندما تتوهج كآتون في النهار .
- وانت تطرد جحافل الظلام باشعتك .
- عندئذ يستيقظ الناس لأداء أعمالهم .
- وتخرج الماشية للرعي .
- والطيور تصفق باجنحتها في الأحراش .
- وعن الماء يقول النشيد :
- تطفو المراكب علي صفحة الماء نازلة صاعدة .
- تفتح الطرق عندما تشرق .
- فيقفز السمك لاهياً فوق صفحة الماء التي تغمرها اشعتك .

وعن الخالق والخليقة والناس .

- يا خالقا نطفة الرجال .
- يا معطيا الحياة للجنين في أحشاء النساء .
- ....
- انك المعطي الوهاب .

- ما أعظم أعمالك .

- وما أكثر ما خفي علينا منها .

- أنت أيها الواحد الذي لاشبيه لك .

كما تحدث النشيد عن الفصول والمياه التي تزود الأرض بالحياة وفي النهاية يتحدث الملك اخناتون إلي الإله فيقول :

- أنت في قلبي .

- لا احد يعرفك غير ابنك اخناتون .

- لقد خلقته حكيما .

- صنعت الدنيا بيديك ...

وخلقت الناس بمشيئتك .

- إذا ما أشرقت عاشوا لأنك أنت الحياة .

- أنت الذي خلقت الناس لأجل ابنك .

- الذي ولد من صلبك ... ملك مصر العليا والسفلي .

- الذي يعيش في الحق .. اخناتون .

- مع زوجته الملكة العظيمة ... محبوبته .. نفرتيتي .

سيدة الأرضين «نفرنفرو آتون» التي تحيا إلي الأبد .

كانت هذه مقتطفات من نشيد صاغه الملك لإلهة آتون تعبر عن مشاعر فياضة وإيمان راسخ بآله قوي قادر آمن به وعاش له حتي نهاية عمره ..

ان المتأمل لهذا النشيد ليجد بعض ما ورد به يطابق آيات عديدة من سفر المزاميرَ الاصحاح ١٠٤ وهي علي سبيل المثال من عدد ٢٠ - عدد ٢٦ . «تجعل ظلمة فيصير ليل فيه يدب كل حيوان الوعر ، الأشبال تزمجر ولتلتمس من الله طعامها ، تشرق الشمس فتجتمع وفي مآويها تربض ، الإنسان يخرج إلي عمله

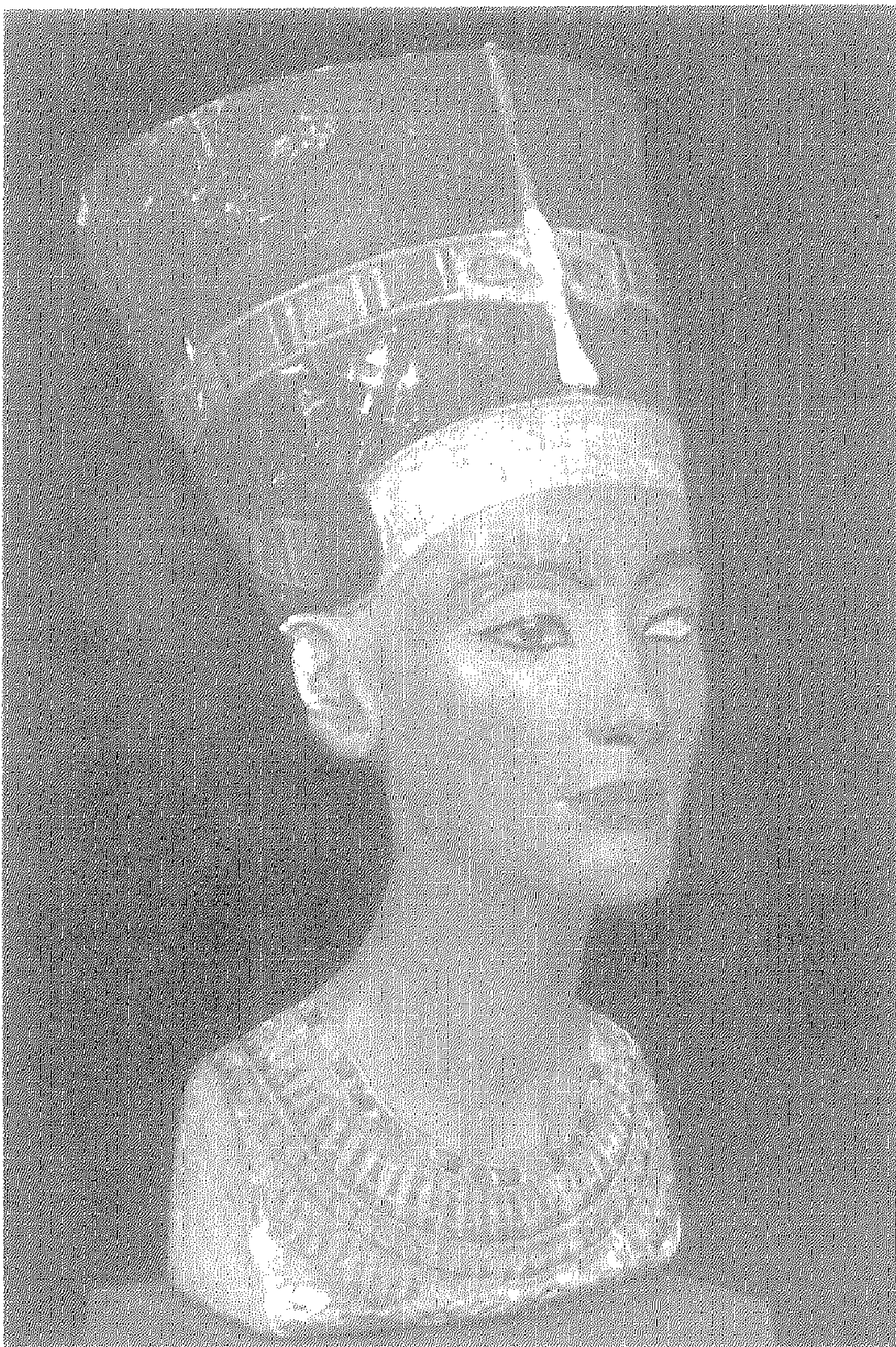
وإلي شغله إلي السماء ، ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت ، ملأت الأرض من غناك ، هذا البحر الواسع الأطراف ، هناك دبابات بلا عدد صغار حيوان مع كبار، هناك تجري السفن لوياثان هذا خلقته ليلعب فيه .. ولوياثان هذا حيوان مائي .

وبرغم ان داود النبي صاحب المزامير عاش في القرن العاشر قبل الميلاد وان اخناتون عاش في القرن الرابع عشر فقد دار جدل كبير حول هذا الموضوع فمن قائل ان صاحب المزامير استلهم بعض هذه النصوص من النشيد وهو أمر مرفوض .. مرفوض . لأن المزامير وحي إلهي فوق مستوي الجدل ومن قائل ان اخناتون استقي فكره من الفكر اليهودي الذي دخل مصر مع دخول العبرانيين واليهود لها بدءاً بإبراهيم ثم يوسف الصديق ... ومن قائل ان جدة اخناتون لابيه ، الآسيوية «موت ام اويا» زوجة تحتمس الرابع قد تكون اتت معها بعقائد عبرانية يهودية ويضيفون إلي ذلك احتمال ان تكون الزوجة نفرتيتي والام تي قد اتيا من ذلك الفرع الآسيوي ، فأثروا بفكرهم وعقائدهم علي فكر اخناتون أو ان اشراقة مضيئة أضاءت قلبه فكتب ما كتب حبا في آلهة الواحد .

غاية الأمر أن هذا الرجل تناولته اقلام الكثيرين من الكتاب كما سبق أن ذكرنا بعضهم مادح يضع فوق رأسه هالات من الاطراء تصل به إلي مستوي أصحاب الرسالات والبعض قادح يرميه بل يرجمه بما يصل به إلي حد الجنون والسفه بل وحتي الشذوذ .

دامت اقامة هذا الملك في مدينته الجديدة اخيتاتون مدة تقرب من أثني عشر عاماً لم يغادرها إلي أي مكان آخر وكانت ترافقه زوجته نفرتيتي المحبوبة لديه وان كانت قد سرت شائعات بأنهما افترقا بأسباب اختلاف في الرأي أو في السلوك وبرغم ما نجد من لوحات علي جدران معابد بتل العمارنة توحي بحياة زوجية عائلية مستقرة بين اخناتون ونفرتيتي فإن التاريخ يذكر لنا الكثير مما يخالف ما نراه علي الجدران .

الدولة الحديثة
اخناتون ونفرتيتى



رأس الملكة نفرتيتي

ان كانت قد طالت وقفتنا في تل العمارنة .. مدينة اخناتون .. فعذرنا ان هذا المكان تحيط به الكثير من أخبار الماضي والحاضر .. بل حتي ذكريات من شغفوا بتاريخ مصر العريق ومنهم كاتب هذه السطور إذ كانت هذه المدينة أول مكان أثري زاره في طفولته عندما كان تلميذاً بالمدارس الابتدائية ... ولأنها علي الأرجح مدينة تقرب من بلدته وموطن نشأته .. ولأنها علي وجه اليقين هي التي غرست في وجدانه حب ذلك التاريخ الموغل في القدم والأصالة .

علي أرض هذه المدينة قامت ديانة هي الأولي في تاريخ البشرية .. تبشر بوحدانية الآله ويبشر بها ملك .. وعلي أرض هذه المدينة لم يقدر لهذه الديانة ان تستمر لأكثر من سبعة عشر عاماً هي مدة حكم اخناتون ... ومرد ذلك يرجع إلي أن الديانات لاتجد أرضا خصبة إلا في نفوس الطبقات الفقيرة فالمسيحية والإسلام ديانات خاطبت ومست قلوب الفقراء وهم السواد الأعظم ذلك لأنها انصفتهم من ظلم الأغنياء وجعلت الكل في حق الحياة سواء ، فاستقرت ودامت ودان لها الملوك والحكام وذلك علي عكس ديانة اخناتون التي لم تتصل إلا بالملك وحده ورجال قصره وحاشيته .

علي أرض هذه المدينة نادي الملك بالحق ... الحق في كل شيء لأنه كان الرجل الذي يعيش في الحقيقة .. هذه الحقيقة التي ما كانت لترضي أو تقر ما نسب لاخناتون من تهم لفقها له بعض المؤرخين الذين أرادوا أن يشوهوا وجه هذه الحقبة من التاريخ .. فالقدامي من المؤرخين طمسوا معالم كل انجاز أداه هذا الملك ونسبوا له كل نقيصه ارضاء لكهنة آمون الذين استتبت لهم الأمور بعد موت الملك حتي أنهم أطلقوا علي اخناتون لقب – مجرم اخيتاتون – كما أن الملوك الذين حكموا بعد هذا الملك محوا اسمه واسماء خلفائه من جداول ملوك مصر ونلاحظ هذا في جدول الملوك بمعبد ابيدوس (العرابة المدفونة) حتي المؤرخون من المحدثين لم يسلم منهم هذا الملك فقد اتهمه واحد منهم وهو من أصل يهودي بأنه كان علي علاقة آثمة بأمه مثله كمثل اوديب الملك في الأسطورة الأغريقية واتهمه آخر عندما لاحظ أنه يقبل أخاه «سمنخ كارع» الذي كان زوجاً لابنته أيضاً والذي شاركه فترة في الحكم، اتهمه بأنه

علي علاقة شاذة بأخيه وكلها اتهامات تأباها تقاليد مصر واخلاقها كما أنها أمور لم يرد ذكرها في تاريخ مصر المكتوب أو غير المكتوب وهكذا لم يسلم هذا الملك من السنة واتهامات الحاقدين .

علي أرض هذه المدينة أمر الملك بأن يتسم كل شيء فيها بالحق فأمر مثاليه ونحاتيه بأن يتوخوا الحقيقة في كل شيء . وبأن يرسموا الشيء علي حقيقته وإلا يخفوا أي عيب جسماني عند عمل تماثيلهم ... ولذلك فإننا نري للملك تماثيلاً تبدو فيها كل عيوبه الجسمية من تهدل في منطقة البطن وتورم في الأفخاذ واستطالة في شكل الوجه حتي ليبدو كوجه حصان ، إلي استطالة في مؤخر الجمجمة وهو مرض أصاب كل أبناء هذه الأسرة .

وعلي أرض هذه المدينة أمر الملك بأن يسود السلام الذي يبشر به آتون وبأن لا يرفع سلاح في وجه أحد ولذلك فإننا لا نجد في مدينة اخيتاتون لوحة لمعركة حربية أو رسوماً لصيد حيوان .

وعلي أرض هذه المدينة عاش اخناتون مع زوجته «نفرتيتي» ومعناه بالهيروغليفية «الجميلة اتت» وبناته الست حياة عائلية مستقرة نشاهد مناظرها علي لوحات تمثل الملك وقد جلست احدي بناته بجواره بينما تسلقت أخري علي كتفه وبجواره الملكة تحيط بها الباقيات كما نشاهد في لوحات أخري الملك والملكة يستقبلان سفراء الدول في مجلس مهيب ... بل حتي مناظر الحزن التي كانت ترتسم علي وجه اخناتون وزوجته وهما يقومان بمراسم دفن احدي بناتهما وقد ارتسم الآسي علي وجهيهما بينما وقفت خلفهما النائحات يبكين الأميرة الراحلة .●

برغم هذه الحياة المستقرة فإن بعض المؤرخين يؤكدون ان الملكة «نفرتيتي» تركت القصر في أواخر أيام الملك وعاشت في قصر ناء في أقصي المدينة وحدها بعيداً عن أخناتون لخلاف دب بينهما .. القادحون يردونه إلي أسباب ترجع إلي سلوك كليهما .. والمعتدلون يردونه إلي اختلاف في الرأي والعقيدة .. والتاريخ لم يكتب لنا شيئاً يفصل في القضية .

علي أرض هذه المدينة وفي عام ١٩٠٧ حصلت بعثة المانية علي امتياز بالحفر والتنقيب عن بعض الآثار ... وكان القانون وقتئذ يجيز لأي بعثة أثرية التنقيب بشرط ان تحصل مصر علي كل ما يعثر عليه ان كانت المقبرة المكتشفة لم يسبق سرقتها أو نهب شيء من محتوياتها أما غير ذلك من الاكتشافات فتقسم مناصفة بين البعثة ومصلحة الآثار . ومع مراعاة أن يحتفظ لمصر بالقطع النادرة الفريدة .. وكل ذلك يتم بإشراف إدارة الاثار المصرية التي كان يرأسها وحتي قيام ثورة يوليه ١٩٥٢ مديرون فرنسيون .. وبدءا من عام ١٩١١ عثر لودفيج بورخاردت الألماني علي حي كامل في تل العمارنة فيه منزل لقائد الجيش والوزير رعموزه ، ومنزل آخر للكاهن الأعلي «باور» ولكن كان أهم ما عثر عليه هو «اتيلييه» مرسم للمثال تحتمس الذي عثر فيه علي قطع فنية نادرة المثال من الأقنعة والتماثيل التي كان أهمها رأس الملكة نفرتيتي والذي يبلغ ارتفاعه ٥٠ سنتميترا وترتدي فيه الملكة التاج الأزرق الذي لم يسبق لملكة قبلها ان ارتدته .. كان هذا التمثال من الحجر الجيري المغطي بطبقة من الطلاء إلوانها سبعة هي الأزرق والأصفر والأحمر والأخضر والأبيض والأسود ولون بشرة الوجه .. وقد وضع المثال في مقلة العين حجراً مصقولا من الكوارتز بشكل العين ولو أن العين اليسري مفقودة ولم يعثر عليها حيث وجد التمثال .

وقد عرف اسم المثال تحتمس صاحب المرسم من قطعة من العاج وجدت في المرسم ومنقوش عليها اسمه وكان هذا المثال مختصا بعمل التماثيل واللوحات للقصر الملكي فهو الذي نفذ تماثيل الملك اخناتون .. وقد كان متأثراً بفكر الملك من حيث أن الحياة يجب أن تصور كما هي فقد كانت هذه هي الحقيقة «ماعت» التي يعيش فيها الملك وينادي بها .

كان هذا التمثال من أجمل القطع الفنية لجمال صنعته ولجمال صاحبته ويمثل اتجاها فريداً في الفن المصري القديم وقد شهد له بذلك بورخاردت في مذكراته ...

قامت الحرب العالمية الأولي عام ١٩١٤ ... ومضت أعوام وأعوام .. وفي عام ١٩٢٣ كشفت ألمانيا عن التمثال في ألمانيا أي بعد أن عثر عليه في تل العمارنة

بأحد عشر عاماً .. مما آثار زوبعة في مصر حول كيفية خروج هذه القطعة الفريدة النادرة إلي ألمانيا .. فإن هذا التمثال ما كانت مصر تسمح بخروجه منها لو أن البعثة الألمانية كانت قد أحاطت الحكومة المصرية به علماً .

يبدو أنه في عام ١٩١٢ أن بورخاردت وقد استهواه التمثال وسولت له نفسه سرقته غطاه بطبقة عازلة من القصدير ثم بطبقة من الجبس تظهره كقطعة من الحجر المشوه .. ثم ابلغ المدير الفرنسي وقتذاك «لاكو» بأنه لم يعثر في حفائره بتل العمارنة علي شيء يستحق التقدير مما دعا «لاكو» بأن يكتفي بارسال مساعد له للمعاينة .. وقد ورد في تقرير المساعد ان ما وجده في مناطق التنقيب عبارة عن عدة سلال بها بعض الفخار المهشم وقطع صغيرة من الحجر الجيري وأنه لذلك صرح بابحار هذه الأشياء الغير ذات بال إلي خارج البلاد .

طلبت مصر إعادة التمثال إلي مصر وابلغت ألمانيا أنها قررت عدم إعطاء أي امتياز للتنقيب بالحفر للبعثات الألمانية ما لم ترجع رأس الملكة إلي مصر ولكن ألمانيا رفضت ... كما رفضت وساطة تقضي بأن تعيد رأس التمثال إلي مصر مقابل أن تحصل من مصر علي تمثالين من تماثيل الدولة القديمة .. وتمسكت ببقاء الرأس في برلين مزاراً لمن يريد وكانت تضع أمام التمثال باقات الزهور .. حتي لقد قيل أن نفرتيتي كانت الآثيرة عند هتلر مستشار ألمانيا وقتذاك .

برغم ما نهب من مصر من الآثار .. فإن هذه الرأس بالذات كانت ولا زالت تمثل مرارة في فم مصلحة آثار مصر وغصة في حلقها . لروعة وجمال الآثر... حتي ان حظر امتيازالتنسيب عن الآثار بمعرفة البعثات الألمانية ظل قائماً حتي عام ١٩٦٠ وهو العام الذي طلبت فيه مصر مساهمة العالم كله ومعه ألمانيا في انقاذ آثار النوبة.

وجاءت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ... ولم تظهر الرأس في متحف برلين .. اختفت .. إلي أن عثر عليها فريق من الجنود الأمريكان عام ١٩٤٥ عقب هزيمة هتلر .. فقد وجدت محاطة بطبقة من الصوف الزجاجي داخل صندوق محكم ومخبأة في منجم .

وقد أعادت السلطات الأمريكية التمثال إلي برلين حيث أعيد إلي مكانه في متحفها .

تلك كانت قصة رأس الملكة التي بهرت .. مصر في حياتها والعالم كله بعد موتها .. الملكة نفرتيتي التي شاركت زوجها ثورة دينية وآمنت بما آمن به من عقيدة وشاركته أعباء الحكم .. ملكة . كما اخلصت له الود ..زوجة ورعت بناته .. أما ولكنها مع ذلك لم تسلم من ألسنة الكارهين ولا من طمع الطامعين .. هي نفرتيتي صاحبة أشهر رأس في التاريخ المعاصر .

اغتصاب آثار مصر

جيوفانى باتستا بلزونى



بلزوني في ثيابه العربية

لم تكن قصة سرقة رأس نفرتيتي التي كانت موضوع حديثنا السابق أول سرقة منيت بها آثار مصر ولا كان بورخاردت بطلها أول سارق للآثار .. بل لقد سبق ذلك سرقات ولصوص ،كأنما كانت مصر بالنسبة لهؤلاء وأولئك مغارة «الأربعين حرامي» التي عثر عليها «علي بابا» في قصص الف ليلة .. ولم يردع ضمائرهم ان مصر للمصريين وحدهم وان اثارها ملك حلال لهم دون غيرهم .. وبعد .. فلقد يجدر أن نوغل إلي الوراء قليلاً قرنين من الزمان لنتحدث عن مغامر آخر هو جيوفاني باتستا بلزوني الذي كانوا يصفونه بالمارد الإيطالي .. وجبار السيرك .. وهرقل الملاعب وبطل البرتغال وبريطانيا .. ذلك هو جيوفاني باتيستا بلزوني ..

العملاق الذي يصل طوله إلي ما يقرب من المترين .. المولود في بادوا Padua بشمال إيطاليا عام ١٧٧٨ ... كان أبوه يعمل حلاقاً في بلدته وقد نذرته أمه ليكون راهبا في دير أوكاهنا في كنيسة ... غير أنه - لأسباب سياسية - ترك البلاد هارباً إلي البرتغال ثم إلي انجلترا عام ١٨٠٣ حيث تزوج من «سارة» فتاة انجليزية ضخمة الجسم مثله .. ثم عمل في سيرك يستعرض قوته البدنية حتي أنهم اسموه شمشون الجبار عندما تمكن من رفع وحمل هرم بشري من عدة أشخاص علي مسرح هذا السيرك .

لم تعجبه الحياة في بريطانيا إذ كان طموحه أكبر من أن يعمل مهرجا في سيرك .. وإذ كانت لديه بعض المعلومات في الهندسة الميكانيكية فقد أوعز إليه بعض أصدقائه أن يذهب إلي مصر ويعرض علي واليها محمد علي الكبير فكرة ابدال آلات الري البدائية القديمة في حدائق قصره بشبرا .. بطلمبات ميكانيكية قوتها أربعة أضعاف قوة الآلات القديمة .. غير أن هذا العرض باء الفشل ... فقد عارض المصريون هذا المشروع بحجة أنه سيقطع أرزاق عمال الري .. فضلا عن ان اليد العاملة في مصر أرخص .

كان ذلك عام ١٨١٥ .. ولما رأي بلزوني أن الأبواب سدت أمامه مرة أخري .. هداه فكره أن يعرض خدماته علي قنصل انجلترا العام في مصر «هنري سولت»

وإذ كان هذا القنصل في حاجة ماسة إلي رجل قوي يتولي عملية نقل رأس تمثال رمسيس الثاني التي تزن عدة أطنان والتي كان الوالي محمد علي قد أهداها إلي ولي عهد انجلترا عندما كان في زيارة للأقصر .. فقد كلف بلزوني بهذا العمل الذي تولاه بنجاح ونقل هذه الكتلة الضخمة إلي ضفة النيل ثم تولي ابحارها شمالاً إلي الاسكندرية ثم إلي لندن .. مما أكسبه رضا القنصل ..

لم يكن هناك قانون ينظم البحث عن الآثار في ذلك الحين .. وأصبحت مصر أكبر مصدر للآثار في العالم . يرتادها اما فنانون هواة آثار .. أو تجار يبحثون عن كنوز الذهب .. أو علماء بهرتهم روعة الآثار ... وقام سباق محموم بين متاحف العالم لإمتلاك ما يمكن الحصول عليه من هذه النفائس .. حتي أن كل متحف كان يباهي غيره من المتاحف بما استحوذ عليه من آثار مصرية .

كان سولت قنصل انجلترا قد حصل علي تفويض بشراء الآثار لصالح المتحف البريطاني فاستعان ببلزوني لتسويق الآثار والبحث عنها ونقلها لاثراء متحف بلاده بكنوز مصر وآثارها .

اعجبت هذه المهمة بلزوني فكان يجمع لسولت كل شيء من أصغر الجعارين إلي أضخم التماثيل والمسلات .. حتي أنه في مرة سقطت منه مسلة في قاع نهر النيل عند نقلها من جزيرة فيله بأسوان .. لكنه تمكن من صيدها وانتشالها ثم اعادة نقلها .. وعلي ذكر هذه المسلة . نشير إلي معركة نهرية استعملت فيها الأسلحة النارية بين أحد اتباع «دروفتي» Drovetti قنصل فرنسا وبلزوني التابع لقنصل انجلترا بسبب هذه المسلة إذ كان قناصل الدول يتبارون في الحصول علي آثار مصر لبلادهم ولمتاحفها ولأنفسهم اقتناء واتجارا .. لكل ذلك أيضاً يلقب بلزوني بـ «جامع الاثار» .

في عام ١٨١٦ نقل بلزوني نشاطه من التسويق والاتجار إلي التنقيب والبحث .. فقد نجح في ذلك العام في ازالة الرمال عند مداخل معبد أبو سمبل الذي كان قد اكتشفه الآثري السويسري بورخاردت قبل ذلك بسنوات وان كانت رحلة بلزوني هذه إلي أبو سمبل لم تحقق له الحصول علي مجموعات أثرية للقنصل سولت إلا أنها

تعتبر حسنة تكتب له في سجل الأعمال الآثرية .

في عام ١٨١٧ اتجه إلي وادي الملوك في البر الغربي من الأقصر وكان قد سبقه إليه كثيرون منهم «ريتشارد بوكوك» الذي كتب وصفاً عن المنطقة في رحلته التي قام بها منذ ما يزيد علي السبعين عاماً ..

بدأ بلزوني نشاطه في وادي الملوك .. منطقة المقابر والجبانات إذ كانت المنطقة الشرقية من الأقصر وهي منطقة المعابد تقع في أيدي المنافسين من رجال قناصل الدول الأخري يحتكرون البحث فيها .. كانت أمجاد مصر غنائم يتقاسمها أوغاد البلاد ..

عثر بلزوني علي جبانة كاملة يمكن القول بأنها كانت تحوي رفات ومومياوات الكهنة الذين كانوا في حياتهم يتولون القيام بالمراسيم الدينية في الجبانة الملكية في البر الغربي للنيل .. ربما كانت هذه الجبانة تحوي مومياوات هولاء الكهنة وعائلاتهم لأجيال متلاحقة ..

وهنا لا نجد ما يعبر بدقةعن وصف هذه الجبانة إلا ما سطره بلزوني بنفسه في مذكراته التي حررها سنة ١٨٢٠ قال :

«كان الممر إلي الجبانة منحوتا في الصخر وعندما دخلت تساقطت الرمال من الأسقف بحيث لم تترك فراغاً لموضع قدم .. اضافة إلي الكمية الهائلة من الأتربة التي حولت المكان إلي جو خانق يحتاج معه الإنسان إلي رئة قوية تحتمل هذا الغبار مع رائحة المومياوات النفاذة .. كان التنقل بين هذه المومياوات يتم زحفاً علي الأرض .. وكانت تحيط بي من كل جانب أكوام منها كانت تملؤني بالذعر إلي أن اعتدت علي رؤيتها في الضوء الخافت .. كل الأشياء حولي كانت كأنما تتحدث همساً إلي بعضها البعض وكان العمال الذين رافقوني داخل الجبانة شبه عرايا من شدة الحرارة وعندما كانت أضواء الشموع والمشاعل تتراقص بين أيديهم كنت اتصور أنهم مومياوات حية تحيط بي ... مئات الأمتار قطعتها طولاً وعرضاً في هذه الجبانة زمناً إلي أن وصلت إلي مكان خلت أنني استطيع فيه الجلوس ولما جلست تهاوت تحتي

مومياوات لم تحتمل ثقل بدني وتساقطت فوق رأسي عظام سيقان وارجل وجماجم مثيرة غباراً شلني لأكثر من ربع ساعة. كهوف وكهوف .. وممرات عديدة دخلتها وكان قصدي نهب البرديات التي كانت محفوظة داخل صدور المومياوات أو بين طيات اللفائف التي كانت تحيط بها .. حصلت علي الكثير منها مما آثار حقد أهالي المنطقة علي .. لأنهم كانوا يسرقون منها ويقومون ببيعها في سوق الانتيكات بالأقصر ..

لم يتبع بلزوني أسلوباً علمياً في الكشف عن الآثار وارتياد المقابر ولذلك فإنه لكي يدخل إلي جبانة الكهنة التي روي لنا قصتها فقد حطم مدخلها بجذع شجرة ضخمة حتي يجد منفذا إليها .. لقد كان أسلوبه في هذا أسلوباً همجياً مارسه كثيراً حتي أن احد الآثريين المحدثين قال أنه لو أن بلزوني استعمل هذه الوسائل في أيامنا هذه لوقف شعر رؤوس جميع علماء الآثار هلعاً وذعراً ..

يشفع لهذا الرجل أنه أول من اكتشف معبد إدفو أجمل معابد مصر وازاح التراب الذي كان يدفنه .. ومعبد فيله في أسوان وأيضاً بلدة برنيس علي البحر الأحمر وأنه بعد أن ترك مصر نهائياً كتب مجلدين في وصف مصر بعنوان حديث عن عمليات البحث والاكتشاف الحديثة للأهرام والمعابد والمقابر في مصر والنوبة.

أما عن قصته عن سيتي الأول من ملوك مصر العظام فمفادها أنه اكتشف مقبرة هذا الملك وهي من أكبر مقابر وادي الملوك حجماً وأجملها رسوماً ونقوشاً ولكن كان أجمل ما فيها تابوت الملك وقد كان قطعة واحدة من حجر الـ Argonite المرمري الأبيض تحيط به من الداخل والخارج نقوش رائعة .. لم يعثر بلزوني علي مومياء الملك داخل التابوت ولهذا الأمر قصة أخري سنرويها عند الحديث عن هذا الملك ولكن الذي يعنينا اليوم هو أن بلزوني استولي علي التابوت واتفق مع سولت القنصل العام الانجليزي كتابيا علي يقوما بنقله مع آثار أخري إلي لندن لبيعها وتضمن العقد شرطاً بموجبه أن يتقاسم بلزوني وسولت الثمن الذي يزيد علي الألفي جنيه ونقل التابوت إلي لندن ورفض المتحف البريطاني شراءه لأن الثمن الذي عرض به كان في رأيهم مبالغاً فيه فاشتراه أحد أثرياء لندن وهو «السير جون سون»

ووضعه في متحفه ».وكان الثمن ألفي جنيه .

الجدير بالتأمل هنا أن بلزوني لم يصب أي مغنم مما سرقه من مقبرة سيتي لأن سولت استأثر وحده بالألفي جنيه حسب شروط العقد .

لم يطل العمر كثيرا بهذا الرجل فقد ترك بريطانيا إلي جنوب أفريقيا في (بنين) حيث توفي هناك عام ١٨٢٣ عن ٤٥ عاماً .

كشف مقبرة الملك
توت عنخ آمون



الملك فؤاد وبعض رجال حاشيته وكارتر في افتتاح المقبرة

في يوم الخميس ٣٠ نوفمبر ١٩٢٢ صدرت جريدة التايمز اللندنية تحمل كعادتها عناوين بارزة ... منها زيارة الملكة ماري لمحلات هارودز الشهيرة في لندن ... ومنها إعلان عن عرض سينمائي للفيلم الصامت fascination ومنها خبر عن إستقالة رئيس وزراء مصر ... غير أن الخبر الذي آثار إنتباه العالم وشده كان إكتشاف الأثري البريطاني هوارد كارتر لمقبرة الملك توت عنخ آمون بعد أعوام واعوام من العمل المتواصل .. وطار الخبر شرقاً وغرباً ... وتوافد الناس الي مصر ليروا ما لم يسبق لأثري ان عثر علي مثيل أو نظير له ...

ولكن من أين نبدأ الرواية ... حادثان كان لهما أكبر الأثر في تشكيل فصولها .. الحادث الأول يبدأ في منطقة سقارة التي يطالعك ضمن روائعها «السيرابيوم» وهومقبرة واسعة للعجول المقدسة «أبيس» ويحتوي علي ٢٤ تابوتاً من حجر الجرانيت يزن الواحد منها ما يزيد علي السبعين طناً .. وقد كان «هوارد كارتر » مفتشاً لآثار مصرالوسطي وكان يتردد علي المنطقة ويقيم بعض الوقت في إستراحتها .. وفي أحد أيام عام ١٩٠٥ كان بعض السائحين الفرنسيين المخمورين يعربدون في المنطقة وارادوا دخول السيرابيوم وإقتحامه دون سداد رسوم الدخول المقررة فمنعهم خفير المنطقة المكلف بالحراسة وتحصيل رسوم تذاكر الدخول .. ،لما تعدي الفرنسيون علي الخفيرابلغ السيد كارتر بذلك التعدي فأفهمه بأن ينفذ القانون .. الا أن ذلك لم يعجب الفرنسيون الذين قامت مشاجرة بينهم وبين الخفير اسفرت عن إصابة واحد منهم .. ولما وصل الأمر إلي مسامع قنصل فرنسا العام إحتج لدي الجهات الرسمية طالباً أن يقدم المفتش المسئول إعتذاراً عما حدث ... كان وقتها جاستون ماسبيرو مديراً عاماً للآثار ورغبة في تهدئة النفوس طلب من كارتر الأعتذار لتسوية المشكلة إلا أن كارتر أصر علي أنه لم يخطئ ،قال إنه لا يمكن أن يعتذر عن عمل يحس إنه كان واجباً عليه أن يؤديه .. ولم يعتذر وقدم إستقالته .

ترك كارتر عمله وتوجه إلي الأقصر خاوي الوفاض حيث إستضافه أحمد قرقار ،كان صديقاً قديماً له وأحد رؤساء العمال الذين عملوا معه في وادي الملوك .. ثم بدأ في العمل كرسام لبعض اللوحات المائية وكان يبيعها للسائحين بأي ثمن لكي

يعيش ويجد ما يسد الرمق .

أما الحادثة الثانية فقد كان بطلها اللورد كارنرفون وقد كان من هواة قيادة السيارات التي كان يملك عدداً منها في فرنسا عندما كان تملك سيارة في بلده إنجلترا ممنوعاً ..

وذات يوم كان يقود سيارته من المانيا وبجواره سائقه الخاص قاصداً الريفييرا الفرنسية فإعترضته عربة يجرها ثور ... ،لما حاول تفاديها سقطت السيارة في منحدر طيني .. وقد نجا اللورد من الموت بإعجوبه بعدما أنقذه سائقه الذي لم يصب بسوء ..

غير أن هذه الحادثة تركت آثاراً قاسية سببت لكارنرفون الاماً في الرأس والرئتين لم تجد معها الجراحات المتكررة وقد نصح الأطباء اللورد بتمضية أيام الشتاء في مصر بعيداً عن قسوة الشتاء وبرودته ورطوبته في بلده إنجلترا ،التي قد تسبب له نزلات رئوية قد تودي بحياته ..

إستمع كارنرفون لنصح الأطباء وولي شطر مصر عام ١٩٠٣ وأمضي أول شتاء فيها .. وإذ احس بالفراغ نصحه اللورد كرومر المندوب السامي بمصر وقتذاك بأن يقضي وقته في البحث عن الآثار الأمر الذي لقي قبولاً عند كارنرفون فقد كان من محبي إقتناء العاديات والآثار وبدأ يجرب حظه في التنقيب في منطقة الأقصر ولكن لم يكتب له التوفيق مما دعاه أن يطلب النصح من ماسبيرو مدير الآثار المصرية الذي رشح له كارتر ذلك المفتش العنيد الذي آثر الإستقالة علي أن يعتذر للفرنسيين قائلاً أنه من الأثريين المجدين الذين يمكن الإعتماد عليهم خاصة وأن كارتر آحد تلاميذ الأثري الإنجليزي فنلدرز بتري .. وأرسل ماسبيرو في إستدعاء كارتر للقاء اللورد ..

وهكذا .. وفي عام ١٩٠٧ التقي الرجلان كارنرفون الذي أرغمه حادث السيارة علي الحضور إلي مصر للإستشفاء وكارتر الذي أرغمه حادث الفرنسيين علي الإستقالة والبطالة التقي الرجلان واتفقا علي أن يعمل كارتر في التنقيب ،علي أن

يمول كارنرفون عمليات التنقيب .. وقد إتفقا علي أن يتقاضي كارتر أجراً سنوياً قيمته أربعمائة جنيه إنجليزي وهو مبلغ يزيد بمقدار الثلث علي ما كان يتقاضاه عندما كان يعمل في التفتيش .

لكن الأمر لم يكن سهلاً كما يبدو فإتفاق الرجلين كان يلزمه الحصول علي إمتياز بالحفر والتنقيب من مصلحة الآثار المصرية تمنحه لشخص واحد في منطقة محددة وقد كان إمتياز الحفر ممنوحاً للأثري الأمريكي «تيودور دافيز » في منطقة وادي الملوك التي كان كارتر يرنو إلي التنقيب فيها لاعتقاده الذي يرقي الي مرتبة اليقين إن مقبرة الملك توت عنخ آمون لا زالت دفينة لم يكشف عنها بعد وأن ما يتصوره الأثري دافيز من أن الحجرة التي عثر عليها في الصخر والتي وجد بها بعض أدوات مدون عليها اسم توت عنخ آمون وزوجته عنخ سن آمون هي مقبرة توت عنخ آمون ما هي إلا وهم كبير لإنه ليس من المقبول أو المعقول أن ملكاً من ملوك الأسرة الثامنة عشرة العظيمة يدفن في حفرة صغيرة كهذه الحجرة .. ولكن من أين يحصل علي إمتياز الحفر والإمتياز ممنوح لدافيز .

في عام ١٩١٤ كان تيودور دافيز قد حرث منطقة وادي الملوك شبراً شبراً ... وتأكد لديه أنه من العبث أن يستمر في التنقيب وأعلن توقفه عن العمل وتنازل عن إمتياز الحفر .. وهكذا أصبح من الممكن أن يحصل كارنرفون وكارتر علي الإمتياز بعد إنتظار دام سبعة أعوام .. وعندما وقع ماسبيرو الإمتياز بالتنقيب قال لهما « إن المنطقة لم يبق فيها مكان لم يكتشف وأنه ليس من العقل أن تصرف أموال علي عملية مصيرها الفشل » .

وهنا يجدر بنا أن نذكر ما قرره عن هذه المنطقة قبل ذلك بما يقرب من قرن من الزمان .

في علم ١٨٢٠ أكد بلزوني في كتاب طبع له في لندن اسمه حديث عن العمليات والإكتشافات الحديثة قال :

« إن رأيي الأكيد أنه لا يوجد في بيبان الملوك « وادي الملوك » أي مقابر أخري

للملوك بخلاف ما هو معروف لأنني لم ادخر وسعاً في جهدي المتواضع إلا وبذلته لكشف مقبرة ولم أنجح » حتي أن سولت القنصل البريطاني عمل بمفرده بعد رحيل بلزوني لمدة اربع شهور فلم يعثر علي شئ .

من الجدير بالذكر هنا أن كارتر وقد كان من أشد المعجبين ببلزوني وباعماله. برغم ما أسلفنا عنه أنه اساء إلي الآثار آكثر مما افادها - نقول أن كارتر رغم إعجابه ببلزوني لم يوافقه فيما ذهب إليه من أن المنطقة لا يوجد بها شئ لم يكتشف ، بعد ذلك تبع بلزوني مستكشفون آخرون منهم الأثري الألماني لبسيوس الذي قلب الأرض رأساً علي عقب ولم يجد شيئاً .

وعلي مدي الأعوام لم يعثر علي أي أثر إلا خبيئة الأقصر في عام ١٨٨١ وابطالها أسرة عبد الرسول وداود باشا مدير قنا وماريت وبروكش ولهم قصة طويلة قد تستغرق حديثاً مستقلاً فيما بعد .

كل ما سبق لم يغير من فكر كارتر الذي رأي أن ما كتبه بلزوني ولبسيوس وغيرهم قد كذبته الإيام وإكتشفت مقابر كثيرة بعدهم وأنه لا شك أن الأيام ستكذب ظنونا أخري كظنون دافيز وماسبيرو .

وبدأ العمل .. وكان وئيدا بعض الشئ لنشوب الحرب العالمية الأولي سنة ١٩١٤.

كان علي كارتر - بناء علي أمر من مصلحة الآثار - أن يدع ممراً لدخول السائحين لمقبرة رمسيس السادس في منطقة التنقيب فبدأ الحفر بعيداً بعض الشئ عن هذه المقبرة .. لم يترك مكاناً لم ينقب فيه .. أزاح أكثر من مائتي الف طن من الرمال والأحجار ، فتش المنطقة شبراً شبراً .. حجراً حجراً علي مدي أعوام سبعة ... ،كان الفشل حليفه وإن كان ذلك لم يوهن من عزيمته أو يدخل اليأس إلي قلبه .. فقد كان كارتر العنيد علي ثقة من أن هناك مقبرة في وادي الملوك لم يكشف عنها بعد .. هي مقبرة توت عنخ آمون .

عمل كارتر مع كارنرفون علي مدي ما يقرب من الخمسة عشر عاماً لم

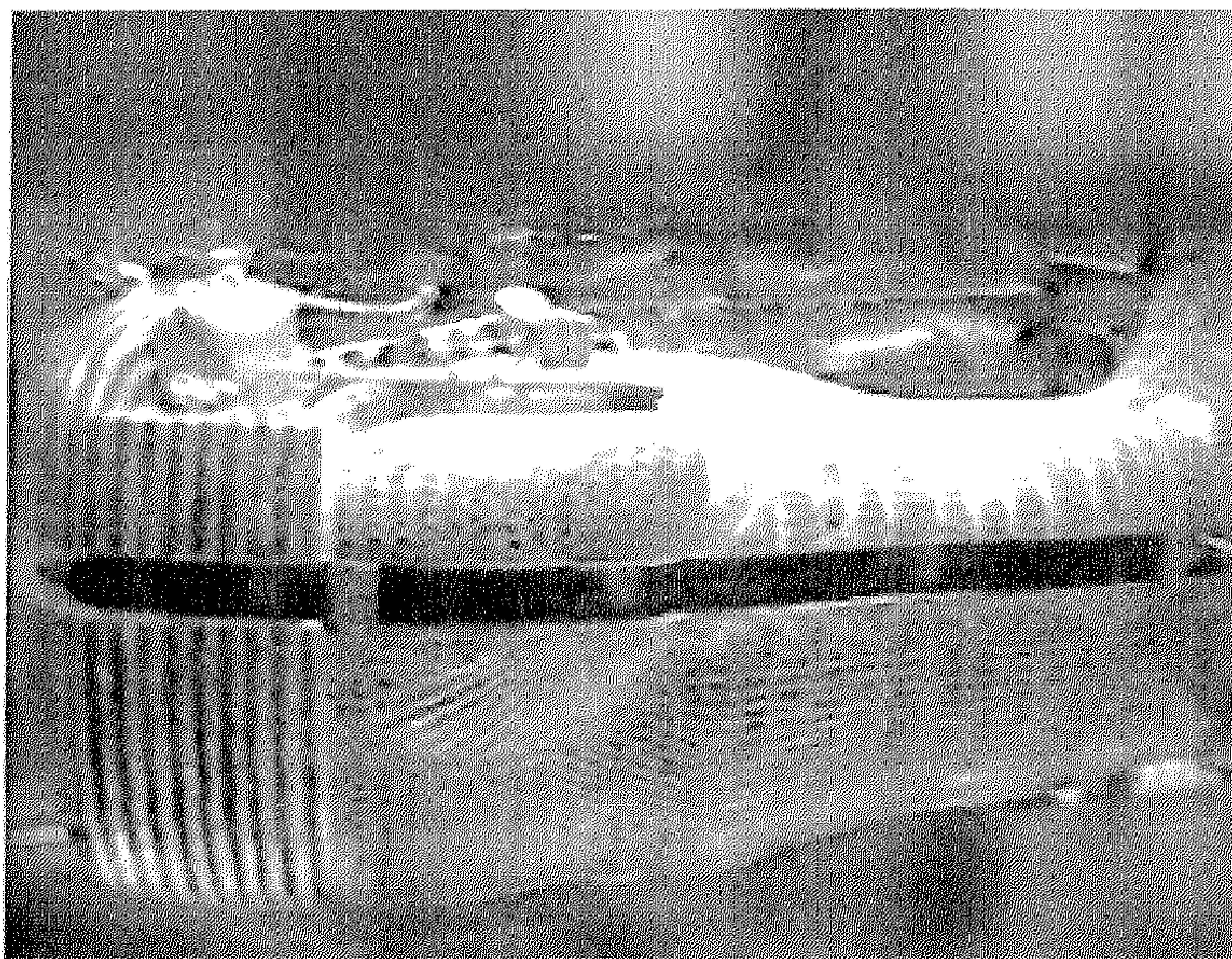
يحصد خلالها شيئاً يمكن أن يعوضه عما صرفه من أموال طوال هذه الأعوام .

وفي النهاية ابلغ كارنرفون كاتر بأنه لم يعد يمكنه دفع أي شئ لتغطية نفقات هذه الحفريات غير المجدية .

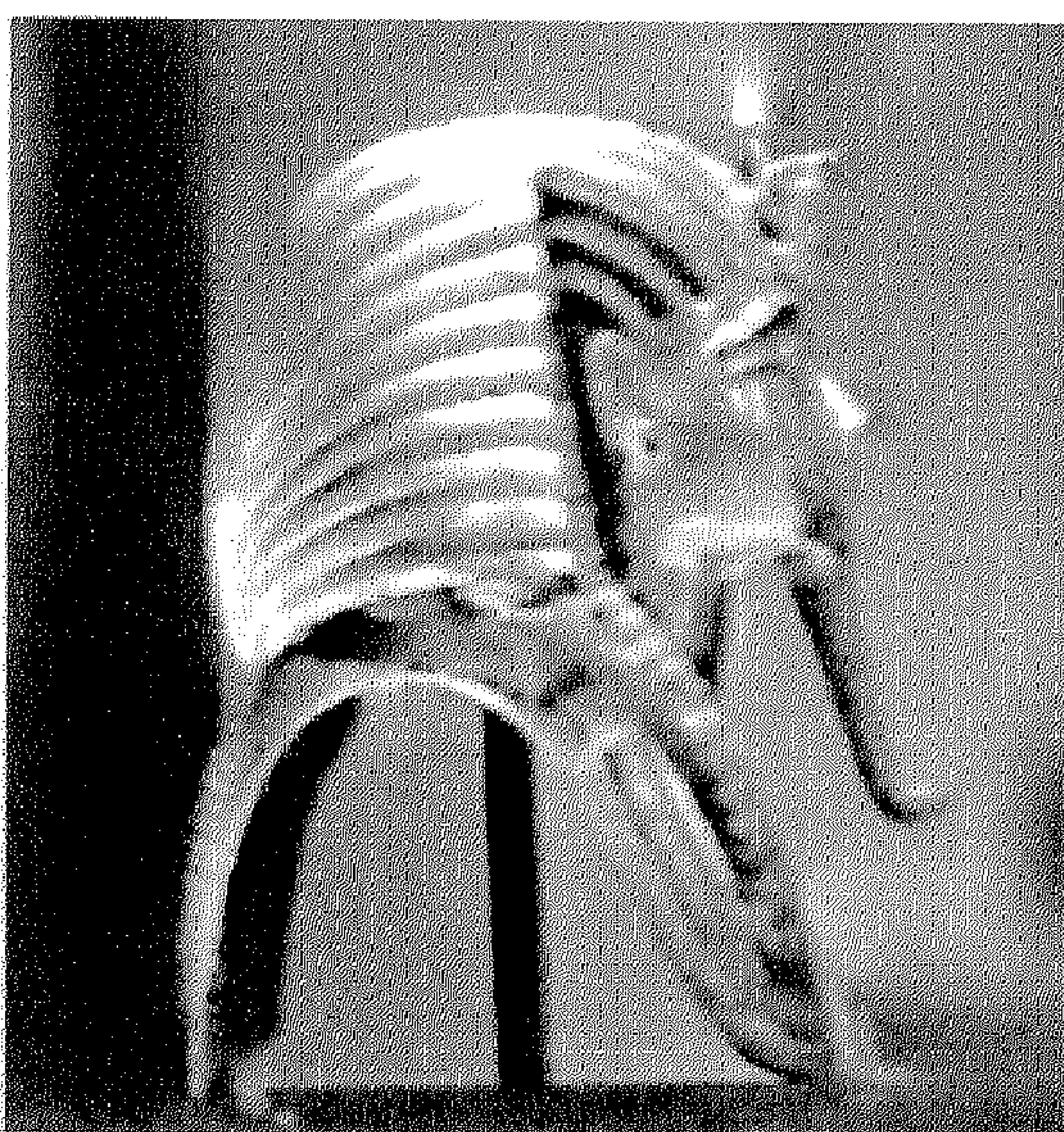
أسقط في يد كارتر .. ،لم يجد قولاً يرد به علي كارنرفون وفي النهاية طلب منه أن يمهله أياماً فلم يبق في المنطقة سوي بقعة صغيرةلم يتم التنقيب فيها وهي أسفل مدخل مقبرة رمسيس السادس وتغطيها بعض أحجار كانت عششا لبعض العمال في العهد القديم .. كما أن الإمتياز لم يبقي علي سريان مدته وقتاً طويلاً ..، سافر كارنرفون إلي لندن وبدأ كارتر التنقيب في آخر نقطة بحث ..

وفي يوم ٥ نوفمبر بدأ العمال الحفر أسفل مقبرة رمسيس السادس وإصطدم معول أحدهم بصخر مستو يمثل درجا ،أمر كارتر بالإستمرار في الحفر .. درجة أخري من السلم ثم درجة ثالثة حتي وصل إلي نهاية السلم المؤدي إلي باب مقبرة .. تأكد له إنها لم يسبق لأحد أن دخلها ... فأمر العمال بردم الدرج وإعادة الأرض وتسويتها كما كانت وأبرق إلي كارنرفون بالنبأ « عثرت علي مقبرة تامة .. أحضر حالا » ..

توت عنخ آمون



تابوت الملك



قناع الملك

في منزله بلندن - مساء ٥ نوفمبر ١٩٢٢ - كان « الان جاردنر » عالم المصريات وإستاذ اللغات الشرقية والقديمة ، كان يعمل في كتاب عن اللغة المصرية القديمة ، عندما دق جرس تليفونه وكان علي الخط اللورد كارنرفون الذي بادره قائلا «هل سمعت ؟ ... لقد وصلتني برقية من كارتر تقول أنه عثر علي مقبرة سليمة في وادي الملوك ... وإنه ينتظر ذهابي إلي مصر لفتحها ... هل تظن أنها يمكن أن تكون مقبرة الملك توت عنخ آمون؟ .

صمت جاردنر قليلا ثم أجاب « ربما ... » غير أن كارنرفون الذي كانت الفرحة تملأ جوانحه قال لجاردنر « أنني أعد للسفر إلي مصر ومعي إبنتي الليدي «ايفلين» ... فهل لديك الوقت لتحضر معنا فربما تجد الكثير من الكتابات والنصوص في المقبرة تحتاج لدراستك ...

غير أن جاردنر إعتذر لرغبته في أن يمضي عيد الميلاد ورأس السنة مع أبنائه في إنجلترا ..

وفي - مساء يوم ٥ نوفمبر نفسه كان كارتر في وادي الملوك يحدث نفسه بعد أن عثر علي المقبرة ويقول « منذ أن حضرت لمصر عام ١٨٩٠ كان جل مرادي أن أنقب في وادي الملوك .. ،إخيراً عوض الله صبر سنوات العمل المتواصل .. خيرا ..

كان باب المقبرة التي عثر عليها كارتر مغلقا وعليه أختام حراس الجبانات الملكية في وادي الملوك مما يؤكد أن المقبرة لشخص علي جانب كبير من الأهمية ... وأن المقبرة علي الأقل لم تمسسها يد إنسان منذ أن وضعت عليها الأختام ... غير أن الأفكار دارت في ذهنه ... هل يمكن أن تكون هذه المقبرة لملك وبابها من الصغر بحيث لا تتناسب مع أبواب مقابر ملوك الأسرة الثامنة عشرة العظام ... أيمكن أن تكون هذه لنبيل أو أمير دفن في وادي الملوك بإذن ملكي ... إذ كان الدفن في هذه المنطقة قاصراً علي الملوك دون غيرهم ؟ ... هل هذه المقبرة هي للملك الذي أفنيت سنوات سبع من عمري أبحث عنها ... ؟ ..

هواجس ساورت كارتر الذي أذهله الكشف ... والذي لم يملك إلا أن يرسل إلي ممول عملياته في وادي الملوك اللورد كارنرفون برقيته .. مبشراً ومهنئاً ...

ويحيط كارتر مكان الكشف بحراسه مشددة خوفا من تعديات اللصوص وتطير أخبار الكشف عبر أسلاك التليفون ... ويعد كارتر العدة ليوم فتح المقبرة عندما يصل اللورد من لندن والذي اخطر كارتر بأنه سيصل إلي الاسكندرية يوم ٢٠ نوفمبر ... وعلماء المصريات في كل أنحاء الدنيا كل يتدارس الخبر بين مصدق ومكذب .. فوادي الملوك قد حرثه جميع الآثريين ... شبراً .. شبراً ولم يبقي فيه مكان لم يكتشف ... هكذا قال ماسبيرووودافيز وبتري ومن قبلهم بلزوني وبورخاردت ... وحتي « واليس بدج » أستاذ المصريات البريطاني قال إن أي مقبرة قيل إنها لم يسبق أن اقتحمت لا تعدُو في النهاية إلا أن تكون مقبرة سرقها اللصوص في القديم وأعادوا غلقها بدقة ومهارة ... أو إنها مخزن لعمال في الجبانة الملكية ... أما أن يكون الكشف مقبرة ملكية فهذا ضرب من الخيال يدور في ذهن هوارد كارتر الذي كان يصفه بالرسام لأن بدج كان لا يعتبر كارتر اثريا أو عالم مصريات ولأن كارتر منذ أن وطأت قدمه أرض مصر حضر للرسم فقط . إذ لم يكن أكاديمياً ولا دارساً للآثار ولكن عمله في حقل الآثار ما يزيد عن الثلاثين عاماً أعطاه من الخبرة ما أهله للعمل في هذا الحقل ... بالإضافة إلي دقته وصبره اللذين بلا حدود ..

وأخيرا وصل اللورد كارنرفون إلي الأقصر تصحبه كريمته «ايفلين» والتي كان يحبها كارتر ويدعوها «ايف» والتي كانت تبادله حباً بحب وعندما كانت تغيب في إنجلترا كانا يداومان المراسلة . غير أن الأمر لم يتجاوز هذا الحب الافلاطوني .. لأن الفوارق الطبقية كانت في ذلك الحين تفصل بين بنات الأثرياء وأبناء الفقراء ... وإذ كانت ايفلين هي حب كارتر الوحيد فإنه ظل اعزبا طوال حياته .

ما أن وصل كارنرفون في ٢٣-١١-١٩٢٢ إلي الأقصر حتي بدئ العمل في رفع الأتربة عن السلم المؤدي إلي باب المقبرة ... ونزل كارتر وكارنرفون الستة عشر درجاً إلي باب المقبرة والسعادة تغمرهما كليهما ... غير أن كارتر لا حظ أن

الجانب الأيمن في اعلي الباب به كسر قطره حوالي نصف متر وواضح أنه أعيد سده أكثر من مرة مما ادخل الشك في روعه وفي روع كارنرفون الذي نظر الي كارتر متسائلا وكأن لسان حاله يقول « أمن أجل هذا أتيت بي إلي هنا ..؟ مقبرة سبق اقتحامها ... ومن يدري أي فراغ سوف تخفي وراءها » . ولعل كارتر كان أكثر حيرة ويأساً فقد وجد أمام الباب بعض قطع فخارية وجعارين عليها اسماء امنحتب الثالث وتحتمس الثالث مما يوحي بأن المكان لا يعدو أن يكون حفرة كان يخفي فيها اللصوص مسروقاتهم .

وفي يوم ٢٥ نوفمبر تم إزالة الحائط الذي كان مقاماً كباب للمقبرة فوجد خلفه كميات من الاحجار تم إزالتها أيضاً وكانت تملأ ممراً طوله يزيد علي الثمانية أمتار ويؤدي إلي باب آخر وجد عليه كارتر أختام الملك « توت عنخ آمون » سليمة مما جدد امله في أن تكون هذه هي المقبرة التي امضي سنوات في البحث عنها وأنها سليمة لم تقتحم ...

أخذ كارتر يحفر في الباب ليعمل فتحة يمكنه من خلالها أن يري ما وراء الباب ... ثم نظر من هذه الفتحة فلم ير شيئاً لشدة الظلام ... أضاء شمعة أمام الفتحة فاحس بأن ضوء الشمعة يتراقص نتيجة لخروج هواء ساخن من الداخل ... وأخيراً اجري توسيع الفتحة ليمكنه إدخال الشمعة وراء الباب لكي يري ما بداخله ... كل هذا وكارنرفون وإبنته ايفلين وآخرون واقفون وكأن علي رؤوسهم الطير ... ونظر كارتر من خلال الثقب الذي حفره ... ودقق النظر ... وتراءت له وكأنما من خلف حجاب أشياء غريبة ... حيوانات ... تماثيل ... صناديق ... أوعية عجلات حربية ... أسرة .. ذهب .. ذهب ..

وعندما نفذ صبر كارنرفون .. سأل كارتر « هل تري شيئاً ؟ » فأجابه كارتر «نعم ... أري أشياء رائعة ودعاه ليلقي نظره ثم وسع الفتحة لينظر الجميع ما بداخل الحجرة حتي بدوا جميعاً كأطفال صغار ينظرون من خلال صندوق الدنيا الذي كان يتفرج عليه الصغار في تلك الأيام ...

وإنتشر الخبر ... وملأ اسماع الدنيا .

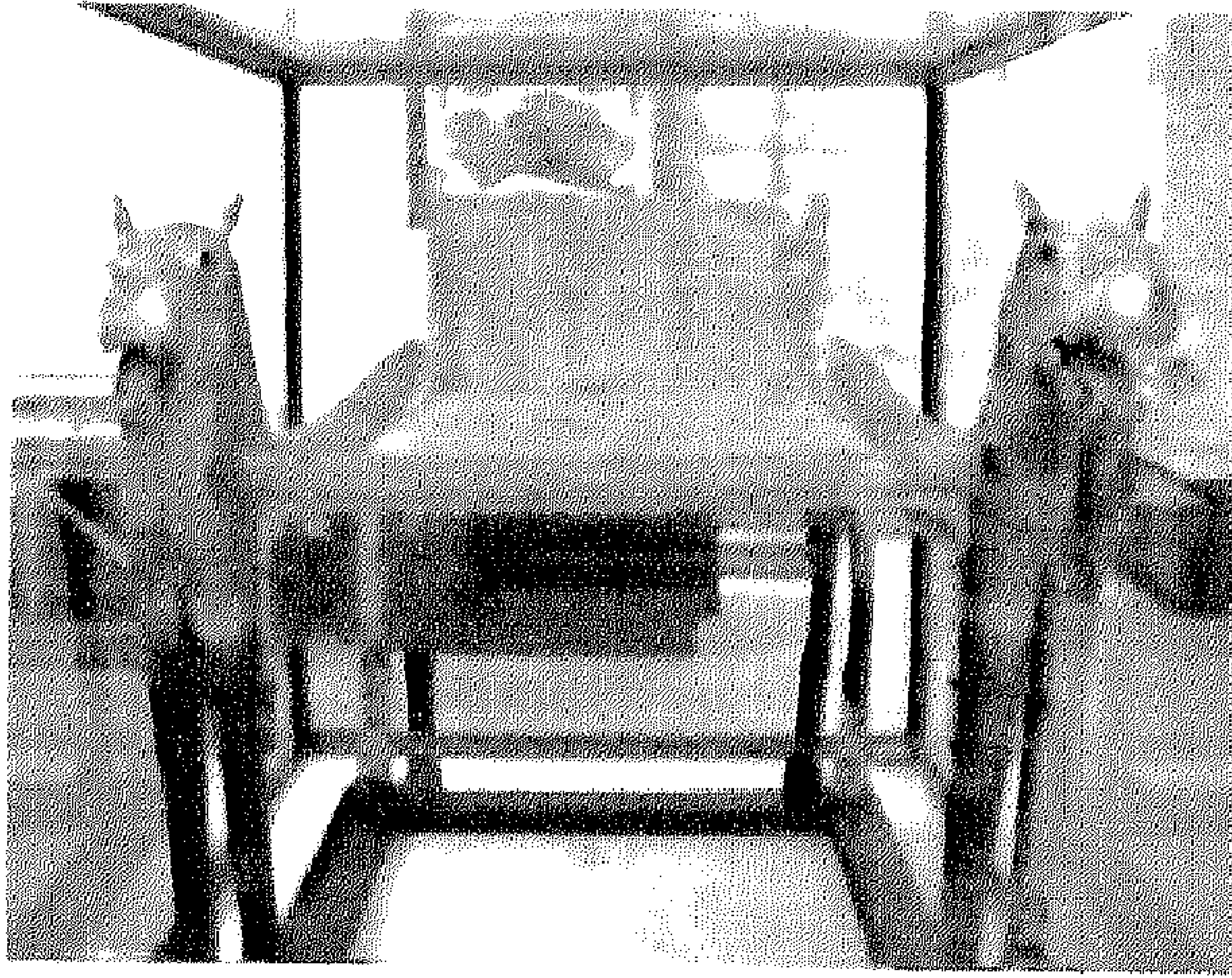
وفي اليوم التالي أمسك كارنرفون بالقلم وكتب رسالة إلي واليس بدج الذي كان يرأس القسم المصري في المتحف البريطاني بلندن وجاء فيها :

« سطر واحد أكتبه لك لاقرر إننا عثرنا علي أعظم كشف لم يسبقنا إليه أحد في مصر أو في غيرها ... لقد دخلت إلي غرفتين فقط في المقبرة .. وأؤكد أن ما بهما من محتويات وتحف تكفي لملئ جميع ممرات جناحك بالمتحف البريطاني كما أن هناك باب عليه أختام لم يفتح ويعلم الله وحده ما بدخله من كنوز ... اقرر لك أن الأمر لا يتعلق فقط بكمية ما وجدناه ولكن بروعة وجمال وأصالة هذه الأشياء ... عرش الملك ... أنية من المرمر الشفاف ... كراسي .. أسرة .. عربات .. خرزات رائعة .. عجلات حربية مطعمة بالأحجار الكريمة ... تمثالان للملك من الخشب المدهون بالطلاء الأسود وفي قدميه صندل من الذهب الخالص وعلي رأسه شارة الملك .. صناديق مملوءة .. عصي تماثيل للمجاوبين الذين يخدمون الملك .. خزف .. لفائف بردي .. باقات زهور ... كل هذا في الغرفة الأولي بخلاف الأثاث وتماثيل الرخام ... ثم بعد ذلك غرفة لا اشك في أنها تحتوي علي تابوت الملك ومومياته .. أنه حتي المسيو لاكو مدير الآثار المصري قد أذهله ما رأي ... أن كارتر وثلاثة مساعدين سوف يعملون علي مدي أكثر من عامين لنقل هذه الأشياء ... سأعود إلي لندن في خلال عشرة أيام وسأحاول أن أراك ... المخلص كارنرفون .

علي الجانب الآخر كان كارتر قد بدأ بعقد مؤتمرات صحفية ... وكان كارنرفون قد أعطي إمتياز النشر لجريدة التايمز التي كانت تكاد تعطي تقريراً كل يوم عن هذا الكشف الذي شد إنتباه العالم والذي أظهر كارتر الذي لم يتلق تعليما عاليا في المصريات يخطف الأضواء من علماء مصريات حاصلين علي درجات علمية بارزة في هذا المجال .

وتوافد الناس علي الأقصر من كل صوب وحدب ... أصحاب جلالة وإصحاب سمو ... وزراء وعظماء .. علماء آثار ،صحفيون .. ليمتعوا أبصارهم بالآثار المكتشفة وبما لم يكشف عنه النقاب بعد .. الملك وتابوته ..

توت عنخ آمون والكشف العظيم



سرير الملك توت

« توت عنخ امون » ملك لم يكتب له أن يعيش طويلاً فقد مات ولم يبلغ العشرين عاماً من العمر ، ولم يقدر أن يكون له إنجاز أو أعمال تخلد اسمه من بعده ... بل حتي اسمه كملك لم يسطر علي قائمة واحدة من قوائم ملوك المصريين القدامي فقد كان صهر الملك إخناتون الذي اتهمه كهنة آمون بالإلحاد والكفر بالهة مصر القديمة ... ولكن بقدر ما قصرت ايام هذا الملك علي الأرض ... وبقدر ما القيت الظلال القائمة علي عهده القصير وعهد سلفه إخناتون ... بقدر ما شاء الله لهذا الملك أن يملأ إسمه اسماع الدنيا كلها بعد ما يزيد علي الثلاثين قرناً من الزمان وبقدر ما جذبت آثاره وكنوزه الناس أجمعين .

التاريخ يقول أن إخناتون حكم مصر سبعة عشر عاماً شاركه في الحكم سنه أو أكثر أخوه « سمنخ كارع » الذي توفي قبل إخناتون ، وأن إخناتون زوج احدي بناته وهي « عنخ سن باتون » إلي ابنه أو أخيه غير الشقيق «توت عنخ اتون » وأنه بوفاة اخناتون تولي الصغير « توت عنخ اتون » ملكا علي البلاد بوصاية « اي» خال الملك اخناتون المتوفي وفي رواية أخري صهره .

غاية الأمر أن « اي» هذا كان له شأن وسلطة في ديوان الملك المتوفي ولذلك فإنه حرصا منه علي بقاء السطوة في يده نصب « توت عنخ اتون » ملكاً ليضمن دوام نفوذه وسلطانه في مصر ... وحتي تستتب الأمور في مصر ويعود الإستقرار بعد حالة الفوضي التي عمت البلاد بسبب ديانة اخناتون .. اعاد «اي» للاله آمون كيانه ووجوده وفتح معابده واعاد الهيبة للكهنة وتغيرت اسماء العهد البائد فسمي الملك نفسه «توت عنخ آمون » وزوجته « عنخ سن امون » مبدلا اسم الاله اتون بالاله امون ... وقد حكم توت عنخ امون تسعة اعوام من ١٣٤٧ - ١٣٣٩ ق.م ولكنه لصغر سنه كانت السلطة في يد اي ... ويبدو ان هذه السنوات التسع لم يتم فيها عمل ذو بال الا عودة عقيدة آمون لتسود البلاد ... وترضية كهنته بفتح المعابد وإعادة مخصصاتها ... ومات الملك « توت عنخ امون » صغيرا لم يعلم إن كانت يد غدر قد إغتالته او ان كان قد سقط من فوق جواد ... لانه بالفحص الذي أجراه الدكتور «دري» في ٢٥ نوفمبر ٩٢٥ علي جثمان الملك تبين وجوة جرح في الخد

الايسر كما ان الفحص بالأشعة الذي تم بعد ذلك بسنوات اثبت ان هذا الجرح كان نتيجة سقوط او ضربة سببت جلطة دموية تحت اغشية المخ فترتب عليها الوفاة .

مات توت عنخ امون وترك خلفه ارملة صغيرة لم ينجب منها اولاد .. وفي غمرة حزنها علي زوجها وخوفها مما قد تخفيه الايام فقد كتبت رسالة الي ملك الحيثيين «شوبي لو ليما » .. تطلب منه ان يرسل احد ابنائه الامراء ليتزوجها وتقيمه ملكا علي عرش مصر ... ولعل الملكة الصغيرة كانت قد كتبت هذه الرسالة اعتمادا علي صلات مصاهرة سابقة تمت بين ملوك مصر واميرات اسيويات واعتقادا منها ان هذا الزواج قد ينهي حالة الفوضي التي تسود البلد (وجدت الرسالة مكتوبة باللغة المسمارية علي احد الالواح) ... ويبدو آن ملك الحيثيين قد لبي بعد تردد - طلب الملكة فارسل احد ابنائه الامراء الي مصر ... ولكن يبدو ايضاً ان «اي» الوصي علي الملك المتوفي او «حور محب » قائد جيوش مصر ... يبدو ان احدهما او كليهما قد علما بمحتويات هذه الرسالة فقتلوا امير الحيثيين عند حدود مصر وهو في طريقه للزواج من الملكة الارملة ... والمرجح ان كل ما سبق تم خلال السبعين يوما التي كانت تستغرقها مراسم التحنيط والدفن للملك المتوفي ... وإنتهي الامر بزواج «اي» العجوز بالملكة الصغيرة لتعطيه شرعية الجلوس علي عرش مصر ... وكان هذا هو اغلب ما ذكره التاريخ عن الملك الصغير .

وبعد اكثر من ثلاث آلاف عام من الصمت والسكون الذي كان يخيم علي المثوي الاخير لجثمان الملك الصغير كسر كارتر ورفاقه هذا الحاجز من الصمت والسكون .. فهل انس هؤلاء الدخلاء ومن تبعهم وتلاهم وحشة الملك «توت عنخ آمون» وأرضوه ... ام انهم عكروا صفو الهدوء الذي كان يحيط به في مضجعه وكانهم اوقفوا عقارب ساعات الزمان الطويل من السلام الابدي الذي كان يشمل المستقر الذي إنتهي إليه الملك ... عن ذلك سيكون لنا حديث .. بعد أن دخل كارتر الحجرة الأولي والثانية من مقبرة الملك كان عليه أن يدون ويصور ويصف ويسجل كل قطعة فيها ... الأمر الذي دعاه الي أن يلجأ الي الكثير من علماء الآثار والمصورين للمساعدة في إنجاز هذه المهمة الصعبة فقد كان امامه الاف القطع التي اضطر ان ينقلها الي مكان اختاره في مقبرة قريبة من مقبرة «توت عنخ امون »

لبحثها ودراستها وحفظها ...

امضي كارتر حوالي ثلاثة اشهر منذ دخوله المقبرة دون ان يتقدم خطوة نحو غرفة الدفن الموجودة بها مومياء الملك وفي يوم ١٧ فبراير ١٩٢٣ وبحضور اللورد كارنرفون وإبنته الليدي ايفلين وعبد الحليم باشا سليمان وزير الاشغال « كانت مصلحة الآثار وقتها تتبع وزارة الأشغال » والمسيو لاكو مدير عام الآثار والبروفسور برستيد والبروفسور جاردنر من علماء الآثار والمستر الجلباخ مفتش الآثار وغيرهم اجري كارتر ازالة الحائط الذي يفصل بين الحجرة الخارجية وغرفة الدفن وهي علي مستوي اسفل من مستوي الحجرة الخارجية فوجد مقصورة من الخشب المذهب تليها مقصورة ثانية وثالثة ورابعة كل واحدة داخل الاخري وكلها من الخشب المذهب والمطعم بعجائن من الزجاج الازرق اللون ... وقد استمر كارتر في فك هذه المقصورات الاربعة بعناية الي ان وجد ناووسا من الكوارتزيت كان بداخله ثلاثة توابيت بدأ بفتح أولها في ١٠ اكتوبر ١٩٢٥ وكان ثالثها من الذهب الخالص المنقوش والمطعم بزخارف ملونة من الاحجار نصف الكريمة والزجاج ويبلغ طول التابوت ١٨٤ سم ،يتراوح سمك جوانبه وغطائه وقاعدته بين ٢ مللي ، ٣ر٥ مليمترات اما وزنه فيبلغ ١١٠ كيلو جراماً وهو يساوي كسبيكة ذهبية مبلغ مليون ونصف مليون دولار ... اما قيمته الاثرية والفنية فلا تقدر بثمن ... وكان داخل هذا التابوت الاخير مومياء الملك التي كان موضوعا فوق الرأس والكتفين منها القناع الذهبي الشهير وهو يمثل حقاً صورة رائعة من اصاله الفن ونقاء المادة المصنوع منها ... كما ان ملامحة تكشف الشبه الواضح بين الملك «توت » واخناتون والملكة « تي» ام اخناتون مما يرجح معه ان يكون الملك «توت عنخ امون » كان ينتسب لشجرة اسرة امنحتب الثالث وبؤكد هذا ايضا ان فصيلة دم كل من اخناتون والملك توت هي «A2» .

لم يكن الذهب او جمال الكنوز بداخل المقبرة هو كل ما يميزها او يثير الدهشة فيها ولكن المشاعر الانسانية الراقية التي تمثلت في تلك الخصلة من شعر الملكة «تي» التي كان لها اعتبار شخصي خاص عند الملك فاحتفظ بهذه الخصلة من شعرها حتي ان الاسرة اهتمت بان تضعها له في مثواه الاخير محفوظة في اربعة

توابيت انيقة .

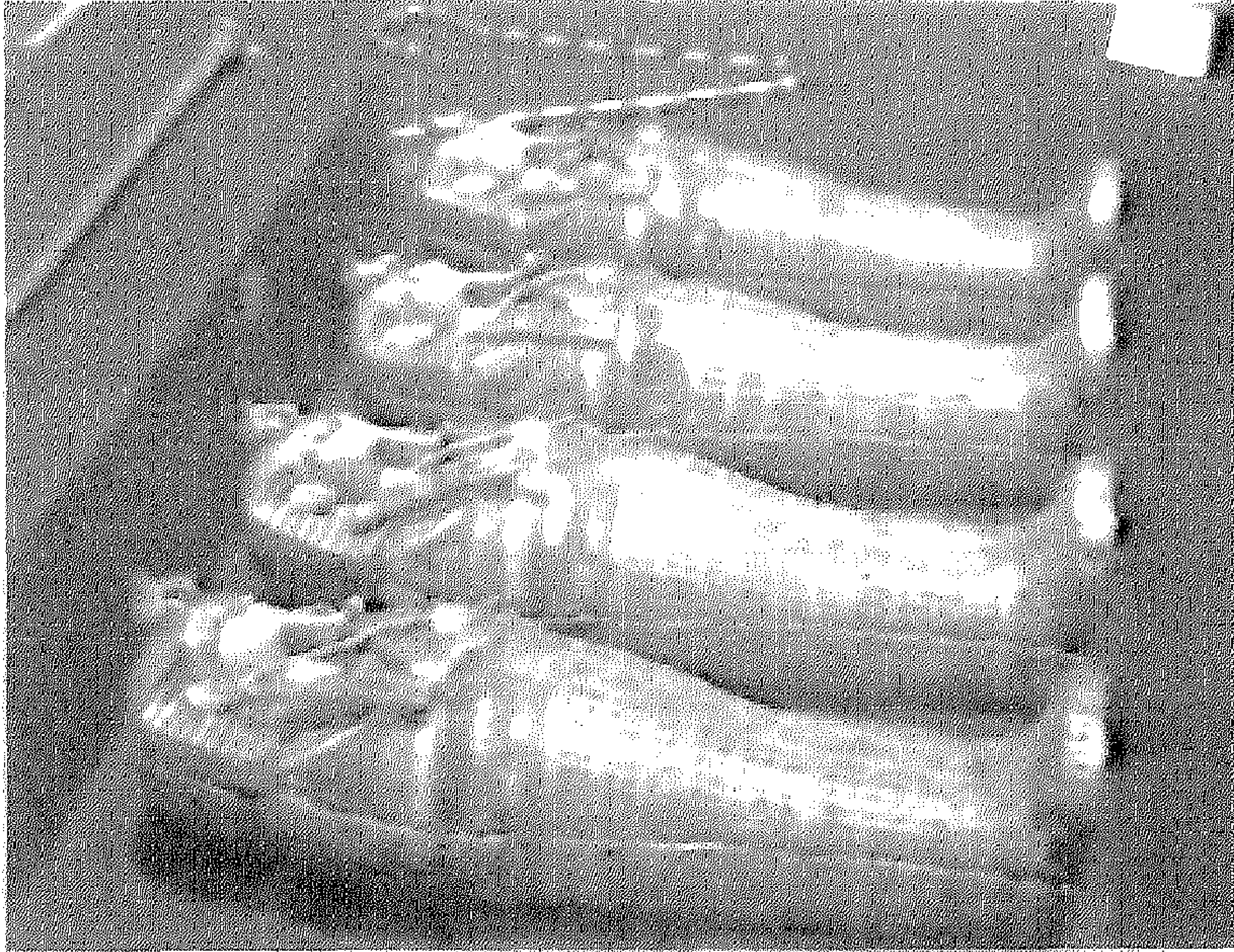
اما تلك الباقة من الزهور التي وضعتها الملكة الصغيرة «عنخ سن امون »فوق التابوت الثالث للملك فتدل علي ما كان يربطها بالملك من مشاعر دافقه واحاسيس فياضة ... ولقد اعطت هذه الزهور التي كانت تزين الباقة للباحثين فكرة عن التاريخ التي توفي فيه الملك والتي حددوها بالفترة بين منتصف مارس ونهاية ابريل لان هذه الفترة هي اوان تفتح هذه الزهور . اكثر من خمسة الاف قطعة اثرية عثر عليها في هذه المقبرة التي تعتبر بالنسبة لكل مقابر الملوك في الوادي من اصغر المقابر حجما ولكنها اثارت العالم كله منذ اكتشافها وحتي يومنا هذا .

رواية طويلة لا يمل الانسان من قراءتها ... فهل نعود الي البداية ..

فاتنا ان نقول ان هوارد كارتر في اليوم الاول الذي دخل فيه الي المقبرة وقد كان يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٢٢ ... فاتنا ان نقول انه وجد لوحة مكتوبة بالحروف الهيروغليفية .. وقد اعطيت للسيد جاردنر لترجمتها فوجد مكتوب عليها « سيضرب الموت باجنحته من يقلق راحة الفرعون » ومن الغريب ان هذه اللوحة اختفت بعد ذلك ..

لقد توالت بعد اكتشاف مقبرة توت عنخ امون حوادث غريبة واحداث مريبة ... فهل كان لها ارتباط بهذه اللوحة ..؟ وهل كان ما كان مدوناً عليها ... هو ما أطلق عليه « لعنة الفراعنة »

توت عنخ آمون ولعنة الفراعنة



توابيت صغيرة مذهبة تحوي لوازم الملك

كان كارتر يحس بالوحدة خاصة وأن وادي الملوك الذي كان يمضي فيه ايام تنقيبه لا يمكن وصف لياليه الا بالوحشة وسكون الموت ، او وصف ايامه إلا بالصمت الرهيب ... وقد شكا مرة للأثري الأمريكي برستيد بما يحس به ... فضحك برستيد وقال :تزوج ياهوارد فإن الزوجة ستؤنس وحدتك ... وقد قلنا ان كارتر كان يهيم حبا في واحدة عزيزة المنال وهي « ايفلين» ابنة اللورد كارنرفون ... وأنها هي التي كان يتمناها زوجة له ... سكت كارتر ولم يرد حتي لا يفضح سر نفسه ... وظن برستيد ان سكوت كارتر كان علامة علي رضاه علي فكرة الزواج ... ثم افترقا ...

فكر كارتر في اليف يؤنس وحدته فاشتري طائر «كناري» عاد به الي مصر داخل قفص جميل علقه عند مدخل بيته في البر الغربي حيث كان يعمل .. وقد احبه العمال لانهم لم يسبق لهم ان رأوا طائر اصفر اللون جميله .. فقد كان كل ما يحوم حولهم من طيور اما حدأة شهباء تحلق في النهار لتخطف صغير طير ... وإما بومة سوداء تجوب الليل بحثاً عن فريسة ... واستبشروا خيرا بهذا الطائر الجميل حتي انهم قالوا لكارتر ان هذا العصفور فأل حسن ... وقد كان كذلك فانه بعد ايام تم اكتشاف مقبرة « توت عنخ آمون ».

لم تمض اسابيع علي كشف المقبرة الا والتهم ثعبان من نوع الكوبرا الطائر الصغير وتناقلت الالسن خبر موت الطائر ... مرددة ان الثعبان هو الرمز الذي كان يعتلي جبهة الملك وأنه لذلك التهم الطائر الاثير عند كارتر الذي أقض مضجع الملك توالت الاحداث والاخبار ... كارتر يعمل بكل جهد وسرعة .. يعاونه من أنس فيهم القدرة علي الانجاز... وكارنرفون غادر المكان اذ كان قد اصابه التهاب نتيجة لدغة بعوضة واقام في القاهرة بفندق الكونتننتال الشهير الا أن حرارته ارتفعت بشكل حاد الي ٤٠ درجة مئوية ... وقد عزي الأطباء هذا الارتفاع في درجة الحرارة إلي تلوث مكان اللدغة ... وكثفوا علاجهم ... ولكن الموت صفق باجنحته في ٦ ابريل ١٩٢٣ وفارق كارنرفون الحياة بعد ١٣٠ يوما من دخوله مقبرة توت عنخ امون ...

هل كانت اللوحة التي عثر عليها في مدخل المقبرة والتي تقول «سيضرب الموت باجنحته من يقلق راحة الملك » ... هل كان المدون علي هذه اللوحة يعني فعلا ما هو مكتوب ... وهل كانت لعنة الفراعنة تلاحق اللورد ..

الذي يقرره هنري ابن اللورد ويعجب له ان والده توفي في الساعة الثانية صباحاً يوم ٦ ابريل وانه في اللحظة التي اسلم فيها الروح انقطع التيارالكهربائي عن القاهرة كلها وتركتها في ظلام دامس لدقائق ... وأن المهندسين لم يتوصلوا لمعرفة سبب واحد لهذا الإنقطاع المفاجئ .

كما يقرر أيضاً أنه ابلغ ان كلبة من نوع الفوكس تيرير في قصر والده بقلعة هايكلير بأنجلترا وكان اللورد يعتز بها ويدللها ، قرر ابن اللورد ان هذه الكلبة اخذت تعوي بصوت فيه ألم ثم سقطت ميتة في الساعة الرابعة صباحاً بتوقيت لندن يوم ٦-٤-١٩٢٣ وهي ذات الساعة التي توفي فيها اللورد كارنرفون في القاهرة ... احداث متوالية .. تمت في توقيت واحد .. لم يجد الناس لها تفسيراً ..

تناقلت الصحف أخبار وفاة كارنرفون الذي كان اسمه قد ملأ اسماع الدنيا بعد اكتشاف المقبرة .. والكل يتساءل عن سبب موته المفاجئ .. وهل كانت لعنة الفراعنة أو إنتقام مومياوات الموتي وراء هذه الأحداث .. حتي ان احد الروائيين المشاهير - وقد كان يؤمن بالسحر - وهو السير ارثر كونان دويل مؤلف قصص شرلوك هولمز المعروفة جري وراء هذا الرأي وايده وأعلن ان لعنة الفراعنة لاحقت كارنرفون ...ثم في عام ١٩٢٥ وبعد فتح تابوت الملك توت عنخ آمون أجري الدكتور دري فحص المومياء وفك الأربطة المحيطة بها وكان معه الكيميائي بمصلحة الآثار المستر الفريد لوكاس فماذا حدث بعد ذلك بفترة وجيزة ... توفي الفرد لوكاس بسكتة قلبية ... ثم بعدها بوقت قصير توفي الدكتور دري بهبوط حاد في الدورة الدموية ... وقد كان لوفاة هذين العالمين بعد فتح التابوت صدي في الأوساط العلمية ... بحيث أنه حتي المشككين في اللعنة بدءوا في مراجعة فكرهم بشأنها ...

تصور البعض أن المقبرة كانت تحوي جراثيم قاتلة تسبب وفاة من يدخل

المقبـرة ،لكن الفـحوص المعـملية اثبـتت أن المقـبـرة لم تكن فـيـهـا اية جـراثيم أو اشعاعات . .

واحتـدم النقـاش بين من يؤمن بفكرة اللعنة . . . وبين من ينكرها ويسخر ممن يروج لها . . . فقد رأي الفريق الاخير إن عبارة لعنة الفراعنة لم تجد لها مكانا إلا بعد كشف مقبرة توت عنخ آمون وأنه برغم أن مقابر عديدة قد اقتحمت ونهبت قبل ذلك فإنه لم يصب المقتحمون أو الناهبون أو تلاحقهم اللعنة . .

ولكن بعض المتعصبين لفكرة اللعنة يرون أن السحر عند القدماء كان حقيقة مؤكدة ، وأنه وإن كان قد افلت البعض من العقاب إلا أن الشواهد تشير إلي أن الكثيرين قد لاحقتهم اللعنة . . . ويؤكدون أنه حتي في العصور القديمة لم يسلم اللصوص من اللعنة . . . ويدللون علي ذلك بما عثر عليه « الجلباخ » في عام ١٩١٢ . . . فقد اكتشف هذا الأثري مقبرة من الدولة الوسطي في بلدة الرقة بمركز العياط . . وبداخلها مجموعة رائعة من الحلي ترجع الي عصر الملكين سنوسرت الثاني والثالث . . . كما وجد بداخل المقبرة احد لصوص المقابر هيكلاً عظمياً يقبض بشدة علي مومياء المتوفي الذي أخرجه اللصوص من تابوته ليجرده مما تحتويه اللفائف من تمائم واساور وقلائد من الذهب . . ويبدو أن سقف المقبرة قد إنهار علي اللص وهو يؤدي مهمته الخطره فطمره مع المومياء ليلقي حتفه . . وعللوا إنهيار السقف وموت اللص بلعنة الفراعنة .

كما أن البعض بحث في نهايات الذين عملوا في حقل الآثار فوجد أن بعضهم قد توفي في ظروف غريبة فمنهم من مات بعد ان سخر باللعنة ومنهم من مات بعد أن تحدث عنها ومنهم من انتحر .

يذكر أنه في عام ١٩٦٢ عقد الدكتور عز الدين طه استاذ الطبيعة في جامعة القاهرة مؤتمراً صحفياً ليؤكد فيه أن الأثريين الذين يعملون في حقل المتاحف والمقابر والمعابد إنما يصيبهم نوع من الفطريات يؤثر علي جهازهم التنفسي وقال أن هذا الفطر لا علاقة له ولا دخل بلعنة الفراعنة وإن المضادات الحيوية كفيلة بالعلاج الذي ينحي لعنة الفراعنة المزعومة جانباً . . . ثم ماذا بعد ذلك . . . كان الدكتور عز الدين

محقاً في بحوثه ... غير أن الموت عاجله في حادث سيارة وهو في طريقه الي مدينة السويس ... وكان ذلك بعد المؤتمر بوقت قصير .

في عام ١٩٤٢ داهم الموت الأثري فلندرز بتري والأثري ريزنر .. وكلاهما عملا طويلاً في حقل الآثار وبالذات الأهرام ... مات ريزنر داخل الهرم الأكبر بعد أن داهمته أزمة .. وبعدها مات بتري في أورشليم بعد أن غادر مصر بفترة وجيزة.

في ١٠ مارس ٧١ أثناء عمل والتر ايمري في سقارة عرض عليه مساعدة الأثري الدكتور الخولي تمثالا لاوزيريس إله الموتي وبعد لحظات داهم الموت ايمري في الحمام بعد أن أصيب بشلل نصفي ايمن والأثري امري لم يكن يؤمن باللعنة ويتحاشي الكلام عنها .

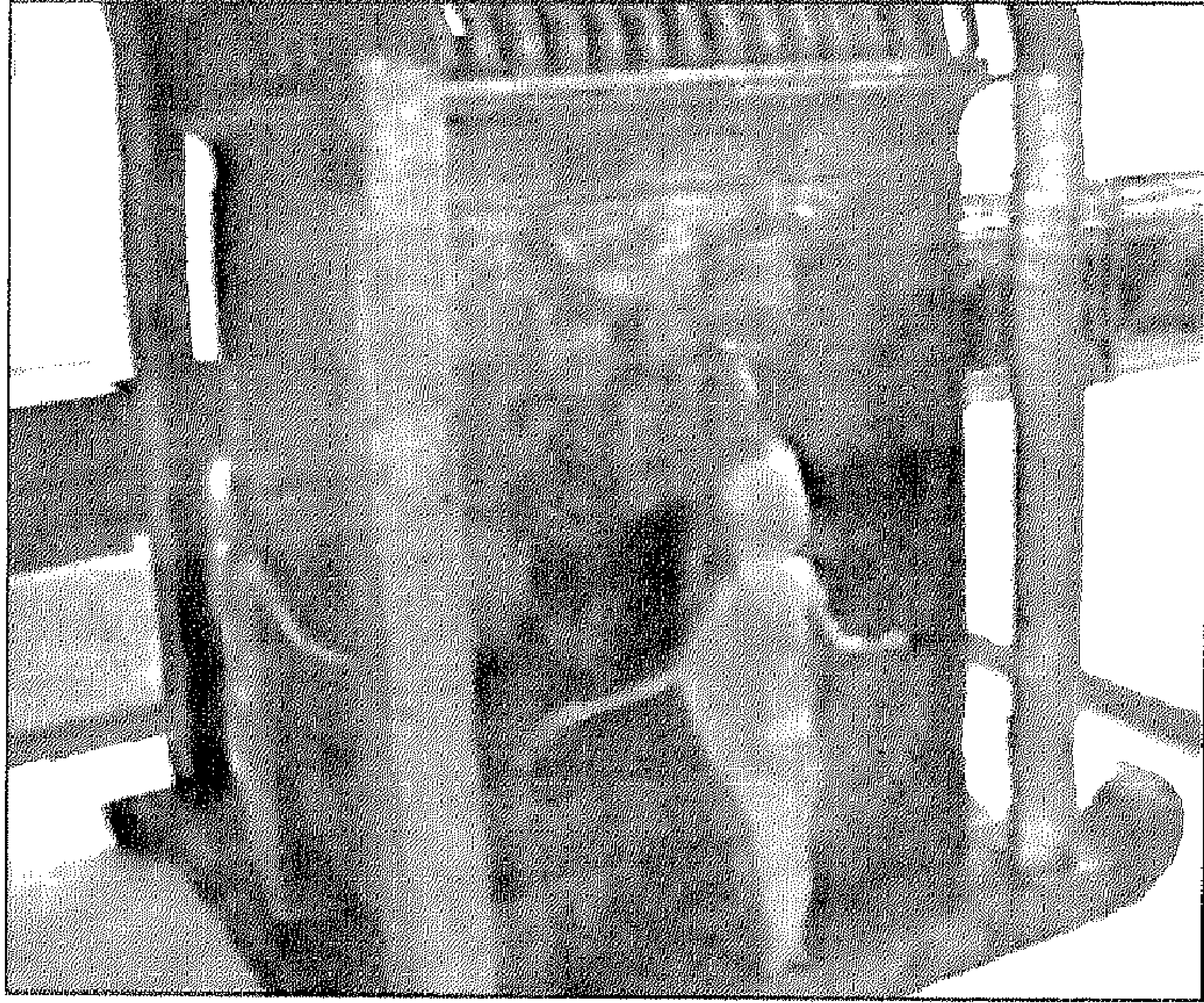
في القرن الماضي لم ينج من اللعنة إلا القليلين فقد اصيب هنريك بروكش بالجنون ... ومات بلزوني في بنين بأواسط افريقيا بعد مغادرته مصر بوقت قصير وشامبليون الذي فك رموز المصريات مات صغيراً ...

أما الأثري الدكتور جمال محرز الذي كان لا يؤمن بهذه اللعنة فقد توفي بسكتة قلبية في عام ١٩٧٢ في اليوم التالي لتوقيعه علي قرار سفر بعض محتويات مقبرة توت عنخ آمون والتي كانت محفوظة بالمتحف المصري إلي لندن للعرض .

وفي مجال التدليل علي دعاواهم في اثر لعنة الفراعنة يذكرون أن الباخرة تيتانيك والتي كانت تعتبر من أكبر وأجمل وأسرع البواخر في زمانها غرقت في أول رحلة لها عبر المحيط الاطلنطي من انجلترا إلي امريكا في ١٤-٤-١٩١٢ والتي راح ضحيتها اكثر من الف وخمسمائة راكب كانت تقل مومياء كاهنة مصرية من عهد اخناتون .

امور يحار فيها الفكر ... ولكن قضاء الله فوق كل فكر ... وأن كل نفس ذائقة الموت .

توت عنخ آمون وكرامة مصر



احدي المقصورات الذهبية تحيط بها أربعة إلهات

قد يكون الحديث عن توت عنخ آمون قد طال ، بالرغم من أن هذا الملك قد مر علي شاشة التاريخ كفرد لم يكن له دور رئيسي في السيناريو لو جاز هذا التعبير .. غير أن ما دار عن هذا الملك وحوله قد أثري مكتبات العالم بكتب ودراسات وروايات لم يقدر لملك آخر أن يحظي بها .. فقد كان للكنز الذي خرج إلي الدنيا عام ١٩٢٢ بعد سبع سنوات عجاف أمضاها كارتر في الحفر والتنقيب دون ثمار .. والذي حوي من الآثار ما يكفي لإثراء متاحف الدنيا بأسرها .. كان لهذا الكنز بريق بهر عشاق الفن والجمال ورواد الآثار ودراسي التاريخ .. وسال له لعاب كارتر وكارنرفون ..

كانت مصلحة الآثار المصرية وقت الكشف تحت رئاسة السيد بيير لاكو وقد تولي الرجل هذا المنصب في عام ٩١٧ خلفاً للسيد جاستون ماسبيرو الذي كان قد رشحه للإدارة بعده آملا أن يسير علي خطاه في تشجيع البعثات الأجنبية علي الحضور إلي مصر للبحث والتنقيب عن الآثار مقابل الحصول علي النصف مما يعثر عليه من آثار .. ولكن لاكو لم يكن سهل المراس كسلفه ولم يترك الحبل علي الغارب للبعثات التي كانت تنهب آثار مصر دون وازع أو ضمير حتي أنه قال أن البعثات لا تقدم من الآثار المكتشفة للمصلحة لقسمتها إلا بعد أن تستولي لنفسها علي الرائع والنفيس منها .. ولذلك فقد أعلن لاكو في عام ٩٢١ وقبل كشف مقبرة الملك توت عنخ آمون بقليل .. أنه سيتقدم للحكومة بمشروع قانون يعطي الحق لمصلحة الآثار والمتحف المصري وحده في الحصول علي جميع الآثار المكتشفة وإلغاء نسبة الخمسين في المائة التي كانت تحصل عليها البعثات بل والتي كانت تحصل بالسرقة والنهب علي أكثر منها .

وكان لاكو يري أنه يكفي للبعثات أن ينسب إليها شرف الكشف عن الأثر .. علي أنه إذا ما وجد فائض من الآثار المكرره فإن مصلحة الآثار يمكن أن تمنح البعثات بعضا منها ..

أثار لاكو القائمين بالعمل في حقل الآثار وعلي رأسهم كارتر الذي كان لا يكن وداً لهذا المدير وحاول أن يقف في وجه هذا المشروع بحجة أنه سوف يضعف

همم المنقبين عن الآثار وسعي من جانبه لدي الدول المعنية لكي تضغط علي حكومة مصر بعدم تمرير هذا المشروع . وبدأ الصراع بين لاكو وبين كارتر الذي اكتشف المقبرة عام ١٩٢٢ .

واقع الأمر ان كارتر لم يكن آداؤه خالصاً لوجه مصر أو لوجه الله بل ان هذا الرجل كان له تاريخ مريب في حقل تجارة الآثار وتهريبها وأخذ العمولات عما يتوسط في نقله منها إلي خارج مصر . ولقد كان له تعامل منذ أكثر من خمسة أعوام قبل كشف مقبرة توت عنخ آمون مع متحف المتروبوليتان في نيويورك بالولايات المتحدة إذ كان له اليد الطولي في تهريب أو تسريب ما يسمي بمجموعة مجوهرات الأميرات الثلاثة من مصر إلي متحف المتروبوليتان والتي تعتبر من أحلي وأجمل الحلي المصرية .. وقد كانت هذه التحف تحمل أسماء ثلاث زوجات ثانويات للملك تحتمس الثالث هن «مرتي» ، «من حات» و«من وي» كما كان بعضها يحمل اسم تحتمس الثالث وقد كانت هذه التحف قد عثر عليها بعض لصوص الآثار في منطقة تسمي جبانة القرود وتقع جنوبي المقابر الملكية .. وكان كشف اللصوص عنها بطريق الصدفة إذ أن سيلا جارفا كان قد اجتاح المنطقة فكشف عن مكان المقبرة التي تحوي هذه التحف الذهبية والتي بلغت ٢٢٥ قطعة والتي وجدت طريقها إلي تاجر آثار معروف بالأقصر هو محمد محسب الذي كان يشتري ويدفع الثمن بالجنيهات الذهبية وقد ذاع خبر هذا الكشف بعدما بدت مظاهر الشراء علي أحد المواطنين الذي تزوج حديثا ودفع مهرا غاليا مما حدا بالشرطة أن تبحث عن اللصوص ومنهم هذا المواطن الذي لما استشعر الخطر وضع الذهب الذي باع به نصيبه في سلة للقمح أخرج زوجته بها علي زعم أنها متوجهة لطحنها ولكن السلة سقطت منها أثناء سيرها وتناثرت قطع الذهب .. وقبض علي الرجل وشركائه ولكن لم يصل التحقيق إلي معرفة مصير الكنز . عندما علم كارتر بأن متحف المتروبوليتان الأمريكي يجري وراء شراء هذه المجموعة دخل اللعبة وعرض التوسط في شراء هذه المجموعة لحساب المتروبوليتان علي أن يحصل علي بعض القطع وعمولة ١٥ في المائة من ثمن الصفقة وتم الشراء بمبلغ ٥٤ ألف جنيه استرليني تساوي في وقتنا الحاضر سبعة ملايين دولار وحصل كارتر علي نصيبه في العمولة وآلت القطع النادرة الفاخرة

إلي متحف نيويورك .

كان هذا هو كارتر وأسلوبه في التعامل مع آثار مصر .. ولقد كان كارتر وكارنرفون يطمعان في كنوز الملك توت عنخ آمون ويتمسكان ببند الخمسين في المائة من الآثار المكتشفة لولا وقفة شجاعة من الحكومة المصرية ومن لاكو مدير الآثار وقتها الذي كان الود بينه وبين كارتر معدوماً إلي حد الجفوة والقطيعه .

منذ اليوم الأول لفتح المقبرة حاول كارتر ومموله كارنرفون أن يظهر بمظهر أصحاب السيادة والأمر في شأن المقبرة وملأهما الغرور حتي أنه كان يمنع بعض الشخصيات البارزة من دخول المقبرة بدعوي احتياطات علمية أو امنية وحتي بلغ به الحد أن منع بعض رجال مصلحة الآثار من الدخول ضارباً بتعليمات لاكو مدير الاثار عرض الحائط بل لقد حاول أن يبعد مفتش آثار الأقصر الجلباخ عن موقع في الأقصر .. كما أن كارنرفون بقرار منه وحده أعطي امتياز نشر اخبار الكشف وماتحويه المقبرة لجريدة واحدة هي التايمز اللندنية متجاهلاً الصحافة العالمية عامة والصحافة المصرية خاصة مما أعطي الانطباع للكل بأن الأمر كله مردود إلي كارنرفون وكارتر وحدهما وأنه لا معقب علي ما يقرران . وإذ كانت مصر وقتها ترزح تحت الاحتلال البريطاني فقد اعتقد كارنرفون أن كلمة من المندوب السامي البريطاني تكفي لاسكات أي صوت يعلو .. واستمر الشد والجذب بين كارتر ولاكو وازداد غرور كارتر بحيث لم يبق في قوس الصبر منزع كما يقولون .

وكان يوم ١٣ فبراير سنة ١٩٢٤ . كان هذا اليوم قد حدده كارتر لدخول بعض السيدات الأجنبيات لزيارة المقبرة فوصلته الرسالة التالية من مدير عام الآثار لاكو يقول :

«يؤسفني أن ابلغكم أن السيد وزير الأشغال العمومية «مرقص باشا حنا» أمر بمنع دخول السيدات إلي المقبرة وان عليكم تنفيذ الأمر» .

كما أن مفتش آثار الأقصر الجلباخ ابلغ كارتر بأن الأوامر قد صدرت لقوة حكومية بمنع كارتر وزواره من دخول المقبرة وإذ لم يعجب هذا الإجراء كارتر فقد

أرسل برقية احتجاج للسيد رئيس الوزراء (سعد زغلول باشا) الذي رد عليه قائلا ان هذا المنع كان نتيجة لتعليمات كان كارتر يعلمها شخصياً .. كما أبلغه رئيس الوزراء أود أن أذكر أن المقبرة ليست ملكاً خاصا لك .. وقد فجرت هذه المشكلة دويا ملأ صفحات الصحف قاطبة وبعد يومين أثنين أراد كارتر دخول المقبرة فمنع وتسلم قرار وزارياً يقضي بأن المقبرة اغلقت رسميا بأمر الحكومة المصرية وأنه لا كارتر ولا غيره يمكنه دخول المقبرة أو المقبرة رقم ١٥ التي كان يستعملها كارتر كمخزن ومعمل .

وتعقدت الأمور وكانت وقفة مصر شجاعة صلبة حتي ان رئيس وزراء بريطانيا وقتذاك عندما وجه إليه بعض أعضاء البرلمان الانجليزي أسئلة عما يجري بشأن المقبرة وكارتر وكارنرفون أجاب «ان حكومة انجلترا لا تعطي امتيازات أو عقود لكارتر أو لغيره وان الأمر كله يخص حكومة مصر وحدها ويخضع لقوانينها .

ثم بعدها هدأت الأمور واستقرت محتويات المقبرة في خلال أعوام داخل متحف مصر القومي وبرغم ما قيل أو يقال عن ان المقبرة نقلت بحالها إلي المتحف المصري فإن كارتر وكارنرفون لم يخرجا أصفار الأيادي إذ أنهما لا شك قد اغتالا بعضاً مما وجداه في الأيام الأولي عندما دخلا المقبرة دون رقيب أو حسيب .

الطب فى مصر القديمة



الإله إيمحوتب إله الطب

ما يقرب من العشرين قرناً من الزمان قطعناها في رحلتنا عبر العصور بدءا بالأسر الأولي وحتي انتهينا إلي الأسر الثامنة عشرة التي كان لتوت عنخ آمون من النصيب في الحديث ما لم ينله في حياته ، ملكا ولعل من حق هذه الأسرة قبل أن نتركها أن نقول أن أخر ملوكها كان الملك آي والملك حورمحب الذي كان قائدا للجيوش والذي لم يذكر له التاريخ الكثير إلا قانوناً سنة لتأمين النقل النهري وإلا معبدا صغيرا بناه عند منطقة السلسلة المقابلة لكوم أمبو وبهذين الملكين انتهي حكم الأسرة الثامنة عشرة .

ولعلنا في أحاديثنا السابقة قد أطلنا الكلام عن الملوك بحيث كان علينا لكي تتضح معالم صورة الحياة في أيام مصر القديمة أن نقدم بعض الحديث عن الشعب الذي كان يحكمه هؤلاء الملوك وعن نماذج من فنونهم وآدابهم وانجازاتهم وحياتهم اليومية ومعاملاتهم وأحوالهم كأسرة وكمجتمع .. ولما كانت المداخل إلي كل ما أسلفنا كثيرة فإنه للحق يجب أن نحترم فكر المصري في الحياة الدنيا وما بعدها ونقدم بعض تصور هذا المصري في مسيرة الحياة . فالإنسان يولد ويعيش ويموت وهو فيما بين يوم الولادة ويوم الوفاة يحاول أن يطيل هذه الفترة وهي ما نسميها بالعمر وذلك بالطب والعلاج مما يستلزم أن نبدأ الحديث عن فن الطب والعلاج في مصر القديمة كما كان يعتقده ويمارسه الإنسان المصري القديم .

كان المصري القديم يؤمن بالحياة الأخري .. التي كان يسبقها الموت الذي كان يكرهه – شأنه شأن كل الناس – ولكنه كان يعتقد أن الموت ليس النهاية بل هو بداية لحياة أخري سوف يحياها في معية الآلهة العظام إذا ما حقق خلودا وبقاء لبيت أبديته ولجسمه ، فبني مقابره بالحجر الصلب ليقاوم الزمن واتقن فن التحنيط ليحفظ جسمه من الفناء حتي يمكن لروحه أن تتعرف عليه وتعود وتسكن فيه . ولكنه رغم اهتمامه بابديته فإنه كان يحاول قدر جهده أن يحقق لنفسه حياة في الدنيا من حيث السنين .. طويلة ، ومن حيث الصحة .. مكتملة ، حتي يسعد بمباهج دنياه وحياته .. ولذلك كان عليه ان يتوقي المرض باديء ذي بدء .. وحتي إذا ما مرض كان عليه أن يلتمس العلاج ، لكي لا يؤدي به المرض إلي الموت الذي

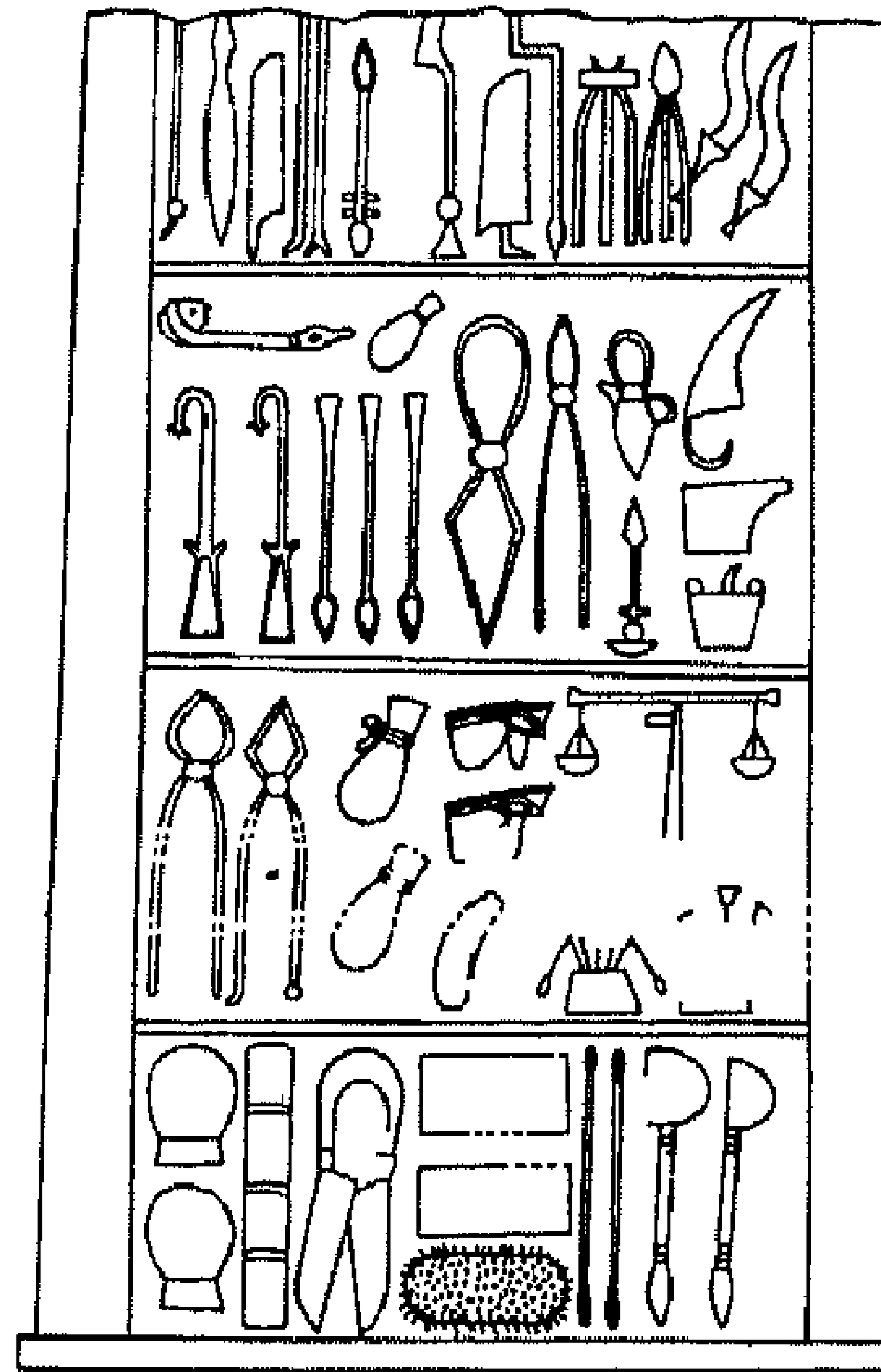
كان يكرهه .. أو الذي كان يحاول تأخير وصوله ، ولأنه كان يعتقد أن الموت هو رسالة من الآلهة إلي الناس ، لذلك فقد كان الدين عنده هو مصدر الكثير من علم الطب المصري .. حتي كان ممن يمكن أن ندعوهم ممارسين في مصر القديمة بعض كهنة المعابد ..

كما كانت بعض المعابد بالإضافة إلي ممارستها للطقوس الدينية كانت تقوم بمهمة العلاج ووصف الأمراض فنجد أن معبد دندرة علي سبيل المثال ، وان كان قد أقيم في عصور متأخرة إلا أن المرضي كانوا يتوجهون إليه للاغتسال في بحيرته المقدسة طلباً للشفاء من أمراض كثيرة كما كان الكهنة يطلبون إلي المرضي المبيت في المعبد ، حتي تأتيتهم رسالة من الآلهة في رؤيا تفصح عن الحالة المرضية ووصفه للعلاج .. كما كانت هناك بعض أماكن بجوار المعابد تسمي بيوت الحياة في مناطق تل بسطا وسايس في الدلتا وفي ادفو وأبيدوس واخيتاتون .

كان الطبيب في مصر القديمة يسمي «سونو» ولم يكن يتلقي دروس الطب في مدارس متخصصة بل كانت هذه المهنة متوارثة آباً عن جد ، وان كانت هناك بعض مواد تدرس في المدارس الملحقة بالمعابد ولأن الجسم البشري كانت له كرامته عند القدماء فلم يكن من الممكن لدارس الطب أن يتعلم الطب بطريق التشريح لأن الموتي - كانوا يسلمون إلي بيوت التحنيط لتتولي عملية التحنيط المعقدة كما أن هؤلاء لم يكن من اليسير لهم مخالطة القائمين بعمليات التحنيط لأن المصريين كانوا يعتبرونهم ملعونين لأنهم كانوا يجرون عمليات تقطيع الجثث وإخراج الأمعاء والقلب من تجاويفها .. ولذلك فإن كل معلومات الطبيب عن الجسم البشري كانت تستسقي بطريق الملاحظة دون الدراسة العملية أو التشريحية .. غير أنه يمكن القول بأنه كان في مصر أطباء في شتي المجالات فمنهم من تخصص في أمراض النساء والأطفال ومنهم من تخصص في أوجاع الرأس أو آلام المعده أو الجراحة أو أمراض الأسنان وقد روي ذلك هيردودت في كتابه الثاني عن تاريخ مصر بل حتي العيون كان هناك أطباء متخصصون في طب العين اليمني وأخرون في طب العين اليسري .

برغم تعدد الآلهة في مصر القديمة للحرب (الإلهة سخمت) وللنيل (الإله

حابي) وللزراعة (الإله اوزيزيس) وللجمال (الإلهة حتحور) وللعدالة (الإلهة ماعت) غير أنه لم يصل إلينا أنه كان لهم إله للطب يعبدونه مثلما كانوا يعبدون من ذكرنا من آلهة .. ولكن في عصور لاحقة اتخذ اليونان أثناء حكمهم لمصر (ايمحوتب) من الأسرة الثالثة وقد كان وزيراً للملك زوسر اتخذوه إلهاً للطب مثل إلههم (اسكلبيوس) برغم ان ايمحوتب لم يذكر عنه أنه مارس مهنة الطب في حياته.



أدوات جراحية مرسومة في معبد كوم أمبو

لقد كان من أهم مصادر المؤرخين لمعرفة مدي ما وصل إليه المصريون في ممارسة الطب كان بعض البرديات تتضمن إما وصفا لحالات مرضية أو علاجاً لهذه الحالات وان كان من الضروري أن نذكر أنه كان للسحر والتعاويذ النصيب الأوفر في مهنة الطب عند قدماء المصريين .

ومن أهم هذه البرديات بردية تشستر بيتي ، ويرجع تاريخها إلي أيام الملك رمسيس الثاني في الأسرة التاسعة عشرة (١٣٠٧ - ١١٩٦) ق .م وتحتوي أغلبها علي تعاويذ سحرية للعلاج ، واحدة منها لإزالة الصداع الذي يصيب الرأس ،فيها يكتب الطبيب المعالج تعويذة موجهة إلي عشرين آلهاً من آلهة مصر القديمة يطلب فيها منهم ان يبعدوا العدو (الصداع) الذي يحارب فلانا أو فلانة ثم يربط هذه التعاويذ حول تمثال من الطين لتمساح في فمه حبة قمح وعينه من القيشاني ويلف رأس التمساح

بقطعة من الكتان وعندئذ يبرأ المريض . . وفي علاج آخر يهدد المعالج الشيطان (الصداع الذي يصيب الرأس في تصورهم) يهدده بالحرق إذا لم يترك المريض .

أما بردية ليدن فيختلط فيها السحر بالعلاج والدواء فنلاحظ مثلاً أنها عندما تتكلم عن علاج عضة الكلب بالسحر فإنها تأمر أولاً بتنظيف الجرح ثم وضع بعض عسل النحل عليه ثم لفه بلفافات نظيفة ، غير أن هذه البردية وهي تتكلم عن بعض الأدوية والعقاقير فأنها أيضاً تعطي وصفات للأضرار بصحة الأعداء ومن كانوا يريدون بهم الأذي .

كما أن بردية ايبرز كانت تتحدث عن الجراحة وان كانوا لم يمارسوا عمليات البتر في الطب غير أنه كان في قانونهم الجنائي بعض عقوبات تقضي بالبتر كجدع انف لص المقابر وقطع اليد أو اللسان أو الأذن .

كما كان المصريون يمارسون عملية الختان وكانت هذه العملية مرسومة علي جدران الكثير من المقابر - كما وجدت أيضاً رسوم لأدوات وآلات جراحية في معبد كوم امبو .

ولعل مما يثير العجب ان في متحف أسوان توجد جمجمة رجل واضح أنه تمت بها في القديم عملية (تربنة) .

كما يوجد علي جدران معبد الكرنك بالأقصر لوحة مخطوط عليها قصة علاج الأميرة (بنتريش) من بلاد الحيثيين وقد أصبحت هذه الأميرة زوجة فيما بعد للملك رمسيس الثاني . ومذكور في هذه اللوحة أنه لما أعيا أطباء بلاد الحيثيين علاج الأميرة فقد بعثوا إلي طبيب من مصر للحضور لعلاج الأميرة وقد تم ذلك وشفيت الأميرة مما كانت تعاني منه .

برغم ما أسلفنا من ان المصريين استعملوا السحر في محاولة علاج بعض الأمراض - وقد كان المصريون يجيدونه - إلا أنهم لا شك كانت لديهم خبرات في الطبيب والعلاج وخصوصاً ما يختص باستعمال بعض الأعشاب النباتية والصحراوية والدهون الحيوانية والزيوت المعدنية والحجامة والتجبير .

الطب فى مصر القديمة (٢)

لم يكن الطب في مصر القديمة - علي اطلاقه - سحرا وتعاويذ وتمائم ، بل مارس المصريون الطب أيضاً بمفهومه الحديث من حيث التشخيص والعلاج حتي ان بعض ما عالجوا به أمراضهم لم يعرفه الطب الحديث إلا في عهد قريب .. ولعل ما وجد من برديات قليلة تحتوي علي العلاج بالتعاويذ والتمائم قد أوحي بأن الطب في مصر القديمة كان كله كذلك ولعل أيضاً ما عرف عن قدماء مصر من دراية عميقة بالسحر - ذكرت حتي في الكتب المقدسة - ما أوجد لدي المؤرخين فكرة أن المصريين مارسوا السحر وحده في العلاج .

غير ان واقع الحال يخالف ذلك فإن المصري باديء ذي بدء اعتمد علي التجربة والملاحظة حين مارس مهنة الطب .. ولعل معرفته وادراكه لأعضاء الجسم الداخلية كالقلب والأمعاء والرئتين والكلي وصلت إليه عن طريق معرفته لجسم الحيوان لا عن طريق تشريحه للجسم البشري الذي كان لا سبيل إلي المساس به - كما أسلفنا في حديث سابق - وان كان يمكن القول أن بعض المحنطين ربما بطريق أو بآخر امكنهم توصيل معلومة أو أكثر عن الجسم البشري لممارس الطب ..

ولقد رأي بعض المؤرخين أنه في عصور ما قبل الأسرات كانت أعضاء المتوفي تفصل كل عضو علي حدة عند الدفن مما أعطي المصريين دراية كافية بتشريح الجسم البشري ولكن هذا الرأي مرفوض لأنه وجدت دفنات من عصورها قبل الأسرات وفيها جثمان المتوفي بكامله ملفوف في حصير أو في جلد حيوان مما يجزم بأن فكرة تقطيع أوصال الجسم لم يكن لها وجود ، ذلك أن المصري منذ قديم الزمان كان يبذل الجهد للحفاظ عليه سليماً حتي تتعرف عليه الروح عند عودتها ... ولذلك فإن الغالب فيما يمكن أن نتصوره مصدراً لعلم الطب وظائف الأعضاء عند القدامي كان عامل التجربة والملاحظة بالإضافة إلي ما توارثه الأبناء عن الآباء والأجداد وكهنة المعابد من معارف ومخطوطات وكتب لعل أهمها كان ما كتبه في علم التشريح أحد ملوك الأسرة الأولي وهو (اثوتيس) الذي اشتهر بمعرفة كاملة بالطب منذ ستة آلاف عام .

ولعل الخلط بين ممارسة السحر والرقي والتعاويذ وبين علم الطب كعلم له

أسس ومباديء يرجع إلي أنه لم يكن هناك حد فاصل بين عمل الطبيب أو الكاهن أو الساحر .. بل لقد كان من الممكن أن يمارس فرد واحد عمل الثلاثة ولذلك فإنه عندما لا يتمكن الطبيب من علاج جروح ظاهرة أو اعراض خارجية يعاني منها المريض كان ككاهن يلجأ إلي الآلهة أو كساحر يلجأ إلي السحر ليعالج ما يعتقد أنها أعراض في داخل جسم المريض لا سلطان عليها إلا بالسحر وقدرة الآلهة لتصوره ان قوي الشر قد دخلت الجسم فسببت المرض والآلام .

ولكن كل ذلك لا يعني أن الطب لم يكن يستند إلي أسس علمية وحقائق بعيدة عن خيال السحر إذ أن المدقق في برديات ترجع إلي عصور الأسرات الأولي ليجد ان المصري عرف القلب ووظيفته في تغذية باقي أجزاء الجسم عبر أوعية تتكلم إذا ما مسها الطبيب باصبعه (النبض) وقد ذكر ذلك في بردية ادوين سميث التي وان كانت كتبت في عهد الأسرة الثامنة عشرة إلا أن جذورها ترجع إلي عصور الأسرات الأولي .

في هذه البردية نجد ما يقرب من ثمانية وأربعين حالة جراحية خاصة بأنسجة الجسم وموضح بها أعراض المرض وتشخيصه وأسلوب العلاج ولعل هذه البردية كانت تجميعاً لحالات مرضية مارسها أطباء مصر منذ الدول القديمة حتي تاريخ كتابة البردية في منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد وكان تقديم كل حالة يتم بوصف الحالة لطالب الطب أو الطبيب والعقاقير التي تعطي لعلاجها ثم الملاحظة وهنا تقول البردية إذا وجدت ان الحالة هي (كذا) فإن تشخيص المرض يكون (كذا وكذا) وإذا وجدت ان الحالة يسيرة ، فقل (سوف اتغلب علي المرض) أما إذا كانت مستعصية أو غير مضمون شفائها فقل (لا استطيع عمل شيء) وفي علاجك لجرح ، ضع عليه شريحة من اللحم في اليوم الأول ثم بعد ذلك ضع عليه بعض الدهون المخلوطة بعسل النحل حتي يتم شفاء الجرح .. ولعل هذه البردية هي الوحيدة التي لم يذكر فيها حالة تعالج بالسحر إلا حالة واحدة .

كان وصف العقاقير يحتاج إلي علم الكيمياء الذي كان من العلوم التي أجادها المصريون وهو العلم الذي سمي علي اسم مصر لأن مصر باللغة

الهيروغليفية اسمها (كيميت) ولما كان تركيب الدواء يحتاج إلي مساحيق من أنواع مختلفة من المعادن أو الأحجار أو من نباتات متعددة أو من زيوت نخيل أو زيتون أو خس أو سمسم أو من بذور ثمار فقد احتفظ المصريون القدماء بهذه الوصفات وكتبوها في برديات أو الوصفات وكتبوها في برديات أو تناقلها الأبناء عن الآباء عبر العصور حتي وصل إلينا منها ما بقي مكتوباً أو متوارثاً .

زار هيردودت اليوناني مصر في القرن الخامس قبل الميلاد فوجد أن الطب متقدم عن طب بلاده وان لكل طبيب تخصص في نوع معين من الأمراض فمنهم من تخصص في علاج أمراض العيون ومنهم من اختص بأمراض الأسنان أو البطن وقال أن المصري يعتني بصحته عناية فائقة ويتخير طعامه ويصوم أياماً ثلاث كل شهر لأنه يعرف أن المعدة بيت الداء ولذلك فإنه يقول أن المصري يعتبر من حيث الصحة من أفضل رجال الدنيا صحة وعافية .

يبدأ المصري في العناية بصحة أطفاله حتي يشبوا أقوياء يعتمد عليهم فكانت لدي الأم أساليب عدة لمعرفة ماإذا كان لبن الرضاعة صالحاً أم غير صالح عن طريق الشم كما كانت تستعمل عقاقير كثيرة لعلاج أمراض التسنين عند الطفل وعلاج النزلات المعوية والسعال ولا تزال بعض هذه العقاقير تستخدمها الريفيات حتي هذه الأيام فقد كانت بذور الخشخاش حتي أوائل القرن الماضي تستخدم في تنويم الأطفال كما كان السعال يعالج ببذور الكراوية وعسل النحل . وكانت النظافة من أهم ما حرص عليه المصري لكمال صحة طفله . كما كانت عادة الختان أيضاً إحدي عوامل هذه النظافة .

كانت المرأة في مصر القديمة تخشي العقم وتتوسل إلي الأطباء للاستعانة بمهارتهم إذا تأخرت في الإنجاب وتتضمن بردية كاهون أغلب مشاكل العقم والحمل والولادة عند المرأة وان كان بعض الوسائل التي يستعان بها تنم عن سذاجة واضحة إذ في إحدي الوصفات يطلب من الأنثي ان تخلط قطعة من الشمام بلبن إمرأة ولدت حديثاً طفلاً ذكر ثم تأكل الخليط فإن قاءته استبشرت خيراً وان بقي في جوفها تأكدت من عقمها .

كما تضمنت بعض الوصفات طريقة لمعرفة نوع الجنين فقد كانوا يطلبون من المرأة الحامل أن تضع قليلا من بولها علي كمية من الشعير وأخري من القمح فإن كان نمو الشعير أكثر من نمو القمح كان الجنين ذكرا وان كان العكس كانت أنثي .

وكانت أمراض الأسنان منتشرة في مصر القديمة ويلاحظ ذلك من فحص جماجم مومياواتهم ، لم يسلم منها غني أو فقير فقد كان الملك امنحوتب الثالث يقاسي من آلام وأوجاع الأسنان وكان علاج الأسنان يتم بمعرفة أخصائين وقد وجد في جمجمة من الدولة القديمة آثار عملية فتح خراج تحت الضرس . كما وجد في جمجمة أخري سلك من الذهب يربط بين ضرسين كان أحدهما يحتاج إلي تثبيت بجوار الضرس الثاني الذي كان ثابتا (كوبري) . عاني المصري القديم من مرض البلهارسيا - كما يعاني منها في الوقت الحاضر فلاحون كثيرون وقد وجدت آثار ديدان البلهارسيا في مومياوات عديدة .

وجدت ضمن وصفاتهم طريقة لعلاج سقوط الشعر يدخل في تركيبها الزيت الذي ينقع فيه حافر حمار وبعض بقايا حيوانية وهي وان كانت وصفة ساذجة إلا أنها تدل علي تفكيرهم في علاج بعض الحالات التي يهتم بها الكثيرون في هذه الأيام ، كما كانت تشتمل بعض الوصفات علي مواد مقززة كلحم الفأر المسلوق ومخلفات البهائم ظنا منهم ان هذه الأشياء تطرد الشياطين من الجسم فيذهب المرض معها .

كان المصري يعتمد كثيراً علي الوصفات التي تدخل النباتات في تركيبها ولا عجب في ذلك فإن مصر بلد زراعي ولذلك فإنه استعمل ثمار شجر السنط والمعروفة باسم (القرض) في علاج حالات الاسهال كما استعملوا ثمار نبات الهجليج كملين في حالات الامساك واستعملوا الدوم في علاج أمراض المثانة والرمان استعمل مغلي قشره في علاج حالات الاسهال وأيضاً لطرد الدودة الوحيدة والنبق استعملت أوراقه لعلاج بعض الأمراض وثماره لتركيب بعض العقارات الطبية كعلاج تورم الشدي وكانوا يقولون في القديم أن كل من يأكل ثمرة نبق واحدة تظل رائحة فمه طاهرة أربعين يوماً . واستعملوا الخس والثوم والبصل والفجل والبقدونس والحنظل وغيرها

علاج في الكثير من الأمراض كما استخدموا العفن وهو الفطر الذي ينمو علي الخبز أو فوق المياه الراكدة في علاج بعض الجروح وهو يماثل البنسلين الذي عرفه الطب حديثا كما سبق أن ذكرنا .

قلنا أن المصري اعتمد علي التجربة والملاحظة وفي هذا نذكر أنه كفلاح كان يري طائر أبو منجل أو أبو قردان وهما منتشران بين الحقول يعبان الماء ثم يستعملا منقاريهما الطويلان كحقنة شرجية لطرد بعض فضلاتهما . وبالملاحظة قلدهما المصري واستعمل الحقن الشرجية في علاج حالات الإمساك .

ان كان قد وصل إلينا من أساليب علاجهم الكثير .. المفيد والساذج فإن الأكثر منه قد ضيعه الزمان أو اتلفه الإنسان ..

الأسرة التاسعة عشرة
الملك سيتى الأول



بهو الأعمدة بالكرنك

آخر ملوكنا الذين عايشناهم خلال رحلتنا عبر العصور وعلي مدي ما يقرب من ألفي عام .. كان توت عنخ آمون الذي أورثه أخوه أو صهره أخناتون تركة ثقيلة من القلاقل في الداخل بسبب الثورة الدينية التي كان قد فجرها والتي انتهت بموته فعادت بعد ذلك سيادة ديانة الآلة آمون إلي مصر .. كما أورثه مشاكل في الخارج كان من آثارها انهيار الإمبراطورية التي بناها تحتمس الثالث ...

وقلنا ان الحكم قد آل إلي «آي» ثم إلي القائد حورمحب الذي كان صهراً لاخناتون أيضاً والذي جلس علي عرش مصر مدة تقرب من خمسة وثلاثين عاماً انجز خلالها ما انجز .. وإذ كان حورمحب لم ينجب أبناء ... فقد قرب إليه واحدا من ضباط الجيش .. ثم نصبه قائدا للقوات المصرية وقد تولي هذا القائد وكان اسمه رمسيس بعد موت حورمحب حكم مصر وربما كان زواج هذا القائد بإحدي بنات البيت المالك هو الذي أوصله إلي عرش مصر . غير أن رمسيس لم يحكم إلا لعام واحد فخلفه ابنه سيتي الأول وكان ضابطاً أيضاً في جيش حورمحب وتولي خلال أيامه الوزارة في الوجه القبلي .

منذ اليوم الأول لحكم سيتي فكر في استعادة مجد الإمبراطورية التي بددها اخناتون والتي كان حورمحب قد بدا يستعيد بعض ما انسلخ عنها فحقق لمصر السيادة علي أرض فلسطين ولذلك فقد كانت أولي حملاته إلي هناك عندما وصل إليه العلم بأن بعض بدو فلسطين قاموا بالعصيان علي الإدارة المصرية وسجل سيتي ذلك علي جدران المعابد التي أنشأها في أبيدوس «العرابة المدفونة» وفي الكرنك بالأقصر ..

وحتي يكون الطريق إلي بلاد أسيا ميسراً لجيوشه فقد عبد الطرق الحربية التي كانت قائمة أيام تحتمس وأنشأ طرقاً أخري في سيناء زودها بنقط مراقبة كما حفر آباراً اعتبرها محطات مياه وذلك علي طول الطريق عبر سيناء إلي آسيا .

ولعله تشبها بالملك حورمحب قام بسن بعض القوانين التي اتسمت بصرامة عقوبتها وذلك لكي يعيد استتباب الأمور إلي مصر بعد أن أفلت زمامها أيام حكم الملوك الضعاف في الإدارة اخناتون وتوت عنخ آمون وآي فقد بلغت العقوبات لبعض

الجرائم حد جدع الأنف وتقطيع الأذان والحرمان من الحقوق المدنية وأيضاً – وهذه عقوبة جديدة استنها سيتي وهي ملاحقة الآلهة للمذنب في حياته وبعد موته باللعنات . .

بقيام الأسرة التاسعة عشرة وقد كان ملوكها من صعيد مصر بلغت بلدة أبيدوس ذروة مجدها وشهرتها وقوتها . . . فقد كانت هذه البلدة مركز عبادة الإله اوزيزيس ومدينته المقدسة وقد قام ملوك هذه الأسرة رمسيس الأول وسيتي الأول ورمسيس الثاني بمحاولة إعلاء شأن أوزيريس فقد بنوا معبدا كبيراً تكريماً للإله أوزيريس هو معبد أبيدوس الشهير ومنذ عهد الأسرة التاسعة عشرة عاد لأوزيريس مجده وأصبح واحدا من أهم مظاهر الديانة المصرية واوقفت العطايا الملكية علي معبد أبيدوس وكانت تقام كل عام طقوس دينية في هذا المعبد تمثل الأسطورة التي كانت تحكي قصة أوزيريس مع أخيه ست آله الشر الذي قتله وقطعه إلي أكثر من أربعين جزءاً ثم كيف قامت اختهما وزوجة أوزيريس الآلهة ايزيس بتجميع أعضاء أوزيريس واعادتها إلي حالتها الأولي وكيف ان أوزيريس أصبح بذلك آله العالم الآخر ومتقدما علي جميع آلهة الموتي السابقين «خنتي امنتي» و«اوب واوات» «واون نفر» .

ولعل من أهم الاثار التاريخية الموجودة من معبد أبيدوس تلك اللوحة الشهيرة المدون عليها أسماء ملوك مصر الذين حكموها منذ عهد الملك مينا مؤسس الأسرة الأولي وموحد القطرين حتي عهد الملك سيتي الأول .

كما يوجد خلف المعبد مبني يسمي الأوزيريون وهو عبارة عن ممر طويل توجد علي جدرانه كتابات من كتاب «الأبواب» وكتاب «ماهو موجود في الآخرة» وبعض مناظر لما سوف يمر به المتوفي في رحلته في العالم الآخر .

كما قام سيتي الأول في عهده وعهد والده ببناء بهو الأعمدة الكبير في معبد الكرنك وهو صالة تبلغ من الاتساع حوالي ثمانية عشرة ألف متر مربع أي أكثر من أربع أفدنة .

وتشمل هذه الصالة ١٣٤ عمودا يكفي أن نذكر أن اعمدتها الأثني عشر

الوسطي يبلغ ارتفاع الواحد منها ٢٣ متراً وقطرها حوالي أربعة أمتار ومحيطها أكثر من ١١ متراً وتحمل هذه الأعمدة فوق اعتابها التي يزن كل منها حوالي ٧٠ طنا كتلا للسقف ترتفع فوق الأرض بحوالي ٢٧ متراً . ويمكن لمائة رجل أن يقفوا فوق كل تاج من هذه الأعمدة التي تمثل زهرة لوتس متفتحة . ويوجد إلي الغرب من هذه الصالة الصرح الثاني لمعبد الكرنك .

ولعل من أعظم ما بناه سيتي الأول هو مقبرته في وادي الملوك والمحفورة في الجبل الغربي والتي تعتبر من أفخم وأجمل وأكبر المقابر الملكية في وادي الملوك وقد سبق أن ذكرنا ان بلزوني المكتشف الإيطالي هو الذي قام بفتحها في عام ١٨١٧ وعمل نماذج لها عرضها في الصالة الملكية في بيكاديللي مع تابوت سيتي المرمري الذي سرقه ونقله إلي متحف «سون» في لندن ويبلغ عمق هذه المقبرة مائة وعشرة أمتار في بطن الجبل وجميع حوائطها منقوشة برسوم رائعة وكتابات مختلفة منقولة عن كتاب الموتي حتي لقد قيل : أن مقبرة توت عنخ آمون علي روعتها وجمالها تبدو إلي جوار مقبرة سيتي كجحر ارنب ..

برغم ان الملك سيتي الأول حكم مصر مدة قصيرة قيل أنها أحد عشر عاماً وقيل أنها أكثر من ذلك بقليل إلا أن هذا الملك علي ضوء ما أنجزه كانت له بصمات واضحة في تاريخ الأسرة ١٩ .

ولعل سيتي في مسيرته عبر حكم مصر أراد ان يتشبه بمن سبقوه من ملوك عظام أمثال تحتمس الثالث في بسط نفوذ مصر إلي الشمال والشرق في آسيا وإلي الجنوب في النوبة وبلاد كوش التي قمع فيها بعض تمرد وعصيان ارادت به الخروج عن طاعة مصر .. وقد كان ذلك في العام الثامن من حكمه .. كما تشبه بامنحتب الثالث في انجازات البناء الهائلة التي شيدها والتي سبق أن أشرنا إليها .. بالإضافة إلي حذوه حذو حورمحب في تشريع القوانين الجنائية الرادعة .

اشرك سيتي معه في الحكم ابنه رمسيس الثاني منذ نعومة أظفاره فقد كلفه ولما يبلغ الرابعة عشرة من عمره بجولات تفتيشية علي العمائر التي اقامها شمالا وجنوبا علي طول مجري النيل كما ارسله في حملات حربية عديدة حتي يتمرس في

فنون الحرب والقتال ... حتي ليمكن ان يقال أن رمسيس كان منذ طفولته ملكا تحت التمرين إلي أن تولي حكم مصر وجلس علي عرشها في عام ١٢٧٩ ق.م. في سن الخامسة والعشرين وذلك بعد وفاة والده سيتي الأول عن ٥٠ عاماً ..

قلنا ان سيتي الأول ووالده رمسيس الأول كانا من قواد الملك حورمحب وتمرسا في الحرب والسياسة في قصر الملك ، وقد خرج سيتي من هذه التجربة بدرس مفاده ان الرجال المخلصين المقربين إلي الملك يشدون الآزر ويحسنون الإدارة ولذلك فقد اختار سيتي من اقربائه وأنسبائه رجالا قلدهم وظائف في القصر وفي الاقاليم .. منهم زوج احدي بنات الأسرة المالكة وهو «تيا» وكان يشغل وظيفة الكاتب الملكي «أمين الديوان الفرعوني» وكان والد «تيا» يشغل وظيفة كاتب ديوان سيد القطرين وكان وزيره «نب آمون» من المخلصين كما كان «آمون أم اوبي» نائب الملك في أقصي الجنوب حتي النوبة مسئولاً عن تزويد القصر بذهب النوبة الوفير .. كما كان من رفقاء رمسيس الأمير الصغير «آمون ام اينت» الذي قلده رمسيس منصباً كبيراً عندما تولي العرش .. والخلاصة ان الملك خلق حوله حاشية مخلصة حملها مهاماً كبيرة واجزل لها العطاء فاحاطت الملك وبيته بالحب والولاء .

ونحن نطيل الحديث عن سيتي الأول يجدر بنا وفاء وعرفاناً ان نذكر سيدة فاضلة ولدت في انجلترا عام ١٩٠٤ ودرست بعض تاريخ مصر القديم .. فبهرها .. وفي عام ١٩٣٣ تزوجت أحد المصريين وجاءت إلي مصر ومنذ مجيئها عاشت بين أحضان التاريخ القديم وعملت فوق هضبة الأهرام مع كبار الآثريين المصريين الدكتور سليم حسن والدكتور أحمد فخري .. وفي أوائل الخمسينات ذهبت إلي العرابة المدفونة (ابيدوس) حيث معبد سيتي الأول وعاشت هناك في بيت مبني من الطوب النيئ (اللبن) تماماً كقدماء المصريين يؤنس وحدتها حمارها الصغير الذي كان وسيلة انتقالها إلي المعبد وبعض دجاجات واوز في فناء دارها .. كانت ترتاد المعبد كل يوم تتأمل وترسم حتي أنها لقبت بـ (ام سيتي) .. وقد عرفها كل سائح زار المنطقة . كانت تقوم بشرح بعض أجزاء المعبد للسائحين وكانت عندما تتحدث عن رمسيس الأمير تقول عنه في مرح (هذا الولد الشقي) وكانت تقول هكذا كانت تدعوه مربيته .

احبت هذه السيدة مصر واخلصت لها الحب .. كان المعبد وذكري سيتي ورمسيس .. والإله اوزيريس .. كل ما يدور في فكرها وخلدها ووجدانها ..

هذه هي السيدة (دوروثي ايدي) التي احبت مصر حتي أنها بنت لنفسها مقبرة في العرابة المدفونة قرب المعبد وأوصت بأن تدفن فيها لتكون قريبة من عالم اوزيريس وسيتي ورمسيس .

وعندما رقدت هذه السيدة في هدوء .. كان لها ما أرادت فقد احتضنها ثري مصر التي لم تغادر أرضها منذ حضورها عام ١٩٣٣ ..

ضمتها مصر الحنون إلي صدرها حباً .. ووفاءً .. وعرفاناً ..

الأسرة التاسعة عشرة
رمسيس الثانى (١)



في عام ١٢٧٩ قبل الميلاد وبعد وفاة الملك سيتي الأول اعتلي رمسيس الثاني عرش مصر وكان وقتها قد اتقن فن الحكم وسلطان الملك وامسك بالصولجان قادرا مقتدرا في عهد ساده السلام والرفاهية وعمت فيه إمكانيات بغير حدود .. وفي مدينة «أواربس» وهي إحدي مدن الشمال وحيث توفي الملك سيتي صدر المرسوم الذي يعلن تنصيب رمسيس ملكاً علي مصر متوجاً بألقاب ... الملك الصقر .. الثور القوي .. المحبوب من الحق .. آله آلهتي الوجه القبلي والبحري .. حامي مصر وقاهر البلاد الأجنبية .. حورس الذهبي .. الغني في الأيام .. العظيم في الانتصارات ملك الوجهين القبلي والبحري .. أوسر ماعت رع «القوي في عدالة رع» ستب ان رع «المختار من رع» .. ابن رع رمسيس الثاني حبيب آمون..

- كان رمسيس وقتها في الخامسة والعشرين والعمر .. وقد انجبه سيتي من احدي زوجاته الملكيات «تويا» .. كما كان له اخ غير شقيق أكبر منه ولكن رمسيس نحاه سريعا بحيث لم يعد حتي لهذا الأمير أثر يذكر علي جدران معابد ابيهما سيتي.. ويجدر ان نذكر ان رمسيس يوم اعتلي العرش كانت له زوجتان هما «نفرتاري» و«ايزي نفرت» وكان له من الأولاد منهما ما يقرب من العشرين ولدا غير البنات كما كان له من حريم أخريات ثانويات بالقصر وقتذاك أكثر من عشرين ابنا آخرين .

سارت الأمور هادئة في الأعوام الثلاثة الأولي من حكم رمسيس فقد كان القصر مستقرا لا تحاك فيه دسائس أو مؤمرات كما كانت مصر كلها تدين بالولاء لرمسيس الثاني ملكها الشاب .. ولعل ما يمكن ذكره من الانجازات خلال هذه السنوات الثلاث لا تتعدي ترميم بعض ما تهدم من معبد والده سيتي في ابيدوس .. أو اعادة النظام في شأن الصرف علي المعبد .. وكذلك تعيين كبير لكهنة آمون في الأقصر .. وارسال بعض بعثات بحثا عن ذهب النوبة .. أو فيروز سيناء .

في عامه الرابع خرج رمسيس علي رأس قواته إلي سوريا لكي يؤكد سلطان بلده علي المناطق التي كانت ضمن امبراطورية مصر أيام تحتمس الثالث والتي كان ضيعها اخناتون ... وخلال هذه الحملة أعاد لمصر بلاد أمورو (سوريا ولبنان)

وأخضع ملكها الذي كان يدين بالولاء لملك الحيثيين ووصل في زحفه حتي مشارف «قادش» وقد سجل رمسيس انتصاراته في هذه الحملة علي لوحتين أحداهما في بلدة «بيبلوس» والثانية عند نهرالكلب قرب بيروت .

عاد رمسيس إلي مصر وفي شمال البلاد بدأ في تدريب قوات مقاتلة ضاربة ليعيد في زمن لاحق حملته علي الشمال والشرق وليبسط سلطانه علي مدينة قادش .... وأعد أربعة فيالق .. كل فيلق أسماه باسم أحد آلهة مصر .. آمون ورع وبتاح وست .. وفي العام الخامس من حكمه خرجت حملته برا عبر القنطرة وسيناء وغزة .. وبحراً عن طريق شاطيء البحر الأبيض المتوسط حتي شواطيء سوريا .. وفيما كان رمسيس يخطط لاقتحام مدينة قادش كان ملك الحيثيين (موتلا) يخطط لحماية المدينة وعمل التحصينات لها .. ويعزز قواته أفراداً وعتادا ..

وفي محاولة من الحيثيين لتضليل القوات المصرية ومخابراتها - ارسلوا أثنين من البدو ليوهموا المصريين أنهما أعلنا العصيان علي ملك الحيثيين وأنهم يطلبون اللجوء إلي ساحة مصر وحماية الفرعون .. وأعطوا الملك رمسيس معلومات مضللة خاطئة عن قوة الحيثيين وعن ان ملكهم كان يرقب الأمور علي بعد أكثر من ١٢٠ كيلومترا من قادش .. مما دفع برمسيس إلي الإسراع بفيلق واحد هو فيلق آمون لاقتحام قادش ودون انتظار امدادات الفيالق الأخري لحماية ظهره .. مما لم يمكن رمسيس من تحقيق أي نصر علي قادش أو علي ملك الحيثيين ... وان كان الحيثيون أيضاً لم يحققوا تفوقاً علي المصريين .. وكأنما يمكن القول أن الجولة أسفرت عن تعادل في عدم تحقيق شيء يذكر لأي جانب .. وفي محاولة من ملك الحيثيين لحسم الموقف بالطرق الدبلوماسية ارسل مبعوثين إلي رمسيس يعرضون وقف القتال وعقد صلح بين الملكين الأمر الذي لم يتحمس له رمسيس الذي عاد إلي مصر - دون عقد صلح أو هدنة - وبدأ مرة ثانية يراجع حساباته ويرتب قواته..

برغم أن رمسيس لم يحقق نصراً علي قادش إلا أنه سجل علي جدران معابد ابيدوس والأقصر والكرنك وأبي سمبل وقائع معركة قادش وفيها يشير بما اوقعه من خسائر في قوات العدو ويرسم صورا لمعركة ضارية بين قوات المصريين وجحافل

الحيثيين وكيف أن العربات الحربية للحيثيين كان تهوي كالذباب في النهر المحيط بمدينة قادش .. تحدث رمسيس عن المعركة ناسيا ما حاق بفيلقين له هما آمون ورع من خسائر فادحة .. وناسيا أيضاً ما فقدته مصر من سيطرة علي بلاد في سوريا وفلسطين .. وماترتب علي هذا من خروج ولاة هذه البلاد عن طاعة مصر ورفضهم دفع الجزية والخراج لمصر مما دعاه إلي أن يقوم بحملات في الأعوام التالية علي سوريا وفلسطين لاستعادة نفوذ مصر علي هذه البلاد التي كان والده قد استرد نفوذ مصر عليها عقب توليه الحكم وقد حقق رمسيس من خلال هذه الحملات ما حقق وكان ذلك في العام العشرين من حكمه ..

في العام الحادي والعشرين سقط ملك الحيثيين «موتلا» قتيلاً ... ولم يذكر التاريخ ان كانت وفاة الملك في ميدان قتال أو علي يد أحد الأعداء ... ولكن المؤكد ان شقيق الملك المتوفي وهو «خيتاسار» تولي الحكم بعده وانه اراد ان ينهي النزاع بين بلده وبين مصر .. فاقترح علي رمسيس عقد معاهدة سلام دائم بين رمسيس وبينه .. وحمل رسل هذا الملك في العام الحادي والعشرين نصوص المعاهدة إلي رمسيس في مصر وكانت تتضمن ثمانية عشر مادة مدونة علي لوح من الفضة وربما تكون هذه المعاهدة هي أقدم المعاهدات الدولية المكتوبة وتنص علي أن عامل بلاد «خيتا» في آسيا الصغري الملك خيتاسار العظيم ابن ميراسار ملك خيتا العظيم حفيد «سبلل ملك خيتا الأسبق » عاهد «اوسرماعت رع» رمسيس الثاني حاكم مصر الكبير العظيم ابن الملك سيتي الأول ملك مصر العظيم وحفيد رمسيس الأول ملك مصر العظيم .. تعاهد الملكان علي تحقيق السلام والأخاء بينهما إلي الأبد ... ثم استعرضت المعاهدة العلاقات الثنائية بين البلدين وتعهد كل من البلدين بعدم تجدد القتال أو العدوان ... وبتحالفهما ضد أي عدو .. وعلي التعاون في كافة المجالات وقد ذيلت هذه المعاهدة بأسماء الف إله من آلهة الحيثيين ومثلهم من آلهة مصر كشهود علي هذه المعاهدة .. وتعهد هذه الآلهة بأنها ستمطر من يخرق بندا من بنود المعاهدة باللعنات .. مثلما ستمنح البركة لكل من يحفظها ويحقق محتواها .

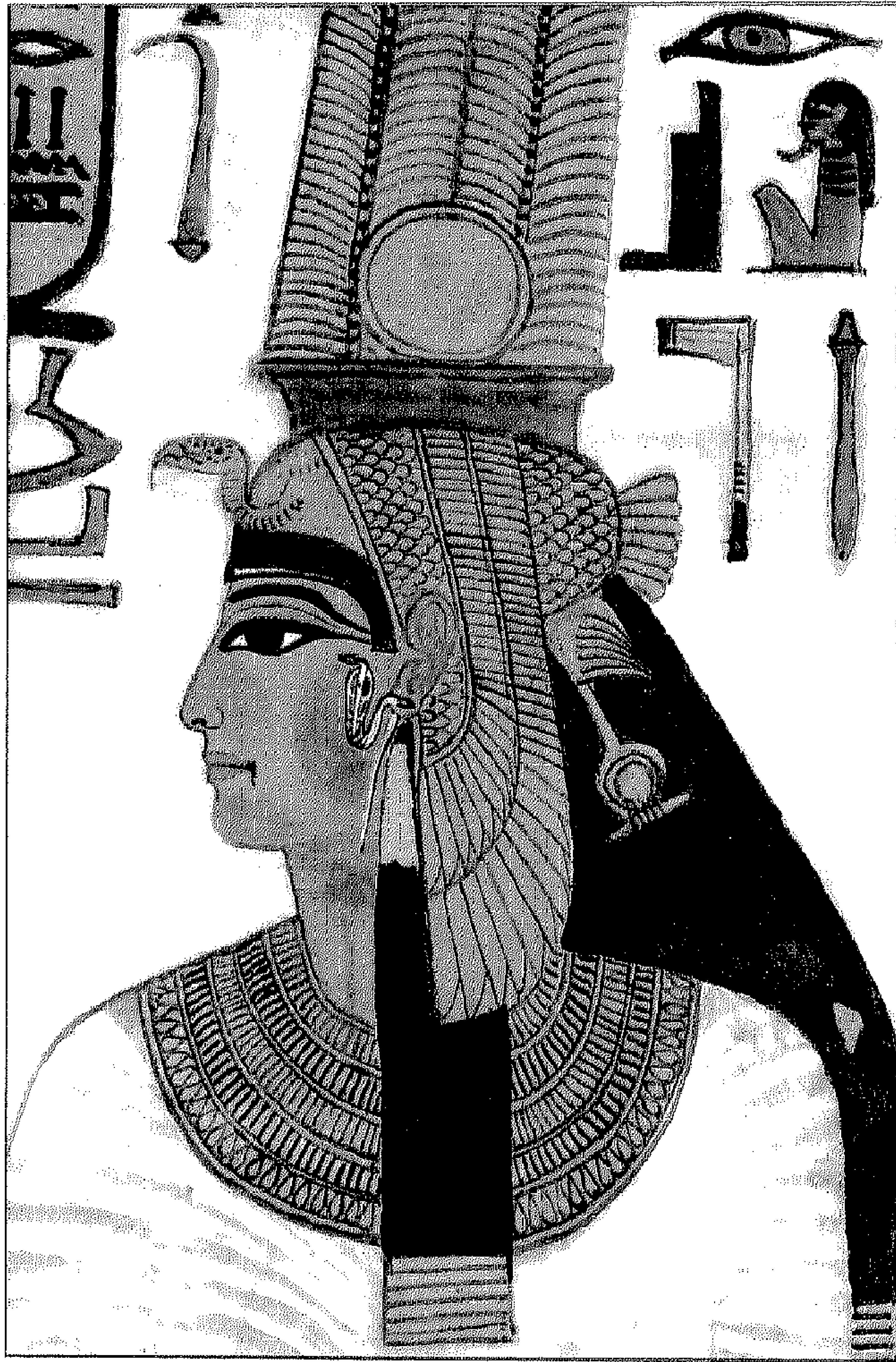
ولقد سجل رمسيس نصوص هذه المعاهدة علي جدران معبد الكرنك أما النسخة الثانية من المعاهدة والتي كانت في حوزة ملك الحيثيين فقد عثر عليها في

عام ١٩٠٦ الأثري «وينكلر» في بوغازكوي «تركيا» وقد كانت محررة باللغة المسمارية كتابة الحيثيين .. مما يدل علي أن المعاهدة حررت بلغتي البلدين وقد تطابق النصان ألفاظاً ومعان ..

منذ إبرام هذه المعاهدة بين رمسيس ملك مصر وملك الحيثيين لم يقم رمسيس بأي حملات حربية تالية إلي آسيا .. وان كان رمسيس قد آرسل بعض الحملات إلي بلاد النوبة فقد كانت لقمع اضطرابات في الجنوب .

ولعل السلام الذي تم بين رمسيس الثاني في مصر ونظيره الملك خيتاسار قد توج في العام الثالث والثلاثين من حكم رمسيس بزواجه من ابنة الملك خيتاسار والتي اعطيت اسما مصريا هو «مات نفرو رع» وقد حضر ملك الحيثيين إلي مصر في موكب رائع حاملين هدايا بلاده النفيسة إلي مصر ... وقد سجلت وقائع هذه الزيارة علي جدران المعابد في مصر كما أشاد الشعراء والكتاب بهذه المناسبة السعيدة .. كما سجل التاريخ زواجاً آخر لرمسيس الثاني من إحدي الأميرات الحيثيات في العام الخامس والأربعين من حكمه وقد كان الملك وقتها قد بلغ السبعين من العمر .

الأسرة التاسعة عشرة
رمسيس الثانى



نفرتارى

رغم ان رمسيس الثاني لم يحقق ما أنجزه احمس الأول الذي طهر أرض مصر من الهكسوس المعتدين .. كما لم يكن له انجاز تحتمس الثالث الذي أقام امبراطورية شاسعة الأطراف .. ولم يكن له فكر اخناتون الذي نادي وبشر بأول دين ينادي بالتوحيد .. إلا أن اسم رمسيس وحده ملأ ويملؤ اسماع الدنيا كلها .. لا يذكر اسم مصر الا ويتبادر إلي الأذهان اسم هذا الملك الذي يسميه المؤرخون برمسيس العظيم .. ورمسيس الأكبر .. والذي تحقق له ما كان يريد من شهرة في حياته وبعد رحيله..

يعد رمسيس الثاني شخصية من حيث الشهرة ، من أروع الشخصيات في التاريخ .. فقد عاش من العمر تسعة وتسعون عاماً .. جلس وحده علي العرش منها سبعة وستون عاماً ..وشارك والده سيتي الأول عشرة أعوام ، وكان له من الزوجات بضع مئات كما انجب ١١١ ولدا غير البنات اللاتي تزوج عدداً منهن ، حتي لقد بلغ أولاده وأحفاده عدداً من الكثرة بحيث كونوا طبقة في مصر اختير منها حكام علي مدي أكثر من مئة عام تالية .

كما غطي رمسيس الثاني الدلتا والصعيد وبلاد النوبة حتي كوش «السودان» بالمعابد التي سجل عليها اسمه .. ولعل أشهرها معبدي ابي سمبل الشهيرين وهما من دور المعابد المصرية القديمة التي حفرت في الصخر في بطن الجبل بكاملها والمعبد الكبير انشيء لاسم رمسيس أما الصغير فقد نحت لاسم الملكة نفرتاري الزوجة الحبيبة إلي قلبه .. ولقد تم انقاذ هذين المعبدين في الستينيات بعد أن قامت فكرة إنشاء السد العالي والذي كان من نتائجه ارتفاع منسوب المياه خلف السد إلي درجة كانت تغمر المعبدين لو لم يتم التعاون الدولي علي هذا الانقاذ الذي يقف شاهداً علي اهتمام الفكر والضمير الإنساني بالحفاظ علي التراث التاريخي العظيم والذي يعتبر من أهم الأعمال الهندسية والثقافية التي تمت في مجال علم الآثار .. فقد قامت هيئة اليونسكو بالتعاون مع ٥٠ دولة بانجاز رفع المعبد الي ارتفاع ٦٧ مترا فوق الموقع الأصلي وقد تحملت مصر ثلث التكاليف كما تحملت أمريكا الثلث الثاني وباقي الدول الثلث الباقي وقد كان للدقة الفائقة التي تم بها رفع المعبدين

مايجعل هذا العمل الهندسي من أروع ما حققه إنسان العصر في هذا الصدد ولعل المعبد الكبير في أبي سمبل يتميز بقدس الأقداس في داخله والذي تسطع أشعة الشمس عليه حتي يومنا هذا مرتين في العام مرة في ٢٣ فبراير ومرة في ٢٣ أكتوبر .. فيض من النور يغطي وجه رمسيس صباح هذين اليومين في قدس الأقداس مع الآلهة بتاح وآمون وحوراختي محتفلا بعيد ميلاد الملك وعيد جلوسه علي عرش مصر .

وعلي ذكر صحوة الضمير الإنساني في انقاذ ما كاد يغرق أو يتلف من الآثار المصرية .. لابد أن نذكر ما قامت به مصر ومعها بعض الهيئات الدولية من انقاذ معابد كلابشه ودندور ووادي السبوع وفيله والكثير من معابد النوبة التي تقع بجانبها أيضاً قلعة كوبان علي الطريق الذي يوصل إلي مناجم الذهب في وادي العلاقي وهذه القلعة وان كانت قد شيدت في الدولة الوسطي إلا أن من بين احجارها لوحة هامة سجل عليها رمسيس قصة مؤداها ان والده سيتي الأول كلفة بأن يؤمن وصول المياه إلي مئات العمال الذين يعملون في مناجم الذهب ولأن عملية النقل كانت تكلف الكثير من الجهد والمال فقد رأي رمسيس أن تحفر بئر في الطريق المؤدي إلي المناجم ولكنه لم يوفق في ان يجد ماء .. غير أن رجال حاشية رمسيس طلبوا منه أن يبتهل إلي الإله لكي تفجر المياه بكلمة من فمه لأنه تجسيد للإله رع .. لقد استمع الأمير إلي النصيحة فتفجرت المياه بوفرة من البئر .

كما لا يفوتنا أن نذكر ما تم أخيراً من معالجة لمقبرة الملكة نفرتاري زوجة رمسيس والمنحوتة في صخر الجبل في وادي الملكات والتي تعتبر من أجمل المقابر في الوادي كله من حيث روعة النقوش والألوان .. وعلي ذكر هذه المقبرة يجدر أيضاً أن نذكر مقبرة رمسيس الثاني نفسه في وادي الملوك والتي عانت من تعديات لصوص الآثار بحيث ان الانقاض التي تملأ مدخلها الآن يجعل من العسير زيارتها .. وكان من نتيجة هذه التعديات ان نقلت مومياء الملك في القديم مرة إلي مقبرة والده سيتي الأول ثم إلي مقبرة الفرعون امنحتب الثاني وفي النهاية إلي خبيئة الدير البحري بعد المحاكمة الشهيرة للصوص المقابر التي تمت في عهد الملك رمسيس التاسع .. ثم نقلت المومياء في القرن الماضي إلي متحف القاهرة بعد ان أرشد أحد أبناء أسرة عبد

الرسول بالقرنة عن مكان الخبيئه ..

وعن هذه المومياء كانت قد طالعتنا جريدة الأهرام القاهرية في ٢٣ يناير ١٩٧٦ بخبر عنوانه «القصة الكاملة لمومياء رمسيس الثاني ورحلته إلي باريس» ويقول الخبر : ما هي القصة وراء ارسال مومياء الملك رمسيس الثاني إلي باريس مع بعض الآثار التي سوف تعرض هناك ... منذ اشهر مضت طلب الدكتور موريس بوكاي وهو عالم فرنسي في الطبيعة مقابلة الرئيس السادات لأمر هام وخطير وخلال المقابلة ابلغ الدكتور المذكور الرئيس السادات أنه عند زيارته إلي المتحف المصري وجد أن بعض مومياوات الفراعنة معرضة إلي تلف تاريخي .. وان عملية تحنيط هذه المومياوات لم تعد كافية لحفظها من عوادي الزمن .. وقد سأله السادات عما يمكن عمله فأجاب أن الحل الوحيد هو عمل بعض فحوص وتحليل لبعض عينات تؤخذ من المومياوات لمعرفة السبب وعلاجه واضاف العالم الفرنسي أنه لا يوجد إلا حل واحد وهو نقل المومياء إلي باريس للفحص والعلاج في أحد المعاهد المتخصصة .. وقد وعد السادات هذا العالم ببحث الأمر .

وفي ديسمبر ٧٥ كان الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان في زيارة لمصر وقد سأل السادات وقتها (هل سترسلون مومياء رمسيس الثاني إلي باريس مع الآثار التي سوف تعرض في باريس في العام القادم .. عندئذ قص عليه السادات ما جري من حديث مع العالم الفرنسي بوكاي مؤكداً أن سفر المومياء يعني ضرب عصفورين بحجر فمن ناحية سيكون ذهاب رمسيس إلي باريس تحقيقاً لرغبة الرئيس الفرنسي الصديق ومن ناحية سيمكن من فحص المومياء في باريس ومعرفة سبب التلف الذي أصابها .. وأضاف السادات أنه إذا ما عرف السبب فإن ذلك سيساعد علي علاج باقي المومياوات ..

وبعد اعتراضات من جانب الآثريين المصريين وخشيتهم علي جثمان الملك المصري .. وتأييد من بعض آخر يريد ويبارك علاج المومياوات خاصة وأنه قد وجد بعد إجراء التحليل أن بعض الفطريات تهاجمها ..

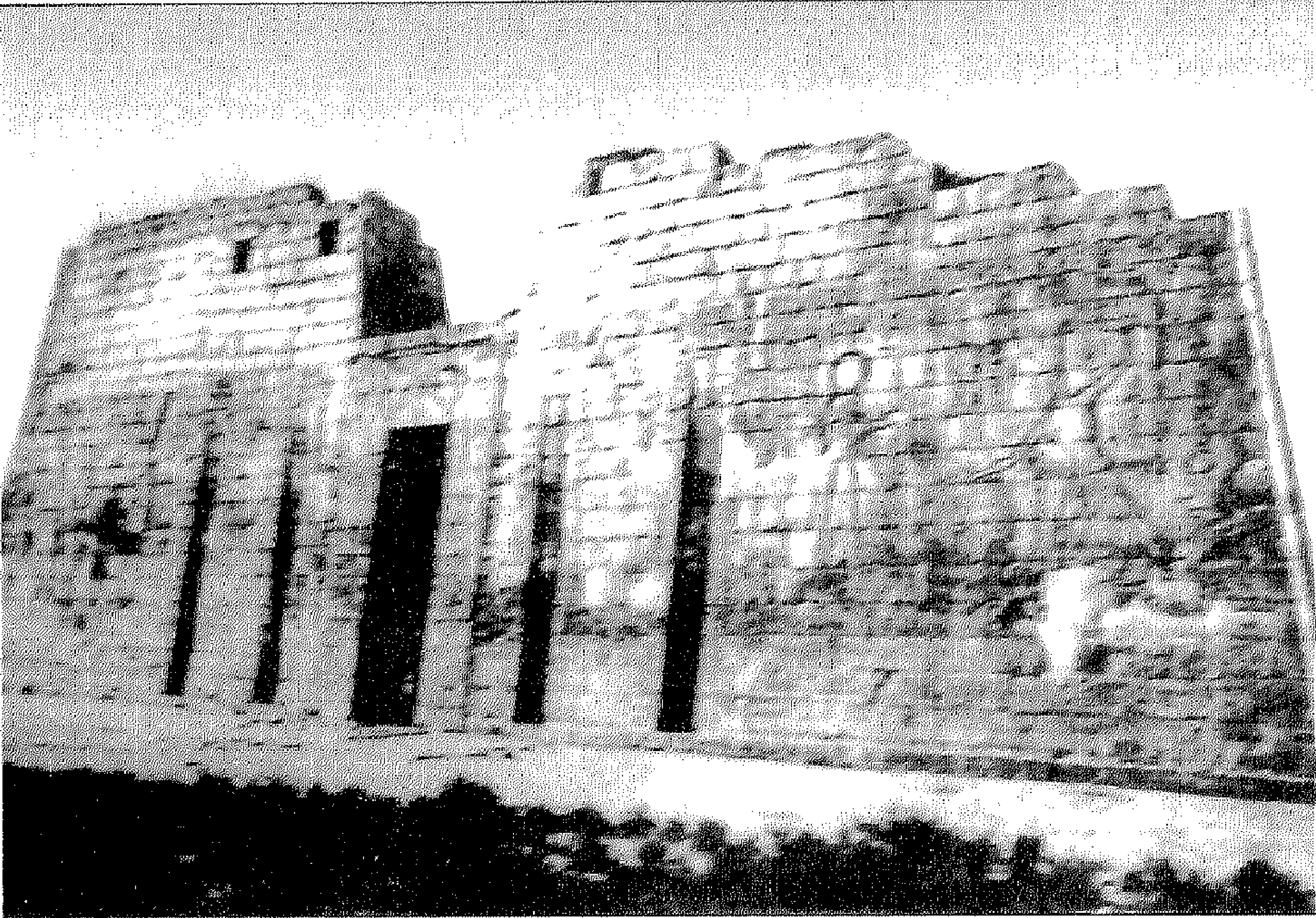
بعد شد وجذب غادر رمسيس أرض الوطن إلي فرنسا للعلاج ترافقه بعثة من

الآثريين والعلماء من فرنسا ومصر .. ووصل الملك علي متن طائرة حربية إلي مطار لوبورجيه في فرنسا في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٧٦ وقد استقبله من الهيئات الفرنسية الوزراء وأمناء متحف اللوفر وسفير مصر في فرنسا كان الاستقبال يتصف بكل مظاهر الاستقبال الرسمي للملوك والقواد فقد عزف السلامان المصري والفرنسي في المطار لحظة وصول المومياء ... وإذ كانت إحدي المسلات التي نقلت من معبد الأقصر في عام ١٨٣١ وزرعت في ميدان الكونكورد ١٨٣٦ تحمل اسم رمسيس فقد تقرر ان يمر موكب الملك بهذا الميدان حتي تسعد روح الملك بالمرور علي أثر له في باريس وذلك كما ذكرت صحف فرنسا وقتذاك .

وعلي ذكر هذه المسلة نذكر أن مصر صاحبه كل المسلات لم يبق منها إلا خمسة بينما يوجد بإيطاليا وحدها عشرين وفي كل من فرنسا ولندن واسطنبول ونيويورك واحدة .

وأيضاً علي ذكر ما انجز رمسيس من مباني ومعابد نشير إلي ما بني في الكرنك من مبان ، كما يوجد في البر الغربي معبد الرمسيوم الذي أصابه زلزال هدم الكثير منه وحطم تمثالا لرمسيس كان بحسب قياسات علماء نابليون في القرن التاسع عشر يبلغ من الطول ١٩ مترا وفي الوزن حوالي ١٠٠٠ طن .. كما يوجد لرمسيس تماثيل أخري بميت رهينة في البدرشين نقل أحدها في الخمسينيات إلي ميدان رمسيس في مواجهة محطة سكك حديد القاهرة .

الأسرة العشرين
رمسيس الثالث (١)



الصرح الأول لمعبد رمسيس الثالث - مدينة هابو

أكثر من ثلاثة قرون منذ طرد الهكسوس ، ومصر تتحدث عن أمجاد أبنائها وغزواتهم وانتصاراتهم في الشرق والجنوب .. لكن الروح التي كانت تحرك هؤلاء الأبناء بدءاً بأحمس وبتحتمس وامنحتب وحتي رمسيس الثاني بدأت تخبو .. وبدأت شعوب من الشمال والغرب تحاول أن تجد لها مكاناً .. مع مصر .. وحتي في مصر هذه الشعوب كانوا سكان البحر المتوسط في ساحله الشمالي .. وأبناء ليبيا في الغرب .. وحتي في الشرق علي أطراف الامبراطورية المصرية القديمة .. كل هؤلاء بدءوا بموجات من التحدي علي حدود مصر بحيث أصبح هدف الفرعون الحفاظ علي ما تحقق من توسع لا توسيع رقعة ما تحقق .. وبحيث أصبح الحديث عن الدفاع أجدي من التفاخر بالأمجاد .

مضي زمان رمسيس الثاني بعد حكم دام ٦٧ عام وجلس علي عرش مصر ابنه مرنبتاح وكان الثالث عشر في الأبناء إذا توفي في حياة رمسيس من سبقوا مرنبتاح في ولاية العهد .. وحتي مرنبتاح آل إليه الحكم وهو طاعن في السن .. عجوز تربع علي العرش بعد عجوز فورث تركة تحيط بها المتاعب من كل جانب .. فقد كانت هناك حاجة في الحصول علي ذهب النوبة بعد أن ضيع رمسيس الثاني الكثير من ذهب مصر .. وحاجة إلي عبيد للعمل في المناجم والخدمة في القصور .. كما أن الحروب المتصلة مع آسيا وما استتبع ذلك من استعانة بجنود مرتزقة من بلاد عديدة .. وازدياد نفوذ حكام الجنوب في النوبة وكوش بعد ما أصاب الوهن جسم رمسيس وكيان مصر أثناء حكمه الطويل .. وأيضاً ازدياد ثروة المعابد من أراض زراعية ومواشي وسفن مما حقق للكهنة ثراء وسلطاناً طاول سلطان الفرعون .. كان كل ذلك من أسباب حملت الكثير من الهم لمستقبل مصر واورثت مرنبتاح العجوز هذه التركة من المتاعب .. وفوق ذلك فقد واجه هذا الملك الجديد في العام الثالث من حكمه تمردا في فلسطين تمكن من قمعه وتأديب المدن الفلسطينية .. وقد دون انتصاره هذا علي لوحة وجدت في معبد الكرنك مذكور فيها أن اسرائيل بددت أمامه ولم يبق منها شيء .. والواضح أن هذه هي المرة الوحيدة التي يذكر فيها اسم اسرائيل علي أثر من الآثار المصرية .. وحتي ان بعض الآثريين ظنوا أن الملك مرنبتاح هو فرعون الخروج الذي تم في عهده هروب اليهود من مصر .. ولكن هذا الرأي

مردود عليه ان مرنبتاح حكم في العام ١٢٢٥ ق.م وان الثابت من شواهد سفر الخروج ان هرب موسي وشعب اسرائيل من مصر تم في عام ١٤٩٠ ق.م أي قبل أيام مرنبتاح بأكثر من قرنين من الزمان .. هذا فضلاً عن أن سفر الخروج يتحدث عن غرق الفرعون في البحر الأحمر مع أن الثابت أن مومياء مرنبتاح لا زالت موجودة في المتحف المصري وأن سبب الوفاة لم يكن الغرق ..

وفي هذه المجال أيضاً ذكر بعض المؤرخين ان رمسيس الثاني كان فرعون اضطهاد اليهود وتسخيرهم ويستشهدون بذلك بما وجد من بعض قوالب من الطوب مختومة بختم الملك رمسيس الثاني ويعتبرون هذه القوالب دليل علي ما ذكره سفر الخروج من أن الفرعون كان يسخر اليهود إذا جاءت الآية تقول «ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل» ولكن يدحض هذا الرأي أيضاً ما رأيناه من ان رمسيس ومرنبتاح عاشا في القرن الثاني عشر قبل الميلاد واضطهاد اليهود وهروبهم كان في القرن الخامس عشر .

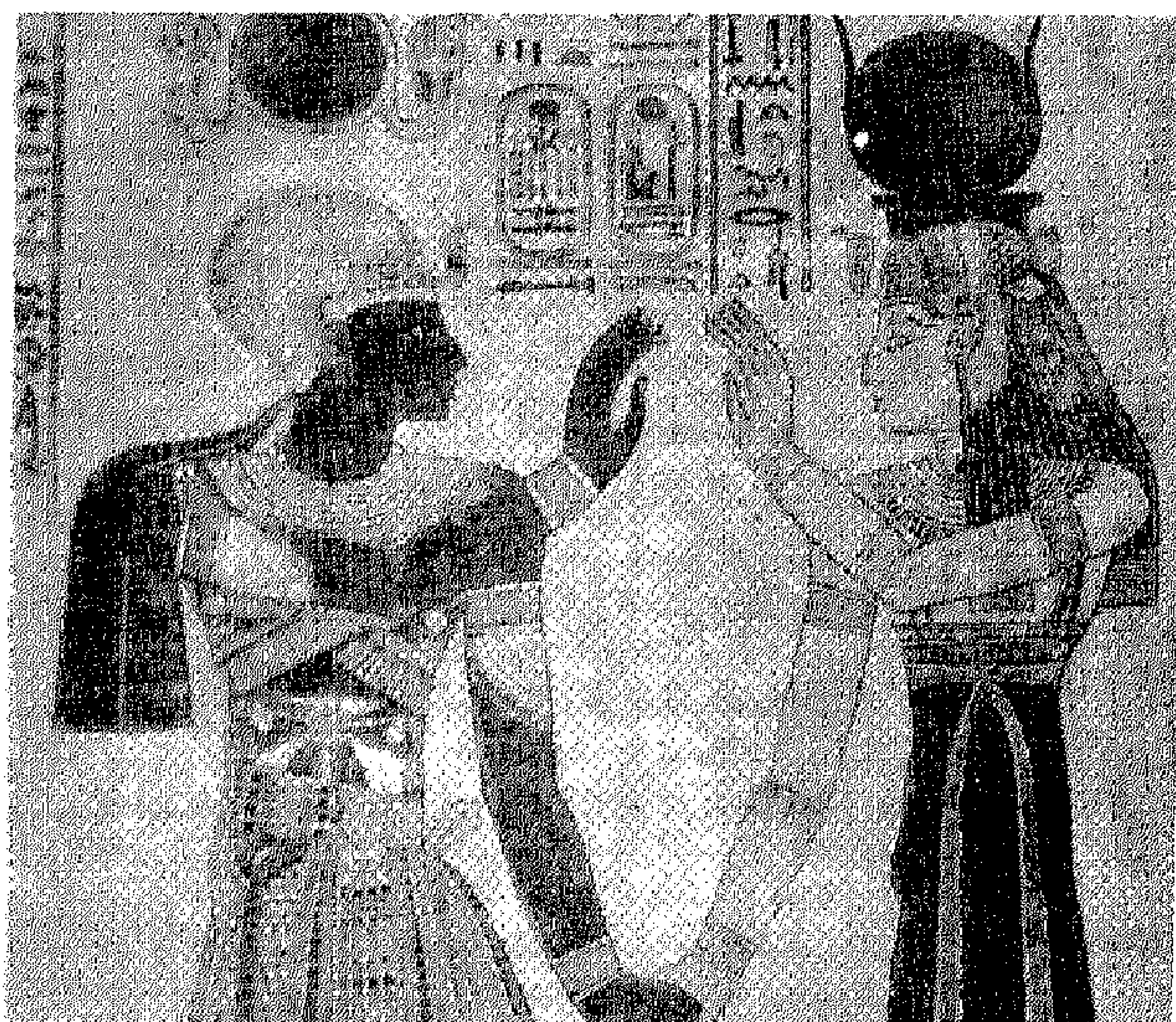
في العام الخامس من حكم الملك مرنبتاح هاجمه الليبيون بقواتهم وعتادهم ومن كان يوازرهم من شعوب البحر المتوسط غير أن الملك مرنبتاح تمكن من رد عدوانهم بعد أن وصلوا حتي الدلتا يتقدمهم ملكهم المدعو «مري» وعند مدينة بلبيس الحالية انتصر مرنبتاح علي الغزاة وقتل منهم الألوف كما أسر الكثير وهكذا تمكن هذا الملك برغم تقدمه في السن وبرغم الخزانة المنهكة التي تركها له رمسيس الثاني الذي اسرف في البناء والبذخ .. تمكن من أن يسير بالسفينة في هذه الأجواء الملبدة .. خلال الأعوام العشرة التي حكم فيها البلاد ..

كان لابد بعد ان حكم البلد ملكان بلغا من العمر ارذله ان يطمع في العرش الطامعون .. ولذلك نجد ان الفترة التي تلت حكم مرنبتاح .. نجد أنها كانت فترة تسودها القلاقل والصراعات علي تولي الحكم بحيث لم نسمع ان ملوكا حكموا بعد مرنبتاح وكان لهم انجاز يذكر .. وهكذا طويت صفحة أسرة كان لها شأن ومقام في تاريخ مصر القديم .

لعلنا في مرورنا طوال رحلتنا عبر عصور مصر قد رأينا كيف ان كل أسرة

حكم فيها ملوك مشاهير .. فالأسرة الثامنة عشرة تميزت بالفاتح المنتصر تحتمس الثالث .. وبالجالس علي عرش الأبهة والفخامة امنحتب الثالث وبصاحب رسالة التوحيد اخناتون .. والأسرة التاسعة عشر حكمها ملوك حققوا في الحرب انتصارات وفي السلم انجازات هم سيتي الأول ورمسيس الثاني ومرنبتاح ولكن الأسرة العشرين التي ندخل إلي رحابها لم يبرز منها إلا ملك واحد .. هو رمسيس الثالث الذي يعتبره المؤرخون آخر العظماء من فراعنة العصر القديم والذي بنهاية اسرته لم يبرز في الساحة واحد يمكن أن تشيد بعظمته الأقلام .. برغم تعاقب الأسرات حتي الأسرة الثلاثين وبرغم الطابور الطويل من الملوك والحكام .

الأسرة العشرين
رمسيس الثالث



الملك رمسيس الثالث فى حضرة الالهه ايزيس



منظر لمعركة يقودها رمسيس ضد الليبيين

جلس رمسيس الثالث علي عرش مصر وكان الثاني في ترتيب ملوك الأسرة العشرين .. إذ تولي عرش مصر قبله والده الملك « ستي نخت » الذي حكم البلاد عامين فقط والذي كانت قد سبقته حالة من الفوضي سادت البلاد ودامت حوالي ربع قرن بعد حكم مرن بتاح آخر ملوك الأسرة التاسعة عشرة ... وقد واجه الملك الجديد ما سبق أن واجه مرن بتاح من صعاب ولكن شباب رمسيس الثالث مكنه من أن يتغلب عليها بيسر وسهولة أكثر من مرن بتاح الذي كان كبر سنه عائقا أمامه في تذليل ما قابله من صعاب ..

كان رمسيس الثالث في بداية حكمه تواجهه من الداخل عوامل شتي أهمها أنه كان يتعامل مع كهنة علي درجة عظيمة من القوة والسلطان ومع جنود مرتزقة يخدمون من يدفع أكثر ومع عبيد يخلصون لمن يحسن معاملتهم ومع رجال بلاط من الأهل والأنساب كل له مطمع وتطلعات .. ومن الخارج كان يتربص به عدو من الشمال هم شعوب البحر الذين بدأت شوكتهم تقوي خاصة وأنهم كانوا قد حطموا بلاد الحيثيين في الشرق وبدءوا في غزو مصر مع الليبيين الذين تقع حدودهم غربي مصر .. ولذلك وجد الملك لزاماً عليه أن ينشئ جيشا قوياً لتوقي عدوان هذه الشعوب ولكي يحقق هدوءا وأمانا للبلاد ..

لم يقدم لنا التاريخ ما يؤكد أن رمسيس الثالث ووالده كانا فرعا من سلالة سيتي الأول ورمسيس الأول ورمسيس الثاني ولكن رمسيس الثالث وقد شاء أن يحقق لنفسه مجداً وشهرة اراد أن يتشبه بسميه رمسيس الثاني فآقام من الأبنية مثلما اقام رمسيس الثاني في الهندسة لا في العدد .. وحتي يكون رمسيس الثالث صورة من رمسيس الثاني في كل شئ فقد أتخذ لنفسه الأسم الحوري الذي إتخذه رمسيس الثاني وهو « اوسر ماعت رع » كما سمي ابناءه بذات اسماء ابناء رمسيس الثاني وقلدهم ذات الوظائف التي كان يتقلدها أبناء سلفه منذ أكثر من جيلين .. كما شاء القدر أن يحقق لرمسيس الثالث من النجاح ما تحقق لرمسيس الثاني ولذلك نري أنه عندما هاجمه اللبييون من الغرب يؤازرهم شعوب البحر من الشمال تمكن أن يحقق عليهم نصراً كبيراً وقد ذكر أنه ذبح منهم ١٢٥٠٠ وأنه ساق منهم

اسري أكثر من الف الحقهم عبيدا لخدمة المعابد كما أمر بأن تقام قلعة في غربي البلاد اسماها رمسيس الثالث قاهر بلاد «تحنو» ليبيا .. ويذكر أنه عندما انتصر الملك علي الليبيين في معركته معهم سقط أميرهم في أيدي الملك وحكم عليه بالموت وأنه لما طلب والد هذا الأمير أن يفتدي ولده بحياته لم يأبه رمسيس برجاء ملك لبيا وأمر بتنفيذ حكم الموت في الأمير جزاء وفاقا علي ما قام به اللبييون من عدوان وإجتياح للدلتا وبلاد مصر .. وبإنتصارهم حقق إستقرارا للناس في مصر وأصبح يفاخر بأن الناس اصبحوا في حالة من الأمان حتي أن المرأة الضعيفة في أيامه كان يمكنها أن تتجول في أي مكان في دعه وأطمئنان دون أن يعترضها من يهدد أو يعكر صفو حياتها .

وإذ لم تتمكن شعوب البحر من قهر مصر من ناحية الغرب وعبر لبيبا وقد حاولوا قتال المصريين من الشرق عبر سوريا وفلسطين غير أن رمسيس الثالث في العام الخامس من حكمه تمكن من قهرهم مع اسرهم التي قدمت معهم علي عربات تجرها الثيران ورد كيدهم واسترد لمصر سيطرتها علي أمبراطوريتها في سورية وفلسطين بعد فترة من التهديد والضياع ..

وإستمر الحال حتي العام الحادي عشر من حكمه في حرب وقتال وحماية لحدود البلاد ورد لعدوان المعتدين حتي استتبت الأمور وإستقر له الحال فاستمر في بناء مابدأ من معابد واولها معبد مدينة هابو الذي سجل علي جدرانه وقائع إنتصاراته علي شعوب البحر وبلاد تحنو « لبييا » كما صور مناظر لصيد رائعة ظهر فيها وهو يتعقب الثيران وحمر الوحش والظباء لصيدها وقد بدت مقدرته وكفاءته كصياد ماهر ومقاتل جبار .. وفي مناظر أخري يبدو في قصره ينظم شئون البلاد محاطاً بمستشاريه يستمع الي تقاريرهم ويملي القرارات ويصدر الأحكام وفي لوحات أخري صور اسطوله الذي كان يجوب البحر الأحمر حتي بلاد بونت « الصومال » جنوبا وحتي ما يقابل مدينة قفط في الوجه القبلي شمالا وهذا يؤكد أن رمسيس الثالث لم يستعمل القناه التي كانت تربط البحر الأحمر بالنيل والتي ربما كانت قد طمرتها الرمال في ايامه .. بل كان يتم نقل البضائع علي وسائل برية كالحمير وغيرها الي مدينة قفط ثم بطريق النيل الي طيبة ويصور أيضاً مناظر لأسطول له ربما

كان يجوب شاطئ البحر المتوسط الي مواني لبنان لكي يستجلب خشب الأرز الذي كان يستعمله في بناء سفنه وقواربه ونجده في أحدي اللوحات يباهي بأنه أمر ببناء قارب للإله امون طوله ٦٧ متراً .

لم يكن ما صوره رمسيس الثالث علي جدران معبد هابو هو كل ما وصل لنا من تاريخه ، فقد عثر علي برديات عديدة فيها الكثير من أخباره .. ففي برديات تورين ولي ورولان نجد احداث مؤامرة الحريم الكبري التي حدثت في آخر ايامه وتركزت احداثها في حريم الملك .. فقد ذكر إن احدي عجائز القصر وقد كانت اما للملك أو أحدي زوجات ابيه وتدعي «تي» قد قررت أن تطيح بالملك رمسيس الثالث فخططت لانقلاب يتربع علي أثره ابن لها يدعي «بنتورع» عرش مصر .

وقد كان متورطاً مع الملكة في هذه المؤامرة الكثير من رجال القصر والكهنة ورجال الجيش وكان من المقرر أن يصل المتآمرون إلي غايتهم بكل الوسائل حتي بالسحر الأسود وبالعمل به يتم الإضرار بالملك وبصحته .. وحتي يصل المتآمرون الي هدفهم سرقوا كتابا في السحر كان الملك يحتفظ به في مكتبة قصره وإستخلصوا منه وسيلة عمل تماثيل مع الشمع علي هيئة بقرات صغيرة إذا وضعت في قصر الملك فأنها تصيبه بالمرض الذي يودي بحياته كما تضمنت الخطة محاولة الإتصال بالبلاد المجاورة لمؤازرة المتأمرين لم يعرف كيف إكتشفت المؤامرة ولكن فور إكتشافها تم القبض في يوم واحد علي المتأمرين وأمر الملك بأن تشكل محكمة خاصة علي غرار المحاكم العسكرية يقوم رئيسها وأعضاؤها بالتحقيق والحكم علي المتورطين دون الرجوع الي الملك في أي أمر لان القضية كانت تضم العديد من الأهل ورجال القصر وأمر الملك بأن يقوم المتهمون بتنفيذ عقوبة الموت في أنفسهم بأنفسهم إنتحاراً .

في بردية أخري هي بردية هاريس الشهيرة وهي أطول بردية في العالم ويبلغ طولها ١٣٣ قدماً وتحتوي علي ٧٩ صفحة من القطع الكبير ومقسمة الي خمسة أجزاء تحتوي علي الهبات المعطاه لمعابد طيبة وهليوبوليس وممفيس وقد جاء في القسم الأخير من البردية حصر شامل لجملة الهبات . التي وصلت الي ١٠١٥ كيلو

جرام من الذهب و ٢٩٩٥ كيلو جرام من الفضة وهو ما يساوي بحساب وقتنا الحاضر أكثر من ٢.٥ مليون دولار وفيما نجد أن الملك يغدق علي كهنة المعابد ١٨٥ الف كيس من الغلال في السنة نجده لا يوفر ٥٠ كيساً من الغلال لعمال الجبانة الملكية الذين قدموا مظالم عديدة لعدم صرفهم رواتبهم ولمعاناتهم من الجوع والفقر حتي أنهم اضطروا إلي الاضراب عن العمل وهاجموا معابد الرمسيوم وقد تدخل كبار الموظفين لتهدئتهم .. حتي أن وزير الجنوب اضطر إلي ارضائهم واعطائهم بعض مستحقاتهم.

بلغ رمسيس الثالث السبعين من عمره فأشرك معه في الحكم ابنه رمسيس من زوجته إيزيس .

توفي في العام الثاني والثلاثين من حكمه .. قهره الزمن ومؤامرات الحريم وعصيان لبعض رجال البلاط والسلطة والكهنة ورجال المعابد جراء ما وصل إلي أيديهم من عطايا وهبات .

رحل آخر الفراعنة العظام ... وشيعه رجال الدولة إلي قبره العظيم في وادي الملوك ... حتي النسوة اللائي شيعنه إلي قبره . صارخات نادبات لم يكن صراخهن حزنا علي الملك فحسب بل حزنا علي نهاية عصور الأمجاد التي عاشتها مصر .. مصرنا الجميلة .

المراجع العربية

أحمد بدوى : مركب الشمس جزءان

أحمد فخرى: مصر الفرعونية

أحمد فخرى: الأهرامات المصرية

بول غليونجى: طب وسحر

حسن كمال : الطب المصرى القديم

سليم حسن : مصر القديمة ١٦ جزءاً

سليم حسن : أبو الهول

سليم حسن : الأدب المصرى القديم جزءان

سيد كريم : المرأة المصرية

عبد المنعم أبو بكر : أخناتون

عبد العزيز صالح : الأسرة المصرية فى عصورها القديمة

عبد الحليم نور الدين : دور المرأة فى المجتمع المصرى القديم

عبد الحميد زايد : مصر الخالدة جزءان

لبيب حبشى : المسلات المصرية

وليم نظير : الثروة النباتية عند قدماء المصريين

المراجع الأجنبية

ALDRED. C	The Egyptians
ALDRED. C	Jewels of the Pharaohs
BAIKIE . J	Egyptian antiquities in the Nile Valley
BOYD . R	Tells, Tombs and Treasure
BREASTED . J .H	History of Egypt
BUDGE . E.A.W	The Mummy
BUDGE . E.A.W	The Gods of the Egyptians 2 Vols
CARTER . H	The Tomb of Tut-Ankh-AMEN
CERAM . C. W	Gods, Graves and Scholars
COTTRELL . L	Life under the Pharaohs
COTTRELL . L	The Warrior Pharaohs
DAVID . A.R	Discovering Ancient Egypt
DAVID . A.R	Pyramid builders of Ancient Egypt
DISHER . M.M	Pharaoh's Fool
EHLEBRACHT . P	Sauvez les Pyramides
EMERY . W	EGYPT IN Nubia
ERMAN .A	Life in Ancient Egypt
ESTOS . J . W	The Medical Skills of Ancient Egypt
FAEAN . B	Rape of the Nile
FAIRSEVIS . W.A JR.	The Ancient kingdoms of the Nile
GARDINER . A	Egypt of the Pharaohs
HOVING . T	Tutankhamun - the Untold story
JAMES . T .G	Ancient Egypt
JENKINS . N	The boat beneath the Pyramid
KITCHEN . K	Pharaoh Triumphant. Ramses II
LECA . A . P	The cult of the immortal
MERTS . B	Temples, Tombs, Hieroglyphs
MONTET . P	Eternal Egypt

MORET . A	The Nile and the Egyptian civilization
NOBLECOURT . C .D	Tut Ankh Amen
NOBLECOURT . C. D	La Femme au Temps des Pharaons
OM SETY & H. ELZINY	Abydos, holycity of Ancient Egypt
REPFORD . D	Akhenaten , the heretic king
ROMER .J	ROMER'S Egypt
SPENCER .A .J	Death in Ancient Egypt
VANDENBERG . PH	The curse of the Pharaohs
WILSON . J	Signs and wonders upon Pharaoh
WILSON .J	The culture of Ancient Egypt

ف: 6967 ت:17/11/2008



مصرنا الجميلة
تاريخ وحضارة

هذا الكتاب

فى هذا الكتاب .... يصحبك كاتبه فى جولة تشمل مصر .. من شمالها إلى جنوبها مكاناً ، ويطوف بك عشرين قرنا من الزمان هى أحلى أيام الحضارة المصرية .. ترى بين صفحاته شعبا بدأ إنسانه الأول صيادًا جوّالا ... ثم فلاحًا مستقرًا على أرض حفظها وصانها ... فأعطته وأجزلت العطاء .. ثم بلغ من العلم قدرًا ميزه فى الفلك والطب والكيمياء والهندسة ... تعايش ملوكاً أخلصوا لمصر وشعبها فحفظت جميلهم ... وملوكاً أخلصوا لأنفسهم دون رعيتهم فكان مكانهم هامش التاريخ ..

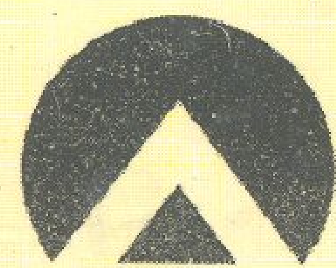
وتصادفك موجات من الازدهار تتلوها فترة اضمحلال ... عرض لا تمل أخباره ولا أحداثه .. ورؤية لمصر القديمة ال بدأت فى ذلك الوادى الضيق حول نيلها العظيم إلى أن بل مقاما رفيعا حققت به امتدادًا لامبراطورية وصلت حدودها بلاد ما بين النهرين شرقا وسوريا ولبنان وبلاد الحيثيين شم والسودان جنوبًا .

تاريخ يشد الانتباه لأنه المجد الذى تباهى به مصر العال كله ... وحضارة للخلود علمتها للعالم كله ...

الناشر







مكتبة الأنجلو المصرية
THE ANGLO-EGYPTIAN BOOKSHOP
The World of Words & Thoughts